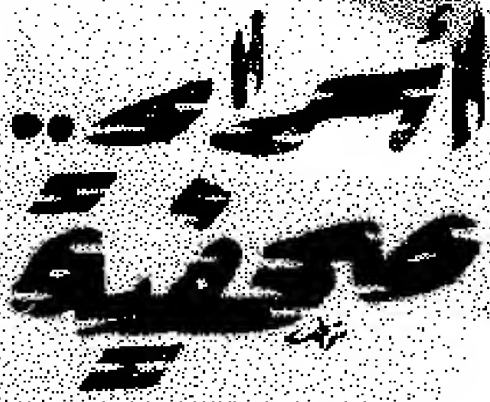




کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران



ثقافة وعلم إنسانية لكل الشعب
تحت رعين مؤسسة دار

الشعب

للتحافة والطباعة والنشر والشؤون

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

محمد زكريا حمزة

مدير عام التحرير

الوزير محمد

الإدارة : مؤسسة دار الشعب

٩٢ شارع قصر العيني ، القاهرة ٢١٨١٠

تليفون ٢١٨١٠

متنزل القاهرة دائما قلب العروبة والإسلام النابض
تتبعوا مكانتها التاريخية والعصرية
في عالم ... الفكر .. والثقافة ... والنشر

■ الطبعة الأولى ■ سبتمبر ١٩٧٥ ■

■ الفلاف والرسوم الداخلية

■ بريشة

■ الإعداد الفني

■ الناشر

■ محمد حاكم

■ ثروت الشعراوي

■ مؤسسة دار الشعب

■ ٩٢ شارع قصر العيني

■ القاهرة تليفون ٢١٨١٠

مقدمة

ربما كان من عظمة الصحافة أن عتاة الذين حكموا العالم كانوا يحاولون أن يضعوها في قفص الاتهام ، فإذا بهذا القفص يتحرك بقوة الدفع الصحفي حتى يأخذ مكانه فوق منصة القضاء . . . فالصحفيون الذين كانوا متهمين من جانب الطغاة العتاة ، يتحولون بقوة الدفع الصحفي إلى القضاة ، وهم القضاة الذين يأخذ للتاريخ بالكثير من أحكامهم على أولئك الطغاة .

من واقع هذه الحقيقة كنت أدافع دائما عن النظرية الصحفية القائلة بأن الصحفيين هم « المخرجون » على مسرح السياسة ومسرح التاريخ ، لأن هناك صلة عضوية لا تنقطع بين تاريخ أمة وبين تاريخ صحافتها .

كنت أعرض هذه النظرية على طلبة الصحافة الذين أسميتهم « زملاء للمستقبل » فإذا بعضهم يلبس ثوب الادعاء ليتهم جيلي في الصحافة بالتقصير عن تقديم المادة الكافية التي تؤكد النظرية . . . وأحسنت أنه على حق ، فدخلت حتى الآن لا نجد من المراجع الصحفية المصرية أو العربية التي كتبها صحفيون ممارسون إلا الشيء القليل ونحت تأثير هذا الإحساس بدأت أكتب أشياء عن الصحافة

والصحفيين في بلادنا على مر الأجيال السابقة التي عاصرت بعضها
بشخصي وعاصرت البعض الآخر بفكري .

كنت متأثراً فيما كتبت بفكرة « الأرشيف » والأرشيف جهاز
من أحدث الأجهزة التي يكتمل بها الفن الصحفي . . . وكنت متأثراً بأن
تاريخ الصحافة في بلادنا هو صورة طبق الأصل من تاريخ نضالها . .
ثم كنت متأثراً بأن مهنة الصحافة التي أنصفت الناس ، كل الناس ،
كثيراً ما ظلمت نفسها ، لأنها لم تبذل من الجهد الذي ما يكفي لأن تقدم
نفسها للناس كجهاز من أجهزة الجهاد التاريخي .

إنني أحاول هذا التقديم في هذا الكتاب . . . أحاول أن أقدم
للقارئ ، بصفة عامة ، وللصحفيين الدارسين الجدد ، بصفة خاصة ،
بعض تجارب الصحافة في بلادنا . . . أقول « بعض » لأن استكمال هذا
« الأرشيف » يحتاج إلى جهود لا يقدر عليها فرد ولا أحاد الأفراد ،
بل يحتاج إلى مؤسسة متخصصة . .

ودع أنني أشعر بصغر حجم الجهد الذي أقدمه في هذا الكتاب
وما قد يتعرض له من نقد ذاتي أو موضوعي أشترف ، مقدماً . أنه
يستحقه — إلا أنني في نفس الوقت أحسب أن هذا الكتاب يمكن أن
يكون مفتاحاً لأبواب كثيرة فسيحة في تاريخ الصحافة .

لقد فتحت ، بمحاولتي المتواضعة في هذا الكتاب ثلاثة أبواب :

الباب الأول : « أسرار صحفية » : وفي هذا الباب بعض صور
الاتحام بين الصحافة والناس وما فيها من أسرار بعض الشخصيات التي
تمثل المجتمع الماضى لكيلا لانسى .

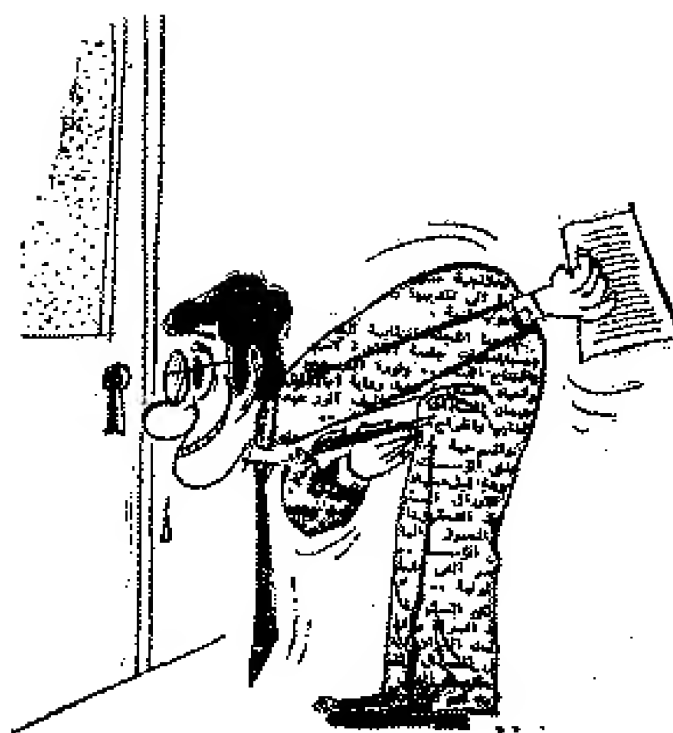
الباب الثانى « ألف باء الصحافة » : وفي هذا الباب ، وجزء بسيط
لما يدور فى دور الصحف من النواحي الفنية التي يحسن الوقوف عليها
من جانب قراء الصحف والصحفيين الجدد .

الباب الثالث « المذاهب الصحفية فى مصر » : فى هذا الباب محاولة
لدراسة تاريخ الصحافة على أسس فنية جديدة ، وإن كانت هذه الدراسة
الشديدة الاختصار تعنى ، فى الدرجة الأولى ، دارسى الصحافة . إلا أنها
فى نفس الوقت تعطى لمكمل قارىء شيئاً من الضوء الذى يربح النظر
عند إلقاء النظرة على تاريخ الصحافة فى بلادنا ، وتقدم له أسماء يدعو
الوفاء إلى إزاحة ستار الغسيان عن أصحابها .

إننى أقدم هذا الكتاب على استحياء بصغر هذه الأبواب وقلتها .
ولتأثيرى فيها بأسلوبى الصحفى فقط .

لكنى أرجو أن يكون هذا الأسلوب من أساليب ما بعد ١٩ أكتوبر
« أساليب درء الاتهام الكاذب عن الماضى ونحن على الطريق إلى
مستقبل أفضل فى كل شيء بإذن الله » .

بعض أسرار الصحافة



بعض أسرار الصحافة

« الغرفة السحرية في كل دار صحفية - انى يتنقى كل قارىء أن يدخلها دون أن تتحقق له هذه الأمانة - هي غرفة الأرشيف
فى هذه الغرفة تجتمع كل جيلات العالم وكل قاداته وكل شواذ الناس وعباقرتهم ومشاهيرهم فى الخير ، وانشر على هيئة صور وقصاصات أوراق و « أفيشات » تحمل الكثير من تاريخ حياة أولئك الناس .

« إن أية غرفة أرشيف فى أية دار صحفية هي مجموعة نادرة من المارضى التى تسكن فى أدراج منسقة منممة بأرقام خاضعة لترتيب الحروف الأبجدية حتى يسهل على أمين هذه الغرفة تلبية طلبات المحررين . وبعض المحررين الكبار يحتفظون فى بيوتهم بأرشيف خاص لكل منهم مثل الأستاذ النابغى . وبعضهم - مثلى شخصيا - لا يعنون بشيء من هذا إننى لا أحتفظ فى بيتى بخاصة واحدة مع الأسف ، لأننى تعودت منذ نشأت أن أترك أية صحيفة أقرأها لغيرى أما الأرشيف الذى استعنت به فى كتابة مائة فصل من ذكرياتى التى نشرتها ، فهو أرشيف بشرى وضعه الله فى رأسى دون أن يكون لى أى فضل فى وجوده أو تنظيمه .

« وعلى كثرة ما كتبت فإن الأرشيف البشرى الذى لا فضل لى فيه لا يزال حاشدا بالكثير من الذكريات التى أحاول نشر بعضها فى

هذه الفصول وسأرتب هذه المحاولة بترتيب الحروف الأبجدية . .
تماما كما يعمل أمناء جميع الأرشيات مع ملاحظة مبدئية لا بد منها هي .
أنتى أحصر محاولتى فى هذا الأرشيف فبدن وفيما عرفت عن قرب
من الناس ، أو من الأحداث التى لم أتناولها من قبل ، أى أن هذا
الأرشيف لن يكون أكثر من نموذج أرشيفى صغير جدا من آلاف
النماذج التى تناولتها الأرشيات الصحفية . . .

* * *

أرشيف :

• ليس شك أن أنسب بداية لحرف الألف هي البداية بكلمة
— أرشيف — ذاتها أن الأرشيف فى الصحافة العربية بمعناه الحديث
شيء حديث أيضا .. أن عمره لا يتجاوز الثلاثين عاما أو تزيد قليلا ..
فقبل قيام الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ ظهرت فكرة الأرشيف
الصحفى الحديث فى دوائر جريدة الأهرام . الطريف أن هذه لفكرة
لم تظهر ، من الناحية العلمية ، فى أذهان الصحفيين . . . إنما كان
صاحب الفكرة رجلا يشغل بالتتظيم المكتبى فى دار الكتب . . .
هذا الرجل هو أحمد لطفى السيد ، وهو شخص آخر غير أستاذ الجيل
لطفى السيد .

• عرفت أحمد لطفى للسيد — الصغير — فى الثلاثينيات شابا له
هواية من نوع جديد هذه الهواية هي — أرشفة — جريدة الأهرام
لحسابه الخاص . ولقد ظل هذا الشاب يتابع هذه الهواية فى بيته .

سنين . إلى أن اكتشف يوماً أن مسكنه الصغير قد أخذ يضيق بالعدد الضخم جداً من — الكروت — التي أرشف فيها جريدة الأهرام عدداً من السنين . ولحاجة طرأت يال هذا الشاب فكرة مستوحاة من تلال الصناديق التي اجتمعت فيها آلاف الكروت . هذه الفكرة هي أن يتحول بهذه المواجهة إلى عمل .

• ذهب الشاب إلى المسئولين في جريدة الأهرام ليعرض عليهم شراء هذا المجهود الضخم من جهة ، ومواصلة أرشفة الأهرام لحساب الجريدة من جهة أخرى . وكان تقلاً — ياشا — صاحب الأهرام رجل أعمال قبل أن يكون صحفياً . وخشى إذا هو قبل هذا العرض من الشاب أحمد لطفي السيد أن يظل هذا العمل — الصحفي — مسجلاً باسم صاحبه ، فعرض على الشاب عرضاً آخر هو أن يبدأ من جديد أرشفة — الأهرام — داخل الأهرام ذاتها كأي موظف يعمل نصف الوقت في ساعات فراغه من وظيفته ثم ما لبث بعد قليل أن عرض عليه مهمة أخرى ، هي أن يقوم بتدريب بعض شباب الأهرام على فن الأرشفة . وبعد أن قام لطفي السيد — الصغير — بهذه اللام لمدة عام استغنت الأهرام عن خدماته . . لقد كان صاحب الأهرام قد تنبه إلى حراسة فن الأرشفة الصحفي بالطرق المستحدثة في الخارج وإلى تدريب بعض شباب الأهرام على هذا الفن بالطرق الحديثة التي ظهرت في الخارج . . وأصبح معروفاً أن جريدة الأهرام هي أول جريدة عربية أضافت إلى المجهود الصحفي فن الأرشفة .

ومع هذا فإن الذي حدث في الأهرام لم يكن هو كل الحقيقة بالنسبة لتاريخ فن الأرشيف الصحفي لسكن بطريقة بدائية . هو الصحفي الأزهرى الشيخ على يوسف منشئ جريدة اللؤيد فى سنة ١٨٨٩ . كان الشيخ على يوسف إذا فرغ من عمله اليومى فى جريدته توفر على جمع قصاصات منها ومن غيرها من الصحف فى اللواضيع الثمينة ثم ضم كل مجموعة من هذه القصاصات فى ملف ثم وضع هذه الملفات فى درج من أدراج مكتبه . فإن هذا الدرج هو غرفة الأرشيف الأولى فى تاريخ الصحافة العربية .

الأهرام :

وبمناسبة - الأهرام - وسبقها إلى تنظيم الأرشيف الصحفي بالأسلوب الثنى الجديد الذى يختلف طبعاً عن أسلوب الشيخ على يوسف - هناك معلومات قد تكون غائبة حتى عن بعض العاملين فى جريدة الأهرام . . إن الأهرام ستحتفل بعيدها الثوى فى هذه السنة - سنة ١٩٧٥ حيث يكون قد مضى على إنشائها مائة عام وهو حدث ليس له مثيل فى تاريخ الصحافة العربية ، بل إن الصحافة العالمية ذاتها ليس فيها غير عدد قليل جداً من الصحف التى تبلغ هذا العمر . وأظهرها جريدة - التيمس - اللندنية .

لقد أنشئت جريدة الأهرام أسبوعية فى أول الأمر وكان مقرها مدينة الإسكندرية . . ثم انتقلت إلى القاهرة لتصدر فيها يومية . . وكان رئيس تحريرها الأول هو منشئها سليم تولا . ثم أخوه بشارة تولا والذى لا يذكره الكثيرون فى رئاسة التحرير فى جريدة الأهرام قد آلت بعد مؤسسيها إلى الشاعر الكبير خليل مطران .

الأخبار :

إن كل ما هو معروف الآن هو جريدة الأخبار اليومية التي أنشأها مصطفى وعلى أمين في ربيع سنة ١٩٥٢ وصدرت عن دار أخبار اليوم التي ظهرت في نوفمبر سنة ١٩٤٤ . لكن هذا الاسم منقول عن اسم جريدة الأخبار - التي أنشأها أمين الرافعي في سنة ١٩٢٠ . . . وأمين الرافعي أيضاً قد نقل هذا الاسم عن جريدة الأخبار الصورة التي كانت تظهر وتختفي قبله بحيل .

لقد كان رأس مال - أخبار اليوم - الذي أنشئت به في سنة ١٩٤٤ هو خمسة عشر ألف جنيه . . . وكان سبب رواجها الأول يرجع إلى سلسلة مقالات افتتاحية بعنوان - الخلاف بين القصر والوفد - وكانت مادة هذه المقالات تستقي رأساً من أحمد حسنين - باشا - رئيس الديوان للأسكي في هذه الأثناء .

وبلا شك أن - أخبار اليوم - كانت أول دار صحفية تبنى لها مبنى من عدة طوابق عالية . . . إن أول مبنى صحفى كان مبنى جريدة البلاغ لصاحبها عبد القادر حزة - وهو مبنى من طابقين اثنين . . . أما مبنى أخبار اليوم فمبني يتألف من أحد عشر طابقاً وقد تكلف هذا المبنى مائة وخمسين ألف جنيه . وهذا للمبلغ الضخم كان مجرد سلفة من بنك مصر لهذه الدار الصحفية .

أنتيجونى :

• وينتقل بك أرشيفى الذهبى ، مع حرف الألف ، من المؤسسات الصحفية إلى بعض الأسماء التي ظهرت ثم اختفت من حياتى . .

إنها أسماء يعرفها الجميع . . لكن القليل منها لا يعرفه أحد كما أعرفه ،
ومن هذا القليل إسم اتيجونى الجيلة .

كان زميلنا الأستاذ على الشيخ مكلفاً من جريدة القاهرة -
في سنة ١٩٥٣ بأن يؤسس مكتب الجريدة في اسكندرية . . وبينما كان
الزميل يقوم بعملية اختيار العاملين في مكتب اسكندرية . . طرقت
بابه فتاة جيلة تتكلم العربية بلغة أجنبية لطيفة . واقترحت عليه أن
تشارك في أعمال المكتب . .

ومع أن الزميل رئيس مكتب اسكندرية قد استشارنى بوصفى
رئيس محرير للقاهرة إذ ذاك . . فى كل الذين عينهم فى وظائف
للمكتب إلا أنه لم يستشر أحداً فى تعيين هذه الفتاة . . لقد كانت
حريتها أكبر من أن تحمل النقطة .

وفى أول زيارة منى لمكتب اسكندرية قدم إلى رئيس المكتب
زملاءه فى العمل واحداً واحداً ، وأخيراً قدم إلى اتيجونى وأقول
الحق اتى حسبت الزميل يمزح وهو يقدمها إلى مع العاملين فى المكتب
لقد كانت أجل من أن تحتاج إلى العمل الصغير الذى وكل إليها . .
ثم كانت تتكلم العربية بلهجة أجنبية فهى من اليونانيين الذين سمعهم فى
إثينا يطلقون عليهم إسم - اليونانيين المصريين - .

سألت الزميل : كيف تستطيع هذه الفتاة أن تعمل معنا وهى
قليلة الحصول فى اللغة العربية . فإذا به يجرى معها أسمى امتحاناً فى

معلوماتها المصرية ، فإذا بهذه المعلومات معلومات أعريضة وخاصة في شئون النوب .

كانت الظاهرة العجيبة في انتيجوني أنها ذواقة في كل الأطعمة المصرية ، وخاصة الفلفل . . . لكن الظاهرة الأعجب أنها كانت لا تشعر بجهاها . . . كانت تسخر من شكلها وأشكو من أن وزنها ثقيل مع أنها لم تكن كذلك . . . بل لقد كانت انتيجوني تسخر من الجمال للنسوى كله وتعتبر أن به شيئاً كثيراً من التصنع . . . وتطبيقاً لهذا الرأي كانت هذه الفتاة لا تصنع شيئاً . . . كانت تتحرك وتعمل وتتكلم وتأكل على الفطرة وببساطة مذهلة . . . وقرأت انتيجوني عن مسابقة عالمية للجمال فتقدمت إليها . . . تقدمت من باب السخرية الحلوة اللازمة التي كانت تمتاز بها . . . وكانت تضر من الاشتراك في هذه المسابقة شيئاً آخر ، لقد كان كل ما يهبطها أن الاشتراك في هذه المسابقة سيقبح لها الفرصة لرحلة ممتعة في أوروبا على حساب مهرجان الجمال الدولي .

كانت تقول إنها عند الامتحان سوف تهرب . لكنها ما كادت تحصل إلى مقر المهرجان حتى وجدت باب الهروب موصداً أمامها فاستعاضت عن هذا الهرب بمشاكسة أعضاء لجنة التحكيم . مشاكسة أظهرت لهم . . . من حيث لا تدري . . . كل موصفات الجمال التي لم يجدوا مثلها في غيرها من المسابقات . . . فأجمعت اللجنة على اختيار انتيجوني ملكة جمال العالم لسنة ١٩٥٨ وكانت انتيجوني نفسها أول من أدهشته هذه النتيجة .

إميل النورى :

أما الإسم الثانى فإميل النورى المواطن الفلسطينى الذى درس الحقوق ، وكان من الممكن أن يكون محامياً ناجحاً ، لكن اندماجه فى ثورة شباب فلسطين سنة ١٩٣٦ قد غير مجرى حياته . . فقد كان أحد الذين تفرغوا لأعمال الثورة . وكان أولئك - المتفرغون - أول من جرفهم التيار بعد نكبة قيام إسرائيل على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ .

أخذ إميل النورى يطفو بالبلاذ العربية مع أهل رأى من إخواننا الفلسطينيين الذين تقلوا فكرة الدفاع عن الأرض السامية إلى البلاد الشقيقة ، وقد أختير أكثر من مرة ليمثل إخوانه الفلسطينيين فى حضور اجتماعات الأمم المتحدة بوصفه خبيراً فى قضية فلسطين .

فلما أنشئت جريدة للقاهرة بمصر سنة ١٩٥٣ وشمارها الدفاع عن القضايا العربية انضم إلى أسرة تحريرها . . كان عمله الرسمى بها هو رئاسة قسم السياسة الخارجية ، لكنه استطاع بمفرده أن يفتح على صفحات الجريدة أبواباً متخصصة فى قضية فلسطين من بدايتها .

ويوم قامت الوحدة بين مصر وسوريا فى ربيع سنة ١٩٥٨ قال لى إميل للنورى إن مكانه الطبيعى ينبغى أن يكون فى دمشق وأنشأ إميل بمفرده مكتب جريدة القاهرة فى العاصمة السورية . . وفى دمشق أخذت تناديه الدوائر التى تعرف عنه أكثر بما تعرف ، فهين محاضراً بكلية الحقوق فى جامعة دمشق .

لكن . . لقد كانت فلسطين وقضيتها في دم إميل ، فبارح دمشق إلى عمان ، ومع سكان الضفة الغربية وهم الفلسطينيون أصلاً . قامت الحركة التي دفعت بحدودهم إلى عضوية البرلمان الأردني ، وانتخب إميل الغوري ، بالنزكية نائباً عن أعز دائرة على أرض فلسطين وهي دائرة القدس .

وفي تشكيل الوزارة الأردنية عين إميل الغوري وزيراً للشئون الاجتماعية . . فكان أول صحفي فلسطيني يتولى منصب الوزارة .



أشهر البعده

في الجيل الماضي

الأرشييف الذهني أرشييف معقد . . إنه لا يعتمد على مراجع ولا على أوراق أو مذكرات مكتوبة . . يعتمد فقط على الأبراج التي منحها الله تعالى للعقل البشري العجيب . . وقد تكون هذه الأبراج مرتبة ترتيباً طبيعياً ، لكننا نحن الذين نفسد ترتيبها بخواطرنا . . إن خواطري وخواطر الناس جميعاً مغمورة بالوئب من هنا إلى هنا ، من غير ترتيب ظاهر ، وربما بترتيب لم ندرك سره حتى الآن . . ونحت تأثير هذا الوئب الذهني فقزت خواطري فجأة من حرف الألف إلى حرف الباء في هذا الأرشييف .

حرف الباء

بدوى :

إن أشهر « بدوى » في ذاكرتي هو اسم المرحوم الشيخ علي بدوى . . إنه الرجل الذي علمني « الخط العربي » في المدرسة الابتدائية ، وهو ليس مسئولاً عن رداءة خطي فقد كان هو من أشهر الخطاطين في العشرينيات وكان في نفس الوقت عالماً أزهرياً . . نه صورة من صور الماضي ، عالم أزهرى وخطاط ومدرس .

ويبدو أن اسم « علي بدوى » يفتن من حيث الاستعداد بمهنة التدريس ، لقد كان في وقت ما ألع أستاذ في كلية الحقوق هو الدكتور

على بدوى الذى تولى عمادة هذه السكينة ، راراً وقد اقترن اسمه بهذا
المادة أكثر من اقترانه بمنصب الوزارة . . على أن أشهر بدوى على
المستوى العام فى الجيل الماضى هو المرحوم الدكتور عبد الحميد بدوى
« باشا » وقد كان . . عبد الحميد بدوى رجل قانون أيضاً ، لكن
من طراز آخر . . كان يتولى منصب رئيس هيئة قضايا الحكومة
وكانت هذه الهيئة تقوم — قبل إنشاء مجلس الدولة — بوظيفة الإفتاء
فى كل التشريعات فما من تشريع صدر فى الجيل الأسبق إلا وكان
عليه بصمات عبد الحميد بدوى . . وكان عبد الحميد بدوى أقدر من
عرفته مصر فى صياغة مشروعات القوانين . . ولهذا كان الأستاذ
التابعى يسميه « مفتى القرية » وينشر صورته الكاريكاتورية فى مجا
وفوق رأسه عمامة كبيرة .

ولقد عاصر عبد الحميد بدوى نظاماً من أنظمة الدولة فى مصر
يرز فيه أحد كعبد الحميد بدوى ، فما كان يشكل أى وفد رسمى
مصر للمحافل الدولية إلا ويكون عبد الحميد بدوى مستشاراً
لهذا الوفد . . ولهذا نستطيع أن نقول أيضاً أن بصمات عبد الحميد
بدوى كانت وراء جميع الإتفاقات الدولية التى عقدتها مصر فى عصره

ثم عين عبد الحميد بدوى وزيراً للمالية ، وبمقلية رجل القانون
الذى يرى فى القانون شيئاً أعلى من السياسة — اصطلم بعض هؤلاء
القصر ، وطالب للقصر من رئيس الوزراء الاستغناء عن خدمة
عبد الحميد بدوى ، ولما كان هذا مستحيلاً فى نظر رئيس الوزراء
فقد دبر القصر لعبد الحميد بدوى شائعة خطيرة لحمله على الاستقالة

كان بدوى « باشا » رجلا وسيا ، ومن هنا جاءت الشائعة بأنه وهو وزير ، على علاقة عاطفية بإحدى الحسان . . وطلب إلى بدوى أن يستقيل ، لكنه بعقلية رجل لقانون قد تغلب على هذا « للقلب » وقال إن استقالته تؤكد صحة هذه التهمة ، فعلى مروجى هذه الشائعة أن ينفوها إذا أرادوا أن يستقيل . . وكان له ما أراد .

ولقد عوض الله عبد الحميد بدوى خيراً بأن اختارته محكمة العدل الدولية قاضياً من قضاتها عند تشكيلها سنة ١٩٤٥ فكان أول شرقى يجلس على منصة القضاء الدولى . وبلغ من تقدير المحكمة الدولية له أن جددت عضويته فيها أكثر من مرة .

ببخل :

كان اسم بدوى « باشا » يقتن أحيانا بالبخل مع أنه من أسرة معروفة بالسخاء ذلك أنه كان يحسب لكل شيء حسابه في زمن كان الناس ينفقون فيه بغير حساب . . أما أشهر البخلاء في عصره فهو للرحوم الدكتور يعقوب صروف أحد مؤسسى مجلة اللقطة وجريدة اللقطة كان صروف فى بخله رجلاً ظريفاً ومن ظرفه أنه كان يوصى سائق سيارته حين ينتظره أن ينوادرى بها عن أعين حراسة السيارات حتى لا يطالبوه إذا عاد إليها بقرش .

وذاث مرة لمح أحد أولئك الحراس وهو خارج من باب محطة مصر فنادى على سيارته ووقف ينتظر نفحات الباشا الكبير . وجلس صروف يبحث بين طيات جيبه عن قرش من فئة الخمس مليات ، وكما أخرج قرشا وجده من فئة العشرة للمليات أعاده إلى طيات جيبه

وهو غضبان أسفا ، ثم استعار من سائقه القرش الصغير ليعطيه للحارس الذي تناوله بدوره تناول الذي نذر نذراً أن يحصل من صروف « باشا » على أى شيء يصنع منه « حجاباً » يقيه شر الحاسدين .

لكن هذا البخل البعقوبى هو الذى مكن صروفاً من ثلاثة ملايين من الجنيات جمعها فى حياته ، والله وحده يعلم ماذا جرى بهذه للملايين بعد مماته .

وهنا تحلو المقارنة بين بخل صروف صاحب الملايين وسخاء حافظ إبراهيم صاحب المرتب الشهير الذى لم يزد السبعين جنياً .

كان حافظ إبراهيم الشاعر يستأجر العريية « الحنطور » من دار الكتب بميدان باب الخلق إلى سكنه فى حى الزمالك بجنيه لا يسأل سائقها عن قيمته . . وذات مرة أراد الشاعر إسماعيل صبرى « باشا » أن يشير دهشة بخيل عصره الدكتور صروف فسأل أماءه حافظاً عما تبقى من مرتبه فقال عشرة جنيات . . فقال صبرى لحافظ . . لقد كنت أحسب أن معك المزيد لأن الاكتسابات التى جمعناها لإقالة عثرة صديقنا فلان تنقصها عشرة جنيات ، فإذا بحافظ يخرج الجنيات للعشرة الوحيدة فى حيبه فيقدمها لصديقه . . بينما كان الصحفي صاحب الملايين صروف يرسل اللعنات على هذا السفيه . . ومع هذا فقد كان الدكتور صروف من خيرة علماء عصره .

• برلمان :

كان الدكتور فارس نمر عضواً بالمتعيين في مجلس الشيوخ أحد
مجلسي البرلمان فيما قبل ثورة سنة ١٩٥٢ . . لقد كان هناك تقليد
ب تعيين كبار أصحاب الصحف أعضاء في مجلس الشيوخ ولم يكن
بمجيلا بالمسال فقط . . بل بالكلام أيضاً . . فلم يتحدث مرة واحدة
طوال عشر سنين أن نطق بكلمة واحدة داخل هذا المجلس ولست
أدرى لماذا نسي هذا بمجيلا لماذا لا نسيه حرصاً .

وبهذه المناسبة أذكر أن مصر قد شهدت ما بين الثورتين : ثورة
سنة ١٩١٩ و ثورة سنة ١٩٥٢ تسعة برلمانات كان ترتيبها كالآتي : البرلمان
الأول الذي أسفرت عنه ثورة سنة ١٩١٩ جاء برؤسها سعد زغلول إلى
الحكم ، وقد افتتح في ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ ، وحل في بداية دورته الثانية
في نوفمبر من سنة ١٩٢٤ ذاتها . . البرلمان الثاني الذي أعقب هذا
الحل . . وقد حل هو الآخر في يوم افتتاحه ، أي أن عمره لم
يتجاوز ساعة واحدة لان الانتخابات جاءت بصورة طبق الأصل من
برلمان سنة ١٩٢٤ . . البرلمان الثالث الذي جاء به ائتلاف الاحزاب
في نوفمبر سنة ١٩٢٦ ، وهو البرلمان الذي تولى سعد زغلول فيه
رياسة مجلس النواب تاركاً رياسة الوزارة إلى الذي يسكن زعيم المعارضة
الدستورية . . لقد جعل ائتلاف سعد مع معارضيه ورياسته للبرلمان
من هذا البرلمان أهم برلمانات العهد للماضى . . وقد حل هذا
المجلس في بداية سنة ١٩٢٨ ، بسبب انتهاء الائتلاف و وفاة سعد
زغلول . وفي نهاية سنة ١٩٢٩ جاء البرلمان الرابع لكنه لم يسر
أكثر من خمسة أشهر حل بعدها . وألغى دستور سنة ١٩٢٣ وظهر

دستور آخر جاء برلمان آخر من صنع رئيس الوزراء إسماعيل صدقي . وهو البرلمان الخامس .

وفي سنة ١٩٣٦ عاد دستور سنة ١٩٢٣ وجاء البرلمان السادس الذي أقر معاهدة سنة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا ثم حل في إبريل سنة ١٩٣٨ ليحل محله البرلمان السابع الذي حل هو الآخر عقب أحداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وجاء في إثره البرلمان الثامن الذي انتخب في يناير سنة ١٩٤٥ وهو البرلمان الوحيد في الساضي الذي أكمل دوراته الخمس إلى نهاية سنة ١٩٤٩ ، ثم جاءت الانتخابات التي أجريت في يناير سنة ١٩٥٠ برلمان مغاير هو البرلمان التاسع الذي ظل قائماً إلى سنة ١٩٥٢ حيث جرفته الأحداث التاريخية التي ظهرت في هذه السنة .

وكانت المعارضة في غالبية هذه البرلمانات معارضة اجتهدت إلى أن تولى الدكتور هيكل « باشا » رئاسة مجلس الشيوخ في سنة ١٩٤٥ فنظم تقاليد المعارضة بأن جعل لرعيم المعارضة في مجلس الشيوخ مكتباً خاصاً وسكرتيرية خاصة وكان أول زعيم للمعارضة في هذا التقليد هو المرحوم صبرى أبو علم « باشا » الذي كان سكرتيراً عاماً للأوقاف وهو حزب الأغلبية .

لسكن التقاليد البرلمانية التي أرساها هيكل ، ومنها فتح باب المناقشة للأعضاء في ميزانية القصر الملكي ، قد أدت إلى فصله من

رئاسة مجلس الشيوخ هو وإثنان وعشرون عضواً في سنة ١٩٥١ . .
وكانت هذه السابقة من عناصر الجلو الذي تمياً لقيام ثورة يوليو
سنة ١٩٥٢ .

تيمور :

حرف التاء

أشهر الأسماء في حرف التاء هو اسم تيمور : وهو اسم الأسرة
التي أنجبت أربعة من مشاهير الأدباء : أحمد تيمور « باشا » وولديه
محمد تيمور ومحمود تيمور وأخته عائشة التيمورية .

كان أحمد تيمور مثال الرجل للموسر الذي تفرغ للعلم . فأنشأ
مكتبتين ، مكتبة من مؤلفات الآخرين تحولت بعد وفاته إلى مكتبة عامة
ومكتبة من مؤلفاته السكينة التي لم تنسح حياته لطبع غالبيتها . فشكلت
لجنة — لا تزال قائمة حتى الآن — لطبع هذه المؤلفات : وكلها
مؤلفات متخصصة في تاريخ الآداب واللغة العربية .

أما أخته عائشة التيمورية فكانت أول سيدة تنظم الشعر باللغتين
العربية والتركية فيما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن
العشرين ، وهي أول وآخر شاعرة في عصر النهضة لا يراها ولا يرى
صورتها الجمهور فقد عاشت وماتت في عصر الحجاب ،

وأما ولداه محمد تيمور ومحمود تيمور فقد تخصص في القصص . .
كان محمد تيمور في مقدمة من كتبوا القصة القصيرة ، فلما مات شاباً في
مشرق القرن العشرين حل رايته أخوه محمود تيمور .

وقد بدأ محمود تيمور كتابة القصة في العشرينيات باللهجة العامية ، وأخرج بهذه اللهجة عدة مجموعات قصصية له صار يسكرها ، فهو ما زال ينطور في أدبه حتى أصبح من غلاة المتعصبين للعربية الفصحى .. وبعد أن كان يكتب في شبابه باللهجة العامية أصبح وهو عضواً بالجمع اللغوي متخصصاً في رد كل لفظ عامي وكل لفظ منقول من اللغات الأجنبية إلى أصله العربي لفصحح أو استبداله بأصل عربي آخر .



الثورة بين حيليين

يقولون أن للحروف أسراراً .. ويبدو أن هذا صحيح .. فهناك حروف غنية باشتراكها في ملايين الأسماء .. وهناك حروف قوية باشتراكها في أعظم المعاني .. هناك حروف لها موسيقى وحروف لها فعالية ، وحروف لا بد من اقترانها بحروف أخرى ، هناك حروف تقبل الاستقلال كحرف « الواو » بينما سائر الحروف لا تستقيم بمفردها .. ويقولون أن هناك علوماً تبين مزايا هذه الحروف جميعاً ، كعلم الكلام وعلم البيان ، وعلم الفلك .. لكن النتائج التي نخرج بها من هذه العلوم نتائج نظرية قابلة للمناقشة .. أما الذي لا يحتمل المناقشة في هذا البحث فهو فن الأرشيف .. إنك واجد في صندوق « الألف » بالأرشيف حشداً من المعلومات بينما قد لا تجد نصف هذه المعلومات في حرف ثاء وسأروى ما أستطيع أن آتي به من أرشيفي الذهني في حرف الثاء .

حرف الثاء

ثورة :

إزدادت شهرة حرف الثاء ابتداءً من ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ في بلادنا والبلاد العربية فبعد نجاح حركة الضباط الأحرار التي قاموا بها يومئذ أصبحت كلمة « ثورة » التي تبدأ بحرف الثاء شريكة في كل مقال .. لقد دخلت كلمة « ثورة » منذ هذا التاريخ في كل شيء دخلت في الأدب ، وأصبح العنوان الذي كان عجباً منذ أربعين عاماً على

كتاب « ثورة الادب » للدكتور هيكس — شيئاً مادياً في أى مقال يكتب الآن في الادب أو عن الأدب . دخلت في العلم .. بل لقد أصبحت كلمة ثورة جزءاً من العلم منذ قال الرئيس جمال عبد الناصر في عيد العلم منذ سنوات « أن الثورة هي علم تغيير المجتمع » .. دخلت في الفن والصحافة والاقتصاد بل لقد دخلت على الجانب المضاد لمفهوم الثورة ذاتها في هذا الجانب باسم « الثورة المضادة » .

ونحن نستطيع عدلاً وأنصافاً — أن نرد هذا الرواج لكلمة « ثورة » إلى الضباط الاحرار الذين نجحت ثورتهم باسم الشعب المصري في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. ولقد كانت هناك ثورة شعبية عظيمة في تاريخ ما قبل سنة ١٩٥٢ ، هي ثورة سنة ١٩١٩ لكن أحداً من القادة في السياسة والفكر لم يكن يستخدم كلمة ثورة إذ ذاك كما استخدمها الآن .. إن زعيم ثورة سنة ١٩١٩ نفسه ، وهو سعد زغلول ، له كلمة قالها في أحد مواقف السياسية الهامة وهي « نحن قوم هادئون لا نريد أن نثورة » — ربما كانت هذه سياسة .

قال سعد زغلول هذه العبارة بينما كان الشعب وهو على رأسه في قمة الغليان .. إذن فهناك خلاف في مفهوم « الثورة » بين الماضي والحاضر — نحن في الحاضر نعتبر الثورة في إرادة التغيير التي تتحرك في نطاقها بالفعل .. بينما كان الثائرون في الماضي يتجنبون كلمة الثورة كي يتحاشوا ، إن أمكن ، اتهامهم بمخالفة القانون .

كان مفهومنا للثورة في الماضي أنها مخالفة للقانون غير معترف

بها .. أما مفهومنا الآن للثورة فهو مولد لقانون جديد يتعجله المجتمع .

ظهرت حركة الضباط الأحرار الأولى في ١٦ يناير سنة ١٨٨١ بزعامة أحمد عرابي .. وهكذا نرى أن هناك أشياء كثيرة في حياتنا كانت لها أشباه في الماضي .. فالحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل في بدايات القرن العشرين كان له شبيه باسم الحزب الوطني ظهر في سنة ١٨٧٩ .. وجمعية « مصر الفتاة » التي ظهرت في ثلاثينيات القرن العشرين كان لها شبيه يحمل نفس هذا الاسم في سبعينيات القرن التاسع عشر .. وهكذا التشابه في الأسماء أو التسميات إنما يرجع إلى مفاهيم كلمة واحدة هي كلمة « ثورة » .

ثروت :

ومع كل الدوى الذي تتركه كلمة ثورة في كل زمان وكل مكان فإن حرف الثاء الذي تبدأ به هذه الكلمة من أقل الحروف نداء بالأسماء .. إننى لا أجِد في أرشيفى الذهني من هذا الحرف إلا اسم ثروت « باشا » وإيمه بالسكامل محمد عبد الحالى ثروت .

هناك قليل من الرجال لم يستطع التاريخ إنصافهم لا في حياتهم ولا بعد مماتهم .. ومن هذا القليل عبد الحالى ثروت .

إن اسم ثروت يرد في الأذهان ، وربما في بعض صفحات التاريخ بين أسماء الذين لم ينتصروا للشعب وثورته في سنة ١٩١٩ وقد يكون هذا صحيحاً في ظاهر الأمور ، أما في الباطن فإن هذا التصوير

يعتبر ظاهراً ولكي يتبين هذا للظلم ينبغي أن تكون هناك صورة حقيقية دقيقة للحالة التي كانت البلاد عليها في الفترة التي تولى فيها ثروت الحكم ، وهي بداية سنة ١٩٢٢ .

كانت القوات البريطانية تشغل كل ركن في مصر بما في هذا : أقسام الشرطة ، بل كانت رئاسة الشرطة المصرية للإنجليز ، وقيادة الجيش المصري للإنجليز وممثل مصر دبلوماسياً في الخارج للإنجليز وللتفتيش على كل نواحي الحياة المصرية في الداخل للإنجليز بل كان رئيس الدولة ، وهو السلطان ، معيناً من قبل الإنجليز وكان هذا التعيين يحدد تلقائياً الوضع والظروف بالنسبة للوزراء الذين يعينهم السلطان .

نعم كانت هناك ثورة ، وثورة عظيمة عارمة . لكن للقوات البريطانية كانت تقابل هذه الثورة للعزلاء بالمدافع .. وصحيح أن الثورة قد أفلقت القوات البريطانية وقتلت الكثيرين من أفرادها ، لكن زمام القتل والقوة المسلحة كانت بالطبيعة في يد الجيش المحتل لا في يد الشعب الأعزل .

أما من الناحية السياسية فكان الوضع كما يأتي ، رفض مؤتمر الصلح الدولي الذي انعقد في سنة ١٩١٩ لتقرير مصائر الأمم أن يدخله وفد من مصر ، وأقر الحماية البريطانية عليها .. طرق الزعماء المصريون باب المفاوضات مع الإنجليز بوغد يمثل الشعب مرة وبوفد يمثل الحكومة مرة وقتل الوفدان في المفاوضات .. لجأ ممثلو الشعب إلى فرنسا وإلى أمريكا خاصة وإلى الضمير العالمي عامة فلم ينصت إليهم أحد .. وفي هذا الجو كان الجنود البريطانيون في شوارع القاهرة

يوقنون أى كبير ليحملوه حجارة للتساريس التى كان الشعب يقيمها
فى الشوارع لمنع القوات الإنجليزية من الحركة .. وكان للتدوب
الاسمى البريطانى هو الذى يحدد متى تضام ومتى تطلقاً مضام
القاهرة ومتى يخرج الأهالى ومتى يعودون إلى ديارهم .. الخ

حين يجيء أى سياسى ويتزعج من بريطانيا فى هذا الجو اعترافاً
بأن مصر مستقلة ذات سيادة وأن من حقها أن تنشئ البعث
الدبلوماسية التى تمثلها فى الخارج وأن تنشئ برلماناً يشارك فى إدارة
شئونها فى الداخل .. فإن هذا السياسى يكون قد أزال كثيراً من الغبار
الذى كان الاحتلال يهبه على ثورة الشعب ولقد كان هذا السياسى
هو عبد الحالى ثروت ، وكان هذا الاعتراف هو التصريح البريطانى
الذى اشتهر باسم تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .

صحيح أن بريطانيا قد قرنت هذا التصريح بأربعة تحفظات تؤثر
فى معنى الاستقلال ، لكن دهاء ثروت قد جعله يصمم على أن يكون
هذا التصريح من جانب واحد هو الجانب البريطانى حتى لا يكون
اشتراك الجانب المصرى فيه ملزماً للمصريين بالموافقة على التحفظات
البريطانية .

إن أى سياسى فى سنة ١٩٢٢ لم يكن يستطيع أن يعمل أكثر
مما عمله عبد الحالى ثروت .. ومع هذا فقد امن السكك ثروت تحت
تأثير الدعاية الجماهيرية المضادة ، مع أن تصريح ٢٨ فبراير الذى جاء به
هذا الرجل دون التزام بشئ من جانب المصريين كان فى واقع الأمر
رغم عيوبه هو نقطة الانطلاق إلى الحياة الدستورية والحياة

الديبلوماسية التي لم تظهر في مصر إلا بعد هذا الجهد الذي بذله ثروت
وكان من نتائجه أيضاً الإفراج عن المعتقلين وفي مقدمتهم سعد زغلول
وإن كان أحداً لم يذكر له هذه الناحية ..

حرف الجيم

جمهورية :

كانت كلمة « جمهورية » قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كلمة غريبة
على مصر .. بل كان القانون يعاقب من يطالب بتطبيقها في بلادنا
ثم أصبح العكس هو الصحيح بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. وأخذت
الجمهورية في مصر طابعها القانوني ابتداء من ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ ..
إن الأرقام التي تحيط بإعلان الجمهورية في مصر تدعو إلى للعجب
فقد أعلن جمال عبد الناصر قيام الجمهورية في مصر في الساعة السادسة
والدقيقة ١٨ من شهر يونيو وهو الشهر السادس من شهور السنة في
سنة ١٩٥٣ وأنت إذا جمعت أرقام ١٩٥٣ تكون النتيجة ١٨ ،
إنه كلام يشبه كلام الفلكيين وإن كنت لا أقصد :

جمال :

إذا ذكر اسم جمال بعد منتصف القرن العشرين في التاريخ فإن
الأفكار تتجه مباشرة إلى جمال عبد الناصر .. أما إذا ذكر اسم
جمال في التاريخ بعد منتصف القرن التاسع عشر فإن الأفكار تتجه
مباشرة إلى جمال الدين الأفغاني .

إن مؤلفي قصص حياة المجاهد للاتينى حيفارا الذى استشهد منذ قليل لم ينتهوا إلى أن حيفارا في فلسفته ليس إلا تلميذاً غير مباشر لجمال الدين الأفغانى .. وأتصد بفلسفته فاسفة قومية الجهاد ، واتساع رقعة هذه للتوعية لكل البلاد التى تنجاهد في سبيل الحق والحرية .. إن كلا منهما يبدأ اسمه بحرف « حيم » وكلاهما تنقل بجهاده من بلد إلى بلد .. وإذا كان حيفارا قد استخدم في جهاده السلاح فجمال الدين الأفغانى هو القاتل — شق قاب ظالمك — .. وإذا كان حيفارا قد مات قتيلًا .. فقد تعرض جمال الدين الأفغانى للقتل باسم أكثر من مرة ، وإن كان قد نجا حيناً إلا إن الدين درسوا حالة إحيائه التى أفضت إلى موته يردون هذا الحالة للسموم التى تعرض لها .. كل الخلاف بين الرجلين أن حيفارا كان يعتمد في جهاده على عقيدة سياسية وأن جمال الدين الأفغانى كان يعتمد على العقيدة الدينية .

على أن هناك علامات استفهام لاتزال قائمة حول نشاط جمال الدين الأفغانى السياسى .. ومنها على سبيل المثال — أنه حين جاء إلى مصر متادياً بمبادئ التحرير في ثلاث الأخير من القرن التاسع عشر كان في نفس الوقت صديقاً لرئيس الوزراء رياض باشا الذى كانت تعارضه الثورة الوطنية التى تأثرت فعلاً بأراء جمال الدين الأفغانى .. وأنه كان يعارض الطغيان العثمانى لكن هذه المعارضة لم تمنعه من الاتصال أحياناً بالقصر للملك العثمانى في أواخر حياته .. وأنه كان داعية عظيم للدين الإسلامى .. ومع هذا فقد كان يعتمد أحياناً على الصحفي اليهودى الذى أسلم يعقوب بن صنوع .. يبدو أن جمال الدين الأفغانى لفائد الدين العظيم كان من دهاة السياسيين أيضاً .

جلال :

أول اسم من أسماء « جلال » في أرشيفي الصحفي هو اسم جلال الحامصي .

لقد دخل جلال الحامصي دنيا الصحافة منذ ثلاث وثلاثين سنة من باب .. الرياضة .. كان أول أمره ناقداً رياضياً .. وكشاف تخرج في كلية الهندسة لم يعجبه إخراج ركن الرياضة .. فأعاد تبويبه على نحو رشحه لأن يكون سكرتير تحرير .. ثم ما لبث سكرتير التحرير أن صار رئيساً للتحرير ..

لقد عرفت جلال منذ نشأته الصحفية شاباً أديباً ، لكن هذه الأناقة لم تمنعه من الداومة منذ صباه على أداء للفرائض الدينية كلها في مواعيدها .. إن دقة المواعيد كانت دائماً جزءاً من شخصيته ، فهو في الساعة صباحاً يؤدي تحية الصباح لمعاونيه في العمل ، وفي الساعة الحادية عشرة يتمتع عن مقابلة الزائرين وفي الساعة الواحدة بعد الظهر يقوم بالرياضة للشئ من دار الجريدة إلى بيته ..

إن دقة مواعيد جلال الحامصي تنبع من اعتزازه بكرامته .. فإما من عمل صحفي تولاه أو تولى عنه إلا وكانت الكرامة سيده إليه أو سيده عنه ومع هذا الاعتزاز كله فإنك لا تكاد تشعر في مخالطته بأنه يستعلي على أحد أو يخاضع لأحد .

لقد كانت بيني وبينه معارك كثيرة ونحن وكيلان لنقابة الصحفيين لكنني ما رأيت زميلاً يخاضعك في الرأي كجلال .. إن ذرة من وده

أو صداقته لا يمكن أن تتأثر بهذه الخاصة الفكرية .. إنك تجد دائماً عفيف القلب والقلم واللسان .

كان جلال الحمامى يسدو خارج عمله واحداً من — أولاد النوات — لكنتك إذا دخلت مكتبه وجدت رجلاً لا يختلف كثيراً عن العمال .. في مكتبه طاولة عليها مساطر ومثلثات وأقلام لهم وألوان .. وهو بهذه الأدوات قد أنشأ مدرسة جديدة في الإخراج الصحفي ينتشر الآن تلاميذها في كل أركان الصحافة دون أن يشعر أحداً بأن مؤسس هذه المدرسة وأستاذها هو جلال الحمامى :



مجايب حرف الخاء

أليس عجيباً أن الحرف الأول من كلمة « حظ » هو نفس الحرف الذي تبدأ به أجل كلمة في الحياة وهي كلمة « حب » بل أن كلمة « حياة » ذاتها تبدأ بنفس الحرف الذي تبدأ به كلمة « حظ » وكذلك كلمة « حرية » وإن كانت تبدأ به كلمات ذات معان مضادة مثل كلمة « حرب » و كلمة « حسد » .. أقول هذا وأنا أعرف أن الجرب قد تكون حياة وإن الحسد في رأي بعض العلماء نوع من أنواع الجاذبية ولكنها جاذبية مضادة .. هذه مقدمة لا بد منها في هذا الأرشيف ونحن نتحرك نحو حرف الخاء . وهو حرف على غناء في المعاني ليس غنياً في علم الأسماء بهذا القدر .

* حافظ

اسم حافظ ليس من الأسماء الشعرية .. لكن أغلب حاملي هذا الاسم كانوا شعراء أو كان لهم بعض سمات الشعراء .. ومن أولئك الشعراء حافظ الشيرازي قديماً وحافظ جميل حديثاً .. ثم حافظ إبراهيم الذي لا يذكر عصر النهضة في الشعر العربي المعاصر إلا ويذكر اسمه .

كان حافظ إبراهيم ثاني اثنين من شعراء الجيل الأول في القرن العشرين وبرغم مرور أكثر من جيل على وفاة شوقي وحافظ اللذين توفيا في عام واحد ، وهو عام ١٩٣٢ — فإن للفراغ الذي تركاه لم يشغله أحد حتى الآن . لأن عبقرية الشعر قد اختفت من بلادنا بل

لأن الجو الذي عاش فيه قد تغير تغيراً جذرياً في حياتنا العسكرية .
ولقد عرف الناس حافظ إبراهيم شاعراً ، لكنهم ، إلا قليلاً منهم
لا يذكرون أنه كان ضابطاً .. كان ضابطاً في جيش مصر الذي
دخل السودان في نهايات القرن التاسع عشر ثم تمرد على رؤسائه وكانوا
من الإنجليز ، فصل من الجيش ، فظل مشرداً يبحث عن عمل مجرى
عليه الرزق حوالي عشر سنين .. وفي هذه الفترة قال حافظ أعظم
قصائد البؤس في حياته ومن هذه القصائد ما يصف فيه خيبة مساعيه
في الحصول على عمل .. يقول في مطلع إحداها :

سعت إلى أن كدت أتعل الدما وأبت وما أعقت إلا التندما
في هذه الفترة من حياته ترجم حافظ إبراهيم قصة البؤساء أروع
روائع فيكتور هيجو وقيل يومئذ أن حافظ قد استطاع في هذه
الترجمة أن يدخل بأسلوبه في تلايف عقل المؤلف للفرنسي ، مع أنه
لم يكن بهذا القدر من قوة للتأدية الأدب للفرنسي ، لكنه في ترجمته
لقصة (البؤساء) إنما كان يترجم أحاسيسه الخاصة ..

ثم انتقل من دنيا الصعكة إلى دنيا الوظائف الكبرى حيث عين
في وظيفة من وظائف الدرجة الأولى مباشرة .. وهي وظيفة الوكيل
للعام لدار الكتب .. واطمأن حافظ في هذه الوظيفة إلى رزقه ، لكن
شاعرية الشقاء لم تفارقه إلى آخر حياته ، فعرف بأنه أبلغ شعراء
الرائي في عصره .. وهذا هو السر في أن شوقي أمير الشعراء قد تمنى
يوم وفاة حافظ لو كان السباق إلى الوفاة كي يحظى برثاء حافظ ،

وهذا واضح في مرثية شوقي لحافظ التي يقول في مطلعها :
قد كنت أوتر أن تقول رثائي يا نصف اللواتي من الأحياء
كان شوقي يظن أن يرثيه حافظ كما رثى هو سعداً بقوله .
شبعوا الشمس ومالوا بضحاها وأنحنى للشرق عليها فبكاهها
لكن الله أكرم حافظاً بأن كان للسباق إلى الوفاة كي يرثيه أمير
الشعراء الذي لحق به إلى العالم الآخر بعد نصف عام فقط .
إن للتصوير الدقيق لحافظ وشوقي أن حافظاً كان يحظى بحب
الجمهور وأن شوقي كان يحظى باحترامها .

ويبدو أن أبي كان من عشاق حافظ فأسماني باسمه .. ومن
يدري .. ربما كان أبي يتمني أن أكون شاعراً مثله .. وقد بحثت
في أرشيفي الذهني عساي أجود في مستهل حياتي شيئاً من الشعر فلم
أعثر على تصائد كاملة لكنني عثرت على الأخيصة التي كنت أكتبها في
صباي الباكر ،

إنني تخيلت في هذه المقالات الحلول لمشكلة اللواصلات التي ظهرت
فيما بعد ومنها أن خطوط المترو ستمتد على قاطر تعلوا سطح المساكن
في طول المدينة وعرضها وأن التrolley باس — الذي يسير فوق الأرض
سيجعل في عجلاته قضباناً تفرد ثم تطوى مع العجلات بحيث لا يرى
للناس قضباناً ممتدة على أرضية الطريق .. وأن بعض السيارات العامة
ستكون قادرة على السير فوق الماء .. وأن البعض سوف يسير بالطاقة
الشمسية ..

ثم تخيلت الحلول لأزمة الساكن التي ظهرت فيها بعد .. بأن المدينة
سنعمر بالقنادق التي يشمل كل منها على عدد من الشقق الصغيرة التي
تصلح كل منها لسكنى عائلة لا يكون الساكن فيها مسئولاً عن تدبير
شئون مسكنه حيث تكون كل النساء والبنات من العاملات وأن غرف
هذه الساكن ستبدو فارغة ، لكنك إذا ضغطت زراً برزت من
الحائط المائدة أو السرير أو الأدرج التي تحمل الثياب وغير الثياب .

وذهب بي خيال الصبي في مستقبل بلادي إلى أن علماء سيظهرون
بها ، فيكشف أحدهم الدورة الأثيرية ، أي دورة الجسم الأثيري الذي
يقول العلم إنه يحيط بأجسامنا إلى ما بعد الموت .. وأن علامة مصرية
شابة سوف تكتشف للعلاقة بين المادة والروح ، .. فيعتبرها العالم كله
في عداد الأنبياء ، وتدعى لزيارة كل دول أوربا وأمريكا لنشر هذه
الرسالة الجديدة التي ترد إلى الناس إيمانهم بالروح عن طريق مكتشفات
مادية جديدة .

إلى هذا الحد بلغت أختي في صباي .. وهذا دليل جي على أن
لفكر الإنسانى يتجه بنا خلال الصبي إلى المستقبل ، فإذا ما تقدمت
بنا السنون تلفتنا إلى للماضى لتكتب وتقرأ عنه .. وليس في هذا
تناقض ولا رجعية كما يظن البعض .. فما من مستقبل إلا وهو صفيحة
للماضى ..

حسن :

إننى حين أتلفت إلى الماضى أذكر ذلك الشاب الوسيم الفارع الذى

ساهم بنصيب مجهول في تكوين جيلنا .. الشاب الذي قام بمغامرات قل
أن يكون غيره قد قام بمثلها .. ومع هذا فقد نسيه الكثيرون .. ولم
يعد يذكره الآن إلا أعضاء نادي للعادي الذين يقضي أوقات فراغه في
شيخوخته بينهم .

فنحن حين دخلنا دنيا الصحافة طلاباً نتدرب على الأعمال الصحفية
كما تنظر بإعجاب إلى (حسن صبحي) النصاص الذي كان ينشر
قصص (أوراق البردي) في جريدة (السياسة الأسبوعية) .
من أين جاء حسن صبحي خريج كلية الآداب بهذه الأقاصيص
الفرحانية للفريدة ؟

لقد كان أحد العشرة الأوائل الذي (تطوعوا) للالتحاق بمعهد
الآثار القديمة ثم تخرجوا بعد ثلاث سنوات ليخلفوا علماء الآثار
المصرية الأجانب وأصبحوا كلهم عدا حسن صبحي — أئمة علوم
الحفريات وأساتذتها ومديري أعمالها .. أما حسن صبحي ، تلك
أولئك المتخرجين العشرة .. فقد آثر الصحافة ..

كان دخوله الصحافة مغامرة .. مغامرة على الأقل بالوظائف التي
كانت تنتظره ، بل الوظائف التي كان يشغلها بالفعل ، ومنها نظارة
مدرسة .. لكن حياة حسن صبحي ذاتها كانت مغامرة .

لقد انتقل ، دون مقدمات ، من جريدة السياسة الأسبوعية إلى
جريدة البلاغ فأنشأ فيها ، لأول مرة في الصحافة اليومية للسائية ،
صفحة أخيرة مصورة .. لكن روح المغامرة لم تتركه في هذه الصفحة
الناجحة لحاله ، فإذا به يهاجر إلى السودان .. وفي السودان أنشأ

حسن صبحى بشكليف سودانى أول جريدة يومية سودانية فى الثلاثينيات . وهى جريدة (النيل) . . . وعلى الرغم من أن هذه الجريدة قد احتلت مكانة رفعت حسن صبحى إلى اصدارة الصحافة إلا أن روح الغامرة عادت به إلى القاهرة .

عاد إلى القاهرة لينشئ مكتباً للسياحة قبل أن تكون للقاهرة قد رأت أو سمعت من المكاتب السياحية الوطنية ، وغامر حسن فى هذا المشروع فى مواجهة الأجانب إلى الدرجة التى اضطرت به إلى أن يبيع ملابسه . . لكن أى خيط دون خيط اليأس لم يمر برأسه ، فتقدم بمشروعه السياحى إلى الزعيم الاقتصادى طلعت حرب ، ولأول مرة تدخل السياحة فى مشروعات بنك مصر ، وأصبح حسن صبحى مدير مكتب مصر للسياحة .

كان يمكن لحسن صبحى أن يقف عند هذه للغامرة دون غيرها بعد أن أصبح فى عداد مديرى الشركات . . لكن عمله كمدير لمكتب مصر للسياحة وما كان يتيح له من التجوال بين أنحاء العالم الخارجى قد فتح شهته مرة أخرى لاصحافة . . فعاد ليعمل محرراً مرة ، ومرة أخرى ينشئ له حساب صحفى أسبوعية مختلفة الألوان حتى استقر أخيراً على مشروع صحفى فريد فى نوعه ، ألا وهو إصدار صحيفة أسبوعية تنطق بالسان ضاحية للسادى ، وهى للصحيفة التى تصدر بانتظام منذ سنين .

وتدريعلم الكثيرون أن حسن صبحى صاحب هذه الصحيفة الفتية ومحررها شاب متوثب وهو فوق السبعين . من عمره لا يقلل من

أنشطته أنه فقد بصره .. أنه مازال يحجوب العالم الخارجي داعياً لبلاده
وليزود صحيفته للصغيرة التي لا تتخطى ضاحية المعادى بالمسادة التي تعنى
بها كبريات الصحف في كل العواصم الكبرى .

حرف الخاء

* خطأ وخطيئة

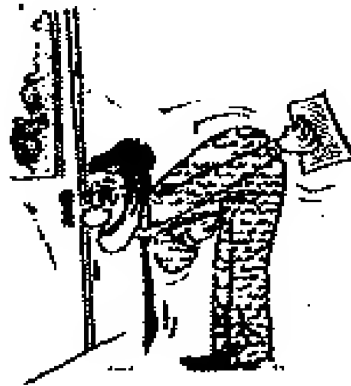
ربما كانت أشهر كلمة في باب حرف الخاء هي كلمة خطيئة
وترجع شهرة هذه الكلمة إلى بدء الخليفة الإنسانية . فخطيئة آدم
التي أغرتة بها حواء هي التي كانت للسبب في خروجها من الجنة —
كما تقول الكتب المقدسة — إلى الأرض لكي ينشأ فيها العمران
فالاستغفار عن الخطيئة له علاقة بعمران الأرض ، وربما كان هذا
هو السبب في كثرة ترديد السيد المسيح لكلمة خطيئة من باب
التحذير والدعوة إلى طرق أبواب الغفران ، وبالتالى طرق أبواب
العمران .

ويبدو أن كلمة (خطأ) هي للذكر لكلمة خطيئة ، فالخطيئة
كالمرأة تحمل معنى الإغراء ، والخطأ كالرجل الذى يستجيب لهذا
الإغراء ، ولما كانت الاستجابة إلى الإغراء طبيعة في الإنسان
يتبعها ثم يقاومها ثم يستغفر عنها ويتجنبها — فقد اقترنت كلمة خطأ
بكلمة تجزية .. فالجربون هم الذين يمارسون الخطأ اضطراراً لكي
يتجنبوه من بعد اختيار . وفي هذا المعنى يقول برناردشو (إن الأديب
يلطخ يديه في الوخل لكي يرى الناس أن هذا وحل)

• خبطة :

وفي دنيا الأدب معركة أثارها الصحفيون للصريون الذين يستخدمون كلمة (خبطة) صحفية تعبيرا منهم عن الخبر أو الموضوع الذي يمتاز بسبق صحفي بهز وجدان القراء . . ذلك أن كلمة (خبطة) من كلمات الالمجة العامة التي لا مرجع لها في الفصحى . . فالحبط في اللغة العربية هو الضرب بقدم البعير على الأرض . . . تصور أي وضع يضع فيه أنفسهم أولئك الصحفيون الذين يستخدمون كلمة (خبطة) صحفية .

ومع هذا . . لحنى الآن لم يظهر بدليل لنوى يبنى بلفظ قصيع واحد عن كلمة (خبطة) كما يستعملها بعض الصحفيين . . والخطاب — والخطاب أيضا من أسماء حرف الخاء — . الخطاب هنا ،وجه إلى أساتذتنا أعضاء المجمع .



الدساتير المصرية الستة

الأرشفيف الصحفي ، كالعامل الصحفي ، ليست الأسماء فيه هي كل شيء . . . إن الأحداث في الصحافة أهم من الأسماء بكثير ، فقد يكون أمام المحرر مقال لصاحب اسم كبير اسم لامع . . ثم تأتي الأخبار بحادث — فلا أيسر على المحرر أن يرجي نشر مقال صاحب الاسم لللامع ، بل أحياناً يمزقه لينسجح الطريق إلى للطبعة لتفاصيل الحادث الذي وصل إليه . . إن أي اسم في العمل الصحفي ، مهما كبر ، إذا لم يقتن بجبر أو بموضوع أو حادث ، لا يهم الصحفيين كثيراً .. والأرشفيف الصحفي أيضاً له مثل هذا الطابع .. نجد فيه أسماء كثيراً ما تتوارى في الأرشفيف أمام الأحداث أو للوجودات الأخرى التي تصادف الصحفي في حياته ..

حرف الدال

دائرة المعارف :

إن دائرة المعارف هي التوأم للأرشفيف عند الصحفيين .. كل الصحفيون قد يعرفون دائرة المعارف البريطانية ودوائر المعارف باللغات الأخرى .. إلا باللغة العربية .

لقد كان من أسس التفكير في إنشاء المجمع اللغوي منذ أربعين عاماً أن يتوفر على وضع دائرة معارف عربية — ومع أن المجمع

للمصرى قد قطع من عمره زهاء ثلث قرن ومع أن المجمع السورى قد قطع من عمره زهاء نصف قرن — فإن أحد المجمعين لم يصل بعد إلى وضع دائرة المعارف العربية .

هذا الجهد الجبار فى وضع دائرة معارف .. البجد الذى ماتزال تهيبه الجامع قد أقدم عليه فى الجيل الأسبق رجلا ن ، كل منهما على حدة .. الأول هو الأديب للمصرى محمد فريد و جدى .. وأنا ، بجم للنشأة لم أعرف الثانى ، لكننى عرفت فريد و جدى .

كان فريد و جدى قبل نصف قرن صحفياً يصدر جريدة يومية اسمها « الدستور » وهو الاسم الذى اختاره زميلنا للرحوم محمد خالد لجريدته بعد أن اختفت جريدة فريد و جدى .. لقد اختفت جريدة و جدى لأن عقلية الفلسفية لم تتش مع العقلية السياسية التى كانت تسود عصره ..

نقل فريد و جدى حروف مطبعة الجريدة ، بعد توقفها إلى بيته بحى النيرة .. فشغل بصناديقها غرقتين من غرف الطابق الأول لمنزله — أما الغرقتان الأخرى . فكانت إحداهما له ، والثانية لسكرتيره ..

كان فريد و جدى وسكرتيره « مصطفى افندى العلوى » راهبى فى محراب العلم وقد أثمرت هذه الرهبة العلمية زهاء سبعة وعشرين مجلداً متوسط الحجم أطلق عليها فريد و جدى « دائرة المعارف » . وقد اشتهرت هذه المجلدات على عهد صباتنا باسم « دائرة معارف

وجدى » .. أين ذهبت هذه الشهرة لست أدري .

لقد امتازت دائرة معارف وجدى بما فيها من بحوث علمية فلسفية
روحية ..

.. إن المؤلف نفسه كان فيلسوفاً في حياته .. كان يعكف على
كتبه منذ الشروق إلى الغروب في البحث وراء الحروف وما تحمله
من معان العلم والحكمة .. حتى إذا غربت الشمس — سحب سكرتيه
في جولة على الأقدام حول حى النيرة والأحياء المجاورة .. وكنا
ونحن صبية نقف في ساعة الغروب في مكان ما لنشهد مسيرة هذين
الرجلين اللذين لا يفرقان أبداً واللذين يسدوان وكأنهما عودان من
عيدان القصب لا يكسوها اللحم .. لقد كان كل منهما نباتياً لم يعرف
طعم اللحوم في حياته .

ومع أن « دائرة معارف وجدى » هي دائرة للمعارف المصرية
الوجيدة حتى الآن فقد أنكرها الكثيرون بعد أن أفاد منها
الكثيرون .. ولست أدري أين البديل ؟ !

الدوائر :

إن كلمة « دوائر ، ومفردها دائرة » كانت تطلق في الأجيال
السابقة بمصر على الدواوين التي كان الأمراء يفتشونها لإدارة
أموالهم .. أو إقطاعهم .. وقد قلدهم في هذا الأسلوب كل
الإقطاعيين .. فكان من المؤلف في تلك الأجيال أن ترى على بعض
اللياني اللافتات المكتوب عليها « دائرة الأمير فلان أو الأميرة

فلانة» أو دائرة أولاد فلان بلشا .

وكانت هذه «الدوائر» منها كبيراً للوزراء والمحافظين وللمدبرين
السابقين حيث كان أصحاب هذه الدوائر غالباً ما يفضون معظم حياتهم
أو نصفها في الخارج وحيث يكونون بحاجة إلى رجال ذوي خبرات
ومقامات وتعود لينوبوا عنهم في دائرة أعمالهم .

ولقد كان مستوى كل دائرة يرتفع بارتفاع مقام للشرف على
أعمالها .. لقد بلغ التنافس في هذا الميدان إلى درجة أن رئيس وزراء
سابقاً وهو المرحوم علي ماهر ، كان إذا خرج من الوزارة تولى
إدارة أعمال دائرة الأمير سيف الدين ..

دائرة انتخاية :

على أن كلمة دائرة ما لبثت بعد ذبوع أنشطة الانتخابات البرلمانية
إن أطلقت على أسماء للناطق التي يرشح فيها المرشحون أنفسهم لعضوية
البرلمان .. وكان من مهام الأحزاب القيام بعملية «تقسيم الدوائر»
بين المرشحين ، فمن كان مشهوداً له من الحزب أعطى دائرة «تسمى
الدائرة للقفل» أي أن الحزب لا يسمح بترشيح أحد في هذه الدائرة
غير هذا المرشح أما الدوائر الأخرى فتسمى دوائر مفتوحة ، أي أن
لكل إنسان أن يرشح نفسه فيها .. وكان كثير من المرشحين يتنافسون
للحصول على الدوائر للقفل .

وأطرف قصة تروى عن الدوائر الانتخابية أن المرحوم ويصا
واصف كان يرأس ذات يوم جلسة مجلس النواب بوصفه وكيلًا

للمجلس سنة ١٩٢٧ ، وجاء رئيس المجلس سعد زغلول بمد يديه
الجلسة فجلس في صفوف الأعضاء ، وخطر له أن يرفع يده ليرسل
الكلمة ، فإذا يوبصا واصف لا يناديه بشيء من ألقابه .. إنما قال :
الكلمة لنائب السيدة زينب .. وهى الدائرة التى كان سعد
منتخباً فيها ..

أما أطرف نسكته تروى عن بعض المجالس النيابية فى هذا المجال —
فهى أن رئيس المجلس نادى للكلام نائباً أسماه بنائب دائرة « نمره »
فإذا بعشرة نواب يتزاحون على منبر الخطابة فى المجلس ..

دستور :

إن الحياة البرلمانية تقوم أساساً على الدستور والدستور فى لغة
الشرعين هو قانون القوانين .. وقد شهدت مصر فى أقل من تسعين
عاماً ستة دساتير : صدر الدستور الأول فى ٨ فبراير سنة ١٨٨٢ وقد
حل مجلس النواب الذى أصدره فور صدوره مع أنه لم يكن قد اكتمل
من عمره شهرين اثنين . وجاء الاحتلال البريطانى فى صيف سنة ١٨٨٢
ففسح هذا الدستور فى خير كان .

وظلت مصر بلا دستور أربعين عاماً إلى أن صدر الدستور المنبثق
عن ثورة سنة ١٩١٩ .. وكان صدوره فى يوم ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣
وقد أُلغى هذا الدستور فى سنة ١٩٣٥ وحل محله دستور ما ، هو
الدستور الثالث الذى أُلغى هو الآخر فى سنة ١٩٣٦ وطد دستور سنة
١٩٢٣ إلى مكانه .. وهو الدستور الذى ظل معمولاً به إلى أن قامت

ثوره ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وقامت في إثرها فترة انتقال لمدة ثلاث سنين تبدأ من ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ حيث صدر الدستور الأول بعد قيام هذه الثورة . وهو الدستور الرابع في تاريخ الدساتير المصرية المعاصرة وذلك في منتصف يناير سنة ١٩٥٦

فلما قامت الوحدة الدستورية بين مصر وسورية في ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ كان لا بد من أن يصدر عنها دستور جديد وهو الدستور الصادر في ٥ مارس سنة ١٩٥٨ وكان ترتيبه الخامس في تاريخ الدساتير المصرية المعاصرة .. أما الدستور السادس فهو الدستور المعمول به حالياً

دستوريون :

إن الأرشيف الذهني يعتمد في ترتيبه على تداعي للعاني .. ومن هنا فإننا نجد أن كلمة « دستور » تلحق بها كلمة « دستوريون » .. والدستوريون هم الذين شكلوا أول حزب انشق على الوفد للمصري في أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ واتخذوا له اسم « حزب الأحرار الدستوريين »

إن هناك غموضاً يكتنف هذا الحزب في التاريخ .. وقد نشأ هذا الغموض نتيجة لأن مؤسسي هذا الحزب كانوا هم الأغلبية بين أعضاء « الوفد » الذي وكلته الأمة في سنة ١٩١٩ للدفاع عن حقوقها ، ثم اختلفت هذه « الأغلبية » مع رئيس الوفد سعد زغلول « ياشا » لكن سعداً كان قد وصل إلى زعامة الشعب فلم يعد انفصال أغلبية

أعضاء الوفد عنه بالشيء الذي يرضيه لأن أغلبية الشعب كانت معه ..
ولقد انتهالت الاتهامات على أولئك المنشقين على سعد نتيجة لأن
وسائل الإعلام وكانت تتلخص في الصحافة ، كانت كلها مع
سعد زغلول : وكانت إنشاء أية صحيفة تعارض سعداً يعنى
الخسران .. ولهذا تصور الناس خطأ أن الأحرار الدستوريين قد
وجدوا التصفية الثورة التي أخذت طابعاً ساعدياً .. وقد يكون هذا
صحيحاً إذا هم خرجوا على الإجماع ، وألقوا حزباً خلال ثورة الشعب
في سنة ١٩١٩ .. لكن الذي حدث هو أن حزب الأحرار الدستوريين
لم يتشكل إلا بعد وضع الدستور والاستعداد لإجراء الانتخابات
البرلمانية التي كان النظام الدستوري فيها يتطلب أن يكون هناك مؤيدون
ومعارضون فالدستوريون قد أنشأوا حزباً للمعارضة ، ولم
يظهر هذا الحزب إلا في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ أى بعد أن كانت
مسودة الدستور قد وضعت وبعد أن تحولات الثورة بالفعل إلى عمل
سياسي يتخذ الحياة النيابية سبيلاً له .

وليس شك أن للدستوريين ، كما نعيمهم ، أخطاء سياسية كوقف
للعدل بالدستور في بعض شهور سنتي ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ .. لكن الذي
ينسأه الكثيرون بما فهم بعض المؤرخين أن هذه الجماعة هي التي
وضعت الدستور الذي تمسكت به الأمة زهاء ثلاثين سنة ..

ومع هذا فإن الدستوريين الذين ظهر حزبهم في أخريات سنة
١٩٢٢ لم يكونوا أول دعاة الحياة الدستورية .. لقد سبقهم في هذه

مصطفى كامل ، وسبق مصطفى كامل الشيخ على يوسف صاحب
جريدة المؤيد الذي شكل من خلال جريدته قبل عامين حزبا باسم
« حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » .

لقد كان الدستور ، هو النقطة التي لاختلاف عليها بين كل
أساسة .. إنما كان الخلاف في التفاصيل .. وفي أساليب التطبيق
السياسي .



الاحتمالات السياسية الأربعة

في اللغة العربية حرفان شقيان ، و « شقيان » هنا يمكن ردها إلى « الشقاء » باللهجة الفصحى ويمكن ردها إلى « للشقاوة » باللهجة العامية الحرفان هما : اثناء والذال .. فلكي تنطق هذين الحرفين نطقاً سليماً لا بد من إخراج اللسان قليلاً .. وحين كنا تلاميذ صفراً كنا نتحاشى استخدام هذين الحرفين ما أمكن حتى لا تعرض لعصا المعلم إذا لم نخرج لساننا .. كان أسعد التلاميذ في نطق هذين الحرفين هو « الأثنغ » الذي ينطق السين ثاء .. وقد استطاع أكثر من « أثنغ » أن يتحدى ويتفوق على غيره حتى في فنون التعبير كمحمد عبد الوهاب الذي صار أشهر من منذ الجيل الماضي إلى الجيل الحاضر بل وربما الجيل للقبل .. لهذه الأسباب كانت الأسماء التي تبدأ بحرف اللاء قليلة ، وأقل منها الأسماء التي تبدأ بحرف الذال .

حرف الذال

ذكرى :

إن أشهر كلمة تبدأ بحرف الذال هي كلمة « ذكرى » وهي كلمة قد تكون حزينة أشد الحزن وقد تكون سعيدة أكثر السعادة .. كان الصديق والزميل الراحل دكتور محمد مندور إذا اختلفنا على شيء .. هل هذا الشيء قد حدث بالفعل أو أنه لم يحدث بعد كان يردد حكمة جميلة يقول : « أن يكون أملاً خير من أن يكون ذكرى » .. لكن

الحزب الذي كان ينتمي إليه مندور في الماضي ، وهو الوفد ، كان له رأى آخر .. كان يرى — ككل أحزاب للماضى — أن «الذكرى» تنفع الناس جميعاً .. ولهذا كانت أكبر حفلة يقيمها حزب الوفد هي حفلة « ذكرى سعب » في ٢٣ أغسطس من كل عام .. وكذلك كان يفعل حزب الأحرار الدستوريين في الاحتفال بذكرى زعيمهم الراحل محمد محمود في ٣١ يناير .. ومن قبلهم كان الحزب الوطني مداوم على الاحتفال بذكرى مصطفى كامل في ١١ فبراير ..

زعيم وطنى واحد لم يحظ بالاحتفال بذكراده ، كما لم يحظ بشيء في حياته هو محمد فريد .. فقد ظلت ذكرى فريد منسية خمسين عاماً — إلى أن تذكرها الأستاذ فتحى رضوان في نوفمبر سنة ١٩٦٩ ، فأقام لها حفلاً كبيراً بدار الأوبرا .. وحتى في هذه الحفلة قد لاحق الحظ فريداً ، قبل أن أقام الحفلة في الحادى عشر من نوفمبر — وهو تاريخ وفاة فريد — لم تقم إلا في ٢٢ نوفمبر أى بعد موعدها بأحد عشر يوماً ،

إن حفلات الذكرى الثلاث التى كانت تقيمها الأحزاب في للماضى ، بالإضافة إلى ذكرى يوم ١٣ نوفمبر ، يوم المطالبة بالاستقلال ، التى سبقت ثورة سنة ١٩١٩ هذه الحفلات الأربع كانت هي التوافذ السياسية الأربع التى تطل على مسيرة الأحداث في البلاد حيث كان كل زعيم حزب يدخر ما يريد أن يقوله للخطاب الذى سيلقيه في هذه المناسبة وبهذا كانت تتحول هذه «الذكريات» إلى مؤتمرات سياسية ليس لأصحاب الذكرى فيها غير العنوان فقط !.

حرف الراء

رشدى :

أشهر الأسماء التى تبدأ بحرف الراء هو اسم « رشدى » فى الجليل
الماضى هو حسين رشدى « باشا » رجل التاريخ الذى ظلمه التاريخ
لقد تولى حسين رشدى الوزارة مرات فى ظروف يعتبر كل ظرف
منها نقطة تحول فى تاريخ البلاد .. فهو رئيس الوزراء فى وزارة سنة
١٩١٤ للسنة التى أسلمت فيها الحرب العالمية الأولى وأعلنت فيها بريطانيا
الحماية على مصر .. وتحت حكم « الحماية » البريطانية نفى الخديو
عباس وعين حسين رشدى قائمقام خديو إلى حين تعيين خلف
للخديو المنفى ..

بعض المؤرخين يحملون رشدى مسئولية قبول هذا المنصب تحت
هذه الظروف يدوان هذا البعض لا يعرف أن بريطانيا كانت
تهدد يومئذ بتعيين أحد الأجانب ، مثل أغاخان وغيره رئيساً للدولة
فى مصر وتعيين وزراء لرئيس الدولة من الإنجليز .. فقبول حسين
رشدى هذه المسئولية قد أعنى مصر من أن يؤول الحكم فيها إلى
نظام المستعمرات التى لا يشترك أبناؤها فى الحكم بأى قدر أو
أية صورة .

صحيح إن أعباء ثقيلة قد فرضت على كاهل الشعب المصرى فى هذه
لفترة لكنها كانت الحرب .. وما إن علم بأن هناك اتجاهات لتشكيل
« وفد » يمثل الشعب المصرى لتحقيق هذا المطلب حتى أفسح رشدى

لطريق أمام هذا ألوفد .. كان رئيس الوزراء رشدي هو الذي يعطي التعليمات السرية للعمد والمشايج بجمع التوكيلات والاكتتابات للوفد ، وحين وجه التندوب الساسي للبريطاني نظره إلى ذلك أجابه صراحة بأن هذه حتمية الأمور ..

وصحيح أن رشدي كانت له من بعد آراء أخرى في التفاصيل .. لكن .. يكفي أنه حين كلف بتشكيل وزارته الأخيرة قد اعتذر عنها فطلت البلاد بنير وزارة شهوراً حتى اضطر الإنجليز إلى الموافقة على بعض شروط ثروت « باشا » لتشكيل الوزارة ، ومنها إلغاء الحماية على مصر

لم يذكر المؤرخون ، إلا قليلاً ، هذا الوجه من صورة رشدي وإن ذكروا الوجه للضاد من هذه الصورة ، إلى أن خطب سعد زغلول في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ مبشراً بالائتلاف بين الأحزاب وبين السياسة جميعاً فذكر أسماء الذين كان لهم سهم في دفع الحركة الوطنية من بدايتها ، وفي مقدمتهم مصطفى كامل قبل حركة سنة ١٩١٩ ، وحسين رشدي عند مولد حركة سنة ١٩١٩ .

رخا :

لا أستطيع أن أتجول عن حرف الراء دون أن أذكر « رخا » أحد رفاق السلاح في مهنة الصحافة .. « بالكمال » عهد عبد النعم رخا .. وأول مرة رأيته فيها في الثلاثينيات كنا كلانا نزيلين في سجن الاستئناف .. أنا لبعض أسابيع ، وهو لأربع سنوات حكم بها عليه

حكا مشمولاً بالأشغال الشاقة لانهامه بما كان يسمى « العيب في الذات الملكية » .

كان عجيباً أن يتم رسام بالعيب في الذات الملكية .. وهو العيب الذي لم يكن يتم قانوناً إلا بالكلام المكتوب ورخا رسام ، لكن هذا الرسام الشاب استطاع بفنه المتكرر أن يرسم ماتراه رخماً كاريكاتورياً عادياً ، فإذا قلبت الرسم على أحد جوانبه تحول الرسم إلى كلام ، وكان هذا الكلام يمثل القذف في حق الملك فؤاد بعد أن ضاعفته يد مدسوسة عند حفر الرسم للإيقاع برخا ومع أنه لم يكن إلا مبعراً عما يقوله عامة الشعب في كل مجالاتهم الخاصة دون عقاب .. فقد عوقب لأنه قل رأى عامة الشعب .. لكن هل أفادت هذه العقوبة القاسية في تحول رخا الرسام عن شعبيته . . . كلا .

لئن رخا تد تعلم رسم الكاريكاتير من الشعب .. تعلم هذا الفن من حواري حتى عابدين حيث كان للتناقض قوياً بين قصر الملك في هذا الحى وبين سكان الحى الآخرين .

تقد أفاد رخا في فنه من رسوم « ساتس » أول رسام كاريكاتير أجنبي استقدمته الصحافة المصرية منذ نصف قرن .. لكن ساتس أو غيره من زعماء الكاريكاتير الأجانب لم يستطيعوا فرض شخصيتهم الفنية على رخا .. فرخا هو الذي خلق في الشخصيات الكاريكاتورية التي تميز عن آلام الشعب وسخريته ، ومن هذه الشخصيات الكاريكاتورية . المصري افندى وميمى بك ومخضوض باشا ، ورفيعة

هائم .. فشكل شخصية من هذه الشخصيات كانت تسبر عن واقع اجتماعي أو سياسي ملموس .. مهما بلغ من فن السكاريكتست الأجانب فإن أحداً منهم لم يستطع بالطبع أن يصل إلى ما وصل إليه رضا من تمثيل فن السكاريكتير في صحافتنا .

فرخا هو صاحب مدرسة السكاريكتير المصرية في الصحافة . وهو أستاذ هذه المدرسة الأول ، وقد يكون بعض تلاميذ هذه المدرسة قد نبغ نبوغاً قنياً لم يدركه رضا ، لكن رضا سيظل دائماً هو مؤسس هذه المدرسة في تاريخ الصحافة المصرية .

لقد عمل دمي رضا حين كنت رئيساً لتحرير جريدة « السياسة الأسبوعية » وزماني في مجال نقابة الصحفيين سواء حين كنت عضواً أو قنياً . فكنت أجد فيه شيئاً أعجب من قبه . . . هذا الشيء هو قلبه .. إن رضا في صباه وشبابه وكهوله على السواء له قلب طفل .

ذات مرة في أحد انتخابات نقابة الصحفيين جاءني رضا ليقول لي في براوة الأطفال « أنا سأحاربك حتى تسقط » . فلما لم أسقط جاءني ليقول لي : أنا عملت المستحيل لإسقاطك أما وقد نجحت فلا بد أن يكون خصومك قد غشوني .

وفي هذه الواقعة بكل جوانبها تبرز شخصية محمد عبد النعم رضا . . . الرسام .. والإنسان . . .

رودلف فالتينو :

سأخرج على تقاليد هذا الأرشييف مرة وأنا أختتم حرف (الراء) باسم أنجي . . لكن عذري أو يعرض عذري أن جميع فتية وفتيات أواخر العشرينيات — وأنا منهم — كانوا يحفظون هذا الإسم . . إسم رودلف فالتينو . . لقد تحول هذا الإسم في أواخر العشرينيات إلى أسطورة . . أسطورة حب تغلب على كل أساطير روميو وجولييت وقيس وليلى . .

كان رودلف فالتينو نجما من نجوم سينما هوليوود ، ويبدو من إسمه أنه كان إيطالي المولد . . كان أول أمره عاملا من عمال استديوهات للسينما ، ثم اكتشفه المخرجون فلماذا به بعد ثلاث سنوات فقط يغدو أشهر نجم سينمائي في العالم وهو في السابعة والعشرين من عمره . . وترجع هذه الشهرة كلها إلى الدور الذي مثل فيه حياة أمير عربي تجرى وراءه — الحسان . . لقد تحول هذا الخيال إلى حقيقة . . فبدأت حسانوات هليود بالسعي إلى فالتينو . ثم تبعهن حسانوات الولايات الأمريكية للتحدة كلها . . ثم سائر حسانوات العالم . .

لقد كانت صورة رودلف كثيراً ما تشاهد بين طيات السكيب والكراريس في مدارس البنات . . كانت صورته كثيراً ما تشاهد في الإطارات المعدنية فوق (للتسريحة) في غرف ملايين النساء في جميع أنحاء العالم . . بل لقد كانت صاحبات الملايين يزرن هوليوود لمجرد الأمل في مقابلة رودلف . . وكانت أسعد لحظة بالنسبة لمن تعجز عن

مقابلته هي اللحظة التي تقف فيها وراء أسوار حديقته لتختلس النظرات إليه وهو يسبح في حمام السباحة بمديقة داره . . .

والواقع أن رودلف فالتينو كان من أكل الشباب جسماً فضلاً عن قسما وجه تلتقي فيها ملاح الرجولة بالباكرة بخلاوة السمات .. ولعل رودلف فالتينو كان أول من أرسل سوارف شعره على النحو الذي يصطغه الآن (الخنافس) لكنه لم يكن يرسل بقية شعره مثلهم احتفاظاً منه بمظاهر الرجولة الكاملة .. وكان هذا الفتى أنيقاً إنافة طبيعية لكن إنافته كانت إنافة خشنة لا نعومة فيها .. تماماً كالأدوار السينمائية التي كان يمثلها .. لقد كان في تمثيله مثال الرجل الحشن الذي لا يفعل الحشونة . كما يصنع المشلون الآن ، لكنه يمارسها وكأنه يمارس فناً من فنون الجمال ..

لقد مثل رودلف فالتينو ثلاثة أفلام كبار .. لم تتسع حياته لأكثر منها .. فقد مات بعدها وهو في عز الصبا والشباب حتى تكمل الأسطورة .. لكن هذه الأفلام الثلاثة كان لا يقل عرض الواحد منها في أي بلد من بلاد العالم عن مائة يوم .. مائة يوم مليئة بتأوهات الفتيات من نظارة هذه الأفلام ، وكان يريد رودلف من النظارة محتاج إلى مجموعة من السكرتيرين لا إلى سكرتير واحد .. ومن الطرائف أن بعض الحسان كن يرشبن سكرتيريه ليقدم إليه خطاباتهن حيث لم يكن يستطيع أن يطلع على واحد في الألف من هذه الخطابات .

ورودلف فالتينو هو أول نجم سينمائي تقام له التماثيل في مدينة

لسينما .. لأن عشيقاته قد اكتتبن في إقامة هذه التماثيل .. وهو أول .. وأظن أنه آخر ، معبود نساء ترى المجتمعات النسائية العاشقة أنه شركة بينهم .. لعل لسبب في هذه العاطفة المشتركة أنه كان معبود النساء في الخيال .. فلم تكن له عشيقة بذاتها .. ولهذا الخيال استمر هذا العشق له بعد مماته أيضاً .. فألفت عشيقاته ، بالاشتراك مع بعض الفنانين والفنانات ، الجمعيات التي تحمل اسم فالتينو .. وقد قرأت اسم هذه الجمعيات منذ سنوات قليلة بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على وفاته .. وفي هذه المناسبة اكتشف محررو مجلات السينما أن حبه لا يزال مقيماً في قلوب بعضهن حتى الآن .

لقد تحول اسم فالتينو من اسم شخص إلى رمز على الحب والجمال .. فكانت نجمة مسرح رمسيس في القاهرة اثلاثينيات السيدة زينب صدقي تصف كل ما أو من هو محبوب أو جميل بأنه (فالتينو خالص) .. وأول ما أطلقت هذه التسمية في شارع الفن بالقاهرة ، وهو شارع عماد الدين ، أطلقت على نجم مسرح رمسيس إذ ذاك للمرحوم أحمد علام الذي صار تقيماً للممثلين فيها بعد .

إِنقَاز ما يَمَكُن إِنْقَازُهُ

أعترف أنني حين قدمت حرف (الذال) قد أخطأت المهجاء ..
فالأصح لغة أن تقول حرف (الذاي) وها أنا أكرر هذا الخطأ في
حرف (الزال) فالأصح لغة أن تقول حرف (الزاي) .. لكن من
هذا الذي يستطيع أن يدعي المعرفة بكل الخطأ وكل الصواب في لغتنا
العظيمة .. إن الصحيح في رأي بعض الفقهاء قد يكون خطأ في رأي
لبعض الآخر .. والعكس صحيح ...

حرف الزال

زيور :

أحد ساسة العشرينات كان يحاول تطبيق هذه النظرية اللغوية في
دنيا السياسة وهذا السياسي هو أحمد زيور « باشا » الذي قبل تشكيل
للوزارة في ظرف من أسوأ الظروف السياسية التي مرت بها البلاد ..
كان هذا في أخريات سنة ١٩٢٤ .. في أعقاب استقالة سعد زغلول من
الحكم أثر الإنذار البريطاني الذي وجهه للتندوب السامي البريطاني
المرور الذي إلى سعد زغلول بمناسبة مقتل سبلى ستاك « سردار »
الجيش المصري وحاكم السودان إذ ذاك .. وقد وضع زيور لسياسة
وزارته شعاراً هو « إنقاذ ما يمكن إنقاذه » . وكان هذا « الإنقاذ »
هو تنفيذ كل ما جاء في الإنذار البريطاني ..

كان زيور باشا « يسوق الهبالة على الشيطنة » فيقول إنه وزير
« إدارى » وليس سياسياً . . . ويقم الدليل على هذا بدعوة لناخيين إلى
استفتاء جديد لتشكيل برلمان جديد دون أن يتدخل كثيراً في حرية
الانتخابات . فلما جاءت الانتخابات برلمان له صورة طبق الأصل من
برلمان سنة ١٩٢٤ أصدر زيور مرسوماً بحل هذا البرلمان في يوم
افتتاحه . . ثم أعطى هذا الخطأ بأنه ليس إلا رجلاً بميد لقيام وزارة
أخرى ترضى عنها كل الجهات . . وبالفعل جاءت هذه الوزارة برئاسة
تروت وبموافقة سعد وتشكيل ائتلافى من الأحزاب جميعاً . .
هل كان هذا كله عملاً إدارياً ؟ . . الواقع أنه كان عملاً فى صميم
السياسة التى كانت ترسم لزيور باشا فينفذها حتى على نفسه . . ولهذا
وصفه عبد العزيز البشري بقوله « خطوات وزيراً فأنحط » .

زكى :

فى أرشيفى الذهبى ثلاثة باسم « زكى » ؟

أولهم زكى أبو السعود باشا ، وكان رجلاً من تشكيلة زيور
باشا . . حين غضب الملك فؤاد على عبد العزيز فهمى « باشا » وكان
يشغل منصب وزير العدل ، لأنه رفض فصل الأستاذ على عبد الرازق
من القضاء بعد ظهور كتابه « الإسلام وأصول الحكم » . . وحين
رفض عبد العزيز فهمى أن يستقيل من الوزارة لأنه خالف إرادة
الملك — عين للملك أحمد على باشا ثم زكى أبو السعود باشا وزيراً لعدل
دون إقالة عبد العزيز فهمى . . ١

وذات صباح ذهب عبد العزيز فمضى إلى الوزارة فوجد الوزير الجديد في مكتبه .. فقال له : بما أننى لا أستطيع مبارزتك ، فليس أمامى إلا أن أنسحب ..

فانهم أحمد زكى « باشا » صاحب « المكتبة الزكية » التى نقلها فى حياته من بيته فى الجزيرة إلى قبة النورى لتكون مكتبة عامة .. لقد كان لأحمد زكى باشا لقب شيعى غير لقبه الرسمى .. هو لقب « شيخ للعروة » وقد أطلق عليه هذا اللقب أصدقاء من البلاد العربية الشقيقة فاقترن باسمه حتى كان اسمه لا يذكر فى صحفنا إلا مقترناً بهذا اللقب .

وترجع هذه التسمية إلى أن زكى باشا بعد أن أحيل إلى التقاعد فى المشرقات من منصب السكرتير الدائم لمجلس الوزراء قد وضع مخططاً واسعاً للوحدة الفكرية بين المثقفين العرب ، وكانت مقالاته الكثيرة على صفحات الإهرام تدور حول هذا المخطط ، كما كان بيته على شاطئ النيل بالجزيرة مقراً لاجتماعات الوافدين على القاهرة من البلاد الشقيقة .. تقام لهم فيه الحفلات وتمتد اندوا .. كان زكى باشا رجلاً غير ذى ولد ، فكان ينفق كل دخله فى هذا الأسلوب من الحياة .

أما قائمهم فهو الدكتور زكى مبارك .. وزكى مبارك هو آخر من حصلوا على شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة فى سنة ١٩٢٤ ، وأول من اشتغل محيداً ثم مدرساً فى الجامعة المصرية الجديدة بعد قيامها فى سنة ١٩٢٦ ..

كان زكى مبارك يريد أن يكون طه حسين آخر .. فقد نشأ
أزهرياً مثله ، وتعلم اللغة الفرنسية في المدارس الليلية ، وسافر إلى
فرنسا — على نفقة — ليحصل على الدكتوراه من باريس .. ولما
كانت هذه الدكتوراه الباريسية ليست نتيجة بحثه فقد تقدم إلى جامعة
القاهرة وهو يعمل بهامدرساً ، للحصول على الدكتوراه منها .. ثلاث
شهادات دكتوراه حصل عليها زكى مبارك في أقل من عشر سنين ..
ولهذا كان يسمى نفسه « الدكتور زكى مبارك » .

أقول سمع نفسه .. لأنه كان أجراً كاتب جامعي يكتب للناس
في أحقاد نفسه بدون نخرج ..

لقد فصل الدكتور طه حسين بوصفه عميد كلية الآداب من الجامعة
بسبب تهوره في موقف جامعي ، فكتب في جريدة « البلاغ » يقول :
« يوم لا أجد طعاماً لأبنائي فسأشوي لهم لحم الدكتور طه حسين » ..
ولما اشتدت حملته في الصحف على طه وأبدى الدكتور طه أسفه لأن
يكون هذا الأسلوب أسلوباً لأحد (تلاميذه) رد زكى مبارك قائلاً :
« هذا — يا أستاذى — بعض ما علمتني » .

كان زكى مبارك رجلاً عجيباً حقاً ، وأكثر من أعجب به العراقيون
فحينئذ أستاذاً للأدب العربي في جامعة بغداد .. لكن حينه إلى
الصحافة المصرية قد عاد به إلى القاهرة ليكتب كل يوم .. ثلاثة أعمدة
في جريدة « البلاغ » .. كان كاتباً سيالاً بقلم .. يكتب بسهولة عجيبة ..
وليس أدل على هذه السيوقة من كتابه عن « الشعراء » .. لقد كتب

عن صاحب هذه الشخصية فقط مجلدين يكاد يبلغ مجموع صفحاتها
ألف صفحة ..

لقد كان زكي مبارك يبدو كواحد من عتاة أدباء العرب القدامى
هرب من الماضي بكل كنوزه ، لا إلى عصره فقط .. بل إلى ما بعد
عصره أيضاً . كان يعيش الأدب كما يكتبه ويكتب الأدب كما يعيشه إلى
آخر يوم في حياته ، وكان يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ :

زين :

لقد اشتهر زكي مبارك في حياته بأنه كاتب ، لكنه كان يرى أنه
شاعر ، وله قصيدة بعنوان « مصر الجديدة » كان يتحدث عنها دائماً
بأنه قد نظمها « لينحدي بها كل شعراء العالم » .. ولم يكن زكي مبارك
يحسب حساب أحد من شعراء عصره فيما عدا الشيخ أحمد الزين .

لقد عملت معاً في دار الكتب فترة ، فكانت مناظرتهم في الشعر
حديث الدار كلها .

كان أحمد الزين ثاني اثنين في الماضي أعفيا من الكشف الطبي عند
التوظيف ، أما الأول فهو ، الطبع ، أستاذنا طه حسين .. ومع هذا
فقد كان للشيخ الزين يشرب في دار الكتب مراجعاً .. ولعله كان
أكفاً للمراجعين .

ولقد كان الشيخ الزين .. الكفيف .. في مقدمة الذين ثاروا على
الزى التقليدي للأزهريين .. ليلبس للاباس الأوربية ، وتأتق فيها
رغم دخله المحدود ، لكنتك ما كنت تسسه يتحدث حتى يشعر بأزهريته

لقد كانت أية ندوة للشعر لا يشترك فيها الزين تعتبر ناقصة ، فقد كان شاعراً من طراز قديم ممتاز .

إن أحد الزين كان أحد أعضاء الثلاثي الثاني بين شعراء العشرينات والثلاثينيات فكما كان يقال : « شوقي وجافظ ومطران » كان يقال أيضاً : « الكاشف ومحرم والزين » . ومع هذا كله فقد غدا الزين في النسيب . . . !

زينة :

من الكلمات الزائفة التي قل الآن تداولها كلمة « زينة » .. لقد كانت كلمة زينة تعني في الماضي أشياء غير ما تعنيه الآن .. إنها الآن تنسحب على التزين الذي تسميه السيدات « تواليت » بينما هي في الثالث الأول من القرن العشرين كانت تعني مظاهر الأبهة التي كانت تحيط بالقصر الملكي الذي كان من قبل قصراً سلطانياً ، وكان من قبل قصراً خديوياً ..

وكانت هذه « الزينة » تتألف من سرية من سرايا الحرس « تزدان » بأثواب مزركشة وملونة .. وكانت هذه السرية أحياناً من جنود « السوارى » — أي راكبي الخيل وأحياناً من « للبيادة » أي للمشاة ..

وعند الساعة العاشرة صباحاً تخرج هذه السرية من ثكنات الحرس بميدان عابدين لتقف أمام القصر في طابور تحية للملك أو السلطان أو الخديوى ، بمناسبة استيقاظه من النوم في هذه الساعة ، ثم تظل موسيقاها تعزف الألحان الشجية على آلاتها النحاسية ثلاثين

دقيقة بمعدل لحن كل عشر دقائق ، وبشرط ألا يتكرر عزف لحن منها إلا في الأسبوع التالي أو الذى يليه . . .

وكانت هذه العملية تتكرر بصورة أخرى عند ما يعتزم الملك أو السلطان أو الخديو الخروج من قصر عابدين إلى أى جهة أخرى ، وهو ما لم يكن يحدث كل يوم . . وكان الجمهور يعرف من طريقة اصطفاى هذه السرية ومن طريقة استعداد موسيقاها للعزف — ما إذا كانت تستعد لمجرد تحيةة الصباح أو هى تستعد لتحية « الملك » بمناسبة خروجه . .

ولهذا ألف شعراء الشعب بروحهم الساخرة المعروفة فى الماضى البعيد زجلا كان يردده الناس فى مجالسهم الخاصة ضاحكين . . وكان هذا الرجل يقول « أفندينا دخل الزينة . . ضربوا له سلام بالزيك » . . وكنا ونحن أطفال نردد هذا الكلام على أنغام « السلام للسلطان » . .

زواج :

وبمناسبة « الزينة » لست أظن أن الناس كانوا يتزينون فى الماضى — كما كانوا يتزينون للزواج . . لم تكن زينة الزواج فى الماضى ظهيرة على العروسين . . بل لقد كانت الثياب الجديدة تصنع لكل أفراد الأسرتين المتصاهرتين . . وكان من المألوف بين « بنات القنات » أن تسمع من إحداهن قولها « هذا الفستان فصلته على فرح فلان أو فلانة » . .

أما زينات حفلات الزوجية فكانت شيئاً هائلاً . . أذكر أن إحدى قريباتى قد تزوجت فى طفولتى وهى من سكان ضاحية حلوان ، فإذا

بالعريس يقيم معالم الزينات في جميع شوارع حلوان ابتداء من المحطة إلى الجبل .. وإذا بالموسيقىات تعزف في كل هذه الشوارع .. لماذا لست أدري .. ١٩

لقد اخترع الإنسان مخترعات لا حصر لها ابتداء من الحجرين اللذين كان يستخدمهما لإشعال النار إلى القنبلة الهيدروجينية إلى الأقمار الصناعية إلى مراكب الفضاء .. بعض هذه المخترعات قد اختفى في طي الأزمان .. وبعضها تطور .. وبعضها تغير . أما الاختراع الوحيد الذي لم يتغير قط وإن اختلفت أشكاله ، فهو اختراع الزواج .. إن الزواج هو أول اختراع عزفه الإنسان منذ عشرات الألوف من السنين .. ربما أكثر وربما أقل .. فكل ما كان قبل « الزواج » من متطلبات الفرائز كان مكتشفات . أما تنظيم غريزة الحياة بنظام اسمه « الزواج » فهذا يعتبر اختراعاً .. هو الاختراع الخالد الذي لم ينجح أي بديل له حتى الآن ..

وليس من شك أن الإنسان كان ملهماً في هذا الاختراع .. ذلك أن الزواج هو الذي يجمع بين أسباب الحب والحنان والأبوة والأمومة وتنازع البقاء وبناء الأسرة وبناء المجتمع والحض على الحرب والدعوة للسلام والسعى في سبيل الرزق وارتفاع هذا السعى إلى مستوى العبادة .. والجرأة في الدفاع عن البيت .. والبيت هو الوطن .. والحذر من تعريض أهل البيت للمهالك .. والتفكير في وضع الميزانيات والتفلسف في إرساء قواعد التربية واعتبار الأخلاق ضرورة ومحاربة الفساد ضرورة أخرى .

تصور عالماً ليست فيه هذه المعاني ؟ .. ولولا اختراع الزواج لما
كانت هذه المعاني كلها بالصورة الغروسة في نفوسنا وضمائرنا وعقائدنا .
وبع هذا كله ، فزواج قيد لكنه القيد الذي تحبه المرأة ، وحب
الرجل للمرأة غريزة تقود الرجل إلى هذا القيد سواء أراد أو لم يرد .
لقد فكر الإنسان في اختراع بديل عن الزواج .. وكان للفكر
دائماً هو الرجل لأن للمرأة لا تفكر فيما لا يجدي ، وقد كان تفكير
الرجال في هذا البديل لا يجدي دائماً وأقصى ما استطاع أن يقوله
الرجل عن الزواج على لسان أحد الفلاسفة هو « أن الزواج شر لا بد
منه » .. أو هو بمعنى آخر الخير الذي يثاب عليه المرء رغم أنه ..



سيت وجيم

سحر فان لا يمكن أن تخلو منهما حياة إنسان : س ، ج . . لقد
أشتهر حرف السين بأنه « سؤال » وحرف « الجيم » بأنه « جواب »
وقد أخذت هذه الشهرة طابعاً رسمياً معمولاً به بحكم القانون . .
هأى قاض أو محقق إذا وجه لأى إنسان سؤالاً فى أى تحقيق قال
« س » . . فإذا أجاب للسؤال عن سؤال المحقق قال : « ج » . .
وتحقيق الناس مع الناس ليس قاصراً على جهات القضاء . . إنه تحقيق
متواصل فى الحياة اليومية داخل البيوت وخارجها فانت تسأل الطفل
فى سنته الثانية عن اسم أبيه . وللدرس يسأل التلاميذ عن دروسهم
والامتحانات تسمى أسئلة ، وما يقول التلاميذ فيها يسمى أجوبة .

و أنت حين تحب وتتقدم لخطبة من تحبها كان لا بد من الأسئلة . .
بى المحبة والزوجة لا تستنى يوماً واحداً بلا أسئلة لى تحبه أو
تزوج ، والزوج أيضاً له أسئلة لا تنبى زوجته وأولاده . . وحتى
حين يصل الناس إلى مراكز للصدارة فإن للصحفيين يلاحقونهم
بالأسئلة ينشروا ما يحصلون عليه من إجاباتهم . . فالسين والجيم
يقومان بدور « البوهرات » التى لا تخلو منها أى طعام . . أحياناً
تكون هذه التوابل حلوة وأحياناً تكون مرة للذائق .

حرف السين

سنهري :

اسم السنهوري هو الاسم السيني الذي يشغل حيزاً خاصاً في بلاد شين
الذهبي والسنهوري مثل من أمثال العصامية . . لقد توظف بشهادة
البكالوريا ، أي الثانوية العامة ودرس « الحقوق » وهو موظف ،
فكان في مقدمة الفائزين بشهادة الليسانس ، ولم يكثف بالليسانس
فحصل على الدكتوراه من الخارج وأصبح الكاتب الصغير في أحد
المرافق أستاذاً في القانون .

لم أعاصر ، أنا ، هذه الفترة ، فالسنهوري من الجيل السابق
علينا ، لسكنى عاصرت الفترة التي أراد فيها وزير المعارف — أي
التربية والتعليم — أن يعين الدكتور السنهوري وكيلاً للوزارة ، فلما
لم يستطع عينه سكرتيراً عاماً للوزارة . . وكانت هذه هي الخطوة الأولى
التي تحولت بالسنهوري من كرسى الأستاذية إلى كرسى المناصب الإدارية
إذ ما لبث أن عين وكيل وزارة فوزيراً للمعارف . . وكان مجلس
الدولة قد بدأ يتبوأ مكانه في أنظمة الدولة ، فرؤى أن أنسب من يتولى
رياسة هذا المجلس هو السنهوري .

وإذا كان منصب الوزارة لم يظهر كل مواهب السنهوري — فإن
هذه المواهب قد ظهرت في مجلس الدولة . . ظهرت هذه المواهب إلى
لدرجة التي أثار عليه للقصر الملكي في الماضي فطالب للقصر الحكومة

بأحد أمرين : إما إلغاء مجلس الدولة ، وإما الاستثناء عن خدمات
السنهوري . . وكانت الثانية أيسر سيلاً . . لكنه بعد قيام ثورة ٢٣
يوليو سنة ١٩٥٢ عاد إلى رئاسة مجلس الدولة . . إلى أن أُحيل إلى
التقاعد . .

لكن . . هل تقاعد السنهوري ؟ . . أو هل يمكن للذهنية
النايضة أن تقاعد ؟ الذي حدث أن السنهوري قد ندب لوضع الدساتير
في أكثر من بلد عربي . . ثم عاد إلى بلده ليحول تقاعده ، رغم تقدم
السن وتأخر الصحة ، إلى بحوث فقهية .

سيد :

حينما كان السنهوري وزيراً كان لي صديق يشغل وظيفة سكرتير
لوزير . . الصديق هو سيد نوفل .

لقد أخرج نوفل في كلية الآداب سنة ١٩٣٥ وأختير لتفوقه كي
يكون أميناً لمكتبة من مكتبات الجامعة ، لكنه كان يتجه بطبيعة ميوله
من قبل إلى الصحافة الأدبية بالذات . . فكم من الصفحات الأدبية
كتبها نوفل أو أشرف عليها في الصحف . . لكن الإنسان لا يصنع
قدره . . فتد اختاره الدكتور هبكل « باشا » لكي يكون سكرتيه
في وزارة المعارف — وزارة التربية والتعليم — سنة ١٩٣٨ . . وترك
هبكل الوزارة ، لكن الوزراء الذين تعاقبوا من بعده كانوا حريصين
على وجود نوفل في مكاتبهم بالرغم من أن معظمهم كان يعلم أن لهذا
الشاب آراء مختلف عن آراء . . وهذا هو سر سيد نوفل .

لقد كان دائماً رجل العمل الذي يعرف مسؤولياته جيداً ولم يكن يتخطى هذه المسؤوليات إلا إلى ما هو أفضل .

كل الوزراء الذين عمل معهم سيد نوفل سكرتيراً ثم مديراً لمكاتبهم كانوا يرون في هذا الشاب عقلاً يرتب لهم أعمالهم ، لا التي ستعمل اليوم ، بل والتي ستعمل غداً ، وكانت له من ثقافته قدرة خاصة على أن يدري وزيره من عداد البيانات أو الخطب أو التصريحات الصحفية . . لقد بلغ من كفاءته في هذه الناحية أن كان وزيره يفوضه في تصحيح كلام الوزير نفسه .

ولقد شغل سيد لعدة سنين منصب مدير مكتب رئيس مجلس الشيوخ ، فإذا بهذه الملكة الأدبية في مراجعة كل أعمال المجلس تؤهله لأن يكون في نفس الوقت مدير الإدارة التشريعية في هذا المجلس . . إنها وظيفة تحتاج إلى رجل قانون ، لكن توفر نوفل على دراسة عمله جعله يفوق رجال القانون في القيام بمهام هذه الوظيفة . . فلما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وشكلت أول لجنة لوضع الدستور اختارت هذه اللجنة سيد سكرتيراً عاماً لها .

هذه التزعة الدراسية في حياة هذا الرجل التي جعلته يحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه وهو المسئول عن مكتب الوزير الذي يحمل أعمال المكتب أو الوزارة معه لينجزها في يته . ومع هذا فإن هذه الأعمال لم تستطع أن تعطل المسيرة الذهنية في حياة نوفل وهي المسيرة التي حصل فيها على هاتين الشهادتين ، وأهله لأن يكون مؤلفاً ومحاضراً ممتازاً في أكثر من معهد رغم الشواغل التي كانت تلاحقه في عمله دائماً .

ومنذ سبعة عشر عاماً عين الدكتور سيد نوفل مديراً للإدارة التشريعية بجامعة الدول العربية ، ثم خلا منصب الأمين العام للمساعد للجامعة ، وهو من المناصب التي تحتفظ بها الجامعة العربية للدبلوماسيين البارزين من مختلف الدول العربية .. لكن كفاءة هذا الرجل الذي كان يشغل وظيفة مدير الإدارة التشريعية قد حققت له إجماع مجلس الجامعة على أن يشغل منصب الأمين العام للمساعد .. ومنذ تولى سيد نوفل هذا المنصب وهناك إحساس بأن دعماً جديداً قد ظهر في هذا المكان .. وخاصة حين مثل نوفل الجامعة العربية في الدورة العشرين للأمم المتحدة .

حرف الشين

شعراء :

إن نشاط سيد نوفل الأدبي ، إلى جانب نشاطه العملي ، يذكرني دائماً بالشعر .. فقد كان موضوع أول كتاب أخرجه هو « شعر الطبيعة » وقد أحرز بهذا الكتاب درجة الماجستير بتفوق ، لأنه نجح في معارضة القائلين إن الشعر العربي القديم لم يتغلغل في أوصاف الطبيعة كالشعر في اللغات الأجنبية الحديثة .

وبهذه المناسبة أذكر أن هناك خطأ شائعاً في المجالات الأدبية للعاصرة حول الشعر .. بعض الأدباء المحدثين يحسبون أن الشعر المرسل الذي يزحف في هذه الأيام شيء جديد ، وهذا غير صحيح ، فإن الشعر المرسل قد ظهر في مصر منذ أكثر من أربعين عاماً ،

والضجة التي تقوم حوله الآن ليست إلا مصغراً للضجة التي ظهرت حوله في الثلاثينيات .. كان النقاد في الثلاثينيات يسمونه « الشعر المنشور » . والشعر المنشور ليس صناعة مصرية في نشأته .. إن أول من اهتم به حديثاً هم الأدباء اللبنانيين ، وخاصة منهم أدباء المهجر ، وفي مقدمتهم جبران خليل جبران ، وله في هذا اللون من الشعر عدة دواوين ، ربما كان أشهرها ديوان « اللواكب والكواكب والدرر » الذي ظهر في العشرينات وكانت الأدبية النابغة « مى » في حيا لجبران خليل جبران تصنع مثل ما صنع في كتابه الشعر المنشور .. ولقد ظهر في القاهرة إذ ذاك أدباء شبان شكلوا منذ عشرات السنين مدرسة الشعر المنشور ، ولعل في مقدمتهم الأستاذ حسين عفيف القاضي والأستاذ علي مراد وقد أحيلا منذ فترة قصيرة إلى التقاعد .

لقد كانت للشعر دولة في مصر ، وبخاصة في العشرين سنة الثانية من عشرات القرن العشرين .. وكان من مظاهر هذه « الدولة » أن كان من بين وظائف الديوان الملكي وظيفة تسمى « شاعر صاحب الجلالة للملك » وكان يشغل هذه الوظيفة المرحوم الشيخ عبد الله عفيفي (بك) .. ثم كانت هناك الألقاب التي تمنحها الصحافة للشعراء فشوقي كان أمير الشعراء ، وحافظ إبراهيم شاعر النيل ، وخليل مطران شاعر القطرين ، ورامي شاعر الشباب . . . الخ .

ولقد كان من أسلوب العصر أن برامج الحفلات السياسية كانت لا تخلو مطلقاً من الشعر .. ففي كل جفلة سياسية من حفلات حزب الوفد كان لابد من قصيدة للعقاد .. ولما اشتد الخلاف بين الحزب

الوطني وبين الوفد أقام الوفديون حفلة تكريم للعقاد وتنادوا به أميراً
للشعراء ، وكان الذي أعلن هذا النداء في الحفلة هو أستاذنا الدكتور
طه حسين ومعنى هذا أن الشعر كان يخوض للمعارك السياسية
بحرارة ..

وكانت لدولة الشعر نواذرها .. بل وكان لها شهداؤها .. ومن
أطراف نواذر الشعراء أن أبلغ شعراء البؤس المرحوم عبد الحميد
الديب كان يمتدح قصائده لإبراهيم دسوقي أبياتله « باشا » الذي أنشأ
في بيته « رابطة أدباء العروبة » وقد نسي دسوقي أبياتله يوماً أن يكافئ
الديب على إحدى قصائده ، فإذا بالديب يعبر عن ضيقة لهذا النسيان
بقصيدة هجاء لدسوقي من عشرة أبيات وسمع دسوقي بهذه القصيدة
وآعجته بلاغتها فبحث في طلب الديب وقدم له بعدد أبياتها جنهات رغم
أنها في هجوه .. وما إن رأى الديب ، وربما لأول مرة ، الجنهات
بالعشرة حتى قال للوزير .. « تسمع أكمل القصيدة يا باشا ؟ » .

ومن طرائفهم أيضاً أن الشاعر محمد مصطفى حمام قد ألف قصيدة
في الشكوى من حال مؤذني المساجد ، وفي حفلة بدار دسوقي أبياتله
— وكان وزيراً للأوقاف — وقف حمام فألقي هذه القصيدة على
طريقة أذان للؤذنين ، وكان مطلعها : « ياوزير الأوقاف نسألك
الإصاف » .

أما شهيد الشعر الذي رأيت استشهاده فكان الشاعر الكبير علي
الحارم .. كانت هناك حفلة بقاعة الجمعية الجغرافية أعد لها قصيدة ،

وفي يوم الحفلة مرض ، لكنه أصر على حضور الحفلة ، ثم زاد عليه التعب فوكل إلى ابنه إلقاء هذه القصيدة .. وبينما كان الابن يلتقي قصيدة أبيه إذا بالآب يسلم الروح وهو يردد الأبيات التي كان ولده يلقيها .

شهداء :

وبمناسبة الاستشهاد أذكر أن مصر قد رأت عن الاستشهاد ألواناً منذ سنة ١١١٩ حتى الآن .. وكان أعجب هذه الألوان استشهاد الشباب في سبيل العلم .. نفي أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ضاق عدد من الطلاب بالدراسة في مصر ، فسافروا معاً إلى ألمانيا لاستكمال دراستهم . . . وفي ألمانيا لحقهم ما كان ينتظرهم من الاستشهاد في مصر ، لكن بأسلوب آخر .. فبينما كان القطار يحملهم من بلد إلى بلد في ألمانيا — إذا به يصطدم بقطار آخر ، فأصيب كل من فيه ، واختار القدر أن يكون الطلاب المصريين هم أصحاب الإصابات القاتلة .. وأطلق عليهم اسم شهداء العلم .

.. وكم في تاريخ مصر من أمجاد في الاستشهاد .

صحافة لغة الضاد

الصاد هو أحب الحروف وأقربها إلى الصحفيين .. فمن الصاد تبدأ مادة « صحافة » .. و « الصحافة » كلمة جديدة في اللغة العربية لا يزيد عمرها على مائة عام .. وقبل المائة عام كانت الصحف تسمى « غازيته » ثم تطورت كلمة « غازيته » إلى كلمة جريدة .. وكان الصحفي يسمى « جرائدي » وظلت هذه التسمية شائعة في بلاد المغرب العربي إلى منتصف القرن العشرين .. ثم ظهرت كلمة صحافة وانتشرت وأصبح لها مدلول معين يعرفه الناس جميعاً .

وكان من رأى الصحفي العظيم الدكتور محمود عزمي أول من رأس معهد الصحافة العالي في مصر — كان من رأيه أن العمل الصحفي يسمى « التصحيف » والتصحيف في اللغة العربية يعني تفسير الألفاظ .. ومن طرائف اللغة أيضاً أن « الصحفي » هو الذي يأخذ العلم من الصحف بمعناها الأصلي الذي جاء في القرآن بقوله « فيها صحف قيمة » والواقع أن الصحفيين القدامى كان الجانب الغالب على ثقافتهم ناتجاً عن اطلاعهم قبل أن توجد معاهد الصحافة .. ثم أصبح الصحفي هو الذي يعطي ما يعلم للناس في صحفه . . ومع هذا فإن الصحفي الذي « لا يأخذ العلم من الصحف » كما تقول قواديس اللغة ، يعتبر صحفياً غير متطور كأي صاحب مهنة لا يطلع على ما جدد فيها من مؤلفات .

حرف الصاد

صالح :

أول من عرفت من الصحفيين باسم « صالح » هو « صالح جودت » عرفته وهو طالب بكلية التجارة .. وحين قدمه الأصدقاء إلى حسبه طالباً ، أو متخرجاً ، في كلية الآداب .. لقد كان يتحدث إلينا بآيات من الشعر حسبتها لأول وهلة « مقتبسة » من دواوين كبار الشعراء إلى أن قرأت شعره في بعض المجلات ، فأكملت بأنه قائلها .. لقد كان ناشئة الأدب على عهد صبانا يدنون بالأدب من الاقتصاد في تحركاتهم لمقاطعة البضاعة الأجنبية ودعوتهم إلى تشجيع البضاعة الوطنية .. أما صالح جودت فكان يدنوا باقتصادياته من الآداب .

و حين تخرج صالح كان الإقبال على خريجي كلية التجارة عظيماً من المؤسسات الاقتصادية الجديدة ، ولكن صالحاً فضل على كل الدواوين ديواناً من الشعر ينظمه ثم يخرج به للناس .. ولقد ربط الشعر بين صالح جودت وأهل الفن .. ونجاة ظهر بين صفوف شعراء الأغاني . على أن شعر الأغاني قبل حيل لم يكن مورداً للعيش فكان ولا بد لهذا للشاعر الشاب أن يعمل وهو مصمم على ألا يعمل بالحاسبة التي يرى العاملون فيها .. ومن هنا عرف طريقه إلى الصحافة .

دخل صالح جودت الصحافة من باب دار الهلال ، ولا يزال يعمل بها حتى أصبح أحد نجومها الأوائل لكن .. هل استطاع أن يحصر

شهرته في عمله الصحفي : .. كلا إن صالح جودت حتى بعد أن وصل إلى الصفوف الأولى بين زملائه الصحفيين لا يزال محسوباً في نظر الناس على عالم الشعر والشعراء .

إن هذا الزميل لم يستطع أن يتخلص مرة من أسلوب حياته كشاعر .. فنذ بضع سنين قام برحلة صحفية إلى أمريكا ، وعاد فكتب عن هذه الرحلة كأحسن وألمع ما يكتب في الرحلات الصحفية .. لكنه ما كاد ينظم في هذا المجال قصيدة واحدة حتى غطى شعره على كل ما كتب ..

لقد عرفت في دنيا الصحافة صالحاً آخر غير صالح جودت .. هو صالح الهنساوي الذي احتفلت جريدة الأهرام ، منذ سنتين يلوغته أربعين سنة من العمل المتواصل فيها .. إنه من الصحفيين القلائل جداً الذين يتركز تاريخ حياتهم في صحيفة واحدة .. وهو بهذه الصفة كان شيخ الأهرام الذي تروح وتحيى عليه العهود والشخصيات وهو في مكانه لا يتغير وليس شك أن أغزر مرحلة في حياته الصحفية هي للرحلة التي كان فيها أنطون الجليل رئيساً لتحرير الأهرام .. إن أنطون هو الذي اكتشف صالح فأنخذه أميناً لسره ، وأعد له غرفة صغيرة مجاور غرفة رئيس التحرير ، وكانت هذه الغرفة الصغيرة تتسع لمن تضيق بهم ندوة أنطون الجليل . أي أن جريدة الأهرام في الماضي كانت ذات ندوتين ندوة أنطون الجليل ، وملحقها في ندوة صالح الهنساوي .. وهي الندوة التي وقعت الملاقاة بين صالح وبين عدد من كبار

للشخصيات .. وعلى أساس هذا التوثيق كانت الأهرام تندب صالحاً لكل المهام الصحفية في القصر الملكي ..

وهنا تعرض صالح لمشكلة .. ذلك أن هذه المهمة لا بد فيها من ثياب رسمية ، وثياب الرسمية لها أبعاد لا تتفق مع حجم صالح الذي يسمى حجم « الكارت بوستال » . لكن صالح نجح في تفصيل هذه الثياب على حجمه إلى الدرجة التي جعلت أناقته فيها تلفت الأنظار ..

في هذا الجو حصل صالح الينساوى في سنة ١٩٥١ على لقب الليكوية .. لكن صالح « بك » لم ينس قط أنه « مندوب » يجرى وراء الخبر .. وبهذه الروح نجح صالح بعد قيام العهد الجديد .

إن صالح الينساوى الذى تلقاه فتلقي المرح بكل فتونه لا يفصل عن واجب قط .. لقد أجرينا ذات مرة إحصاء عن الزملاء الذين يسارعون إلى تعزية زملائهم في أى مصاب فإذا باسم صالح الينساوى يتقدم الجميع ..

وصالح الينساوى هو أول من فكر في تنفيذ مشروع القصصات الصحفية .. حين اكتشف صالح قلة اهتمام مجتمعنا بهذه القصصات اتخذ من مشروع خدمة خاصة يؤديها لزملائه مجاملة لهم في المناسبات التي تصل بأشخاصهم .. وشيء صحفى جديد آخر نفذ صالح هو إنشاء جريدة أسبوعية متخصصة في سباق الخيل .. وكان اسمها « شيخ الصحافة » ولعل القدر قد ربط بين اسم هذه الجريدة وبين

صاحبها الذي كان شيخ التدوين الصحفيين في مرحلة من أغنى مراحل الصحافة المصرية ..

حرف الضاد

ضمير :

في جيل الصحافة الماضي لم يكن في الصحافة العربية كلها حرف أشهر من حرف الضاد لقد كان هذا الحرف وحده عنواناً على اللغة العربية كلها .. كان الصحفيون والأدباء بل والسياسيون إذا أشاروا إلى اللغة باعتبارها مقوماً من مقومات الوحدة العربية وصنّوا هذه اللغة بأنها (لغة الضاد) .

كنا ونحن طلاباً أو صحفيين مبتدئين أينما ذهبنا لنستمع إلى خطباء العروبة الذين ينادون بالوحدة العربية لا بد أن نسمع كلمة « لغة الضاد » وكما قرأنا مقالاً عن الوحدة العربية كان لا بد أن نجد فيه أكثر من مرة كلمة « لغة الضاد » .

يد أن الصحفيين والأدباء القدامى كانوا مقتنعين بأنه يستحيل على غير العرب أن ينطقوا حرف الضاد .. ويبدو أن هذا الاقتناع قد تضاعف مع زيادة الاتصالات بين العرب وبين شعوب أخرى كثيرة . أما على عهدنا فقد حلت كلمة ضادية أخرى محل « لغة الضاد » . في الأوساط الصحفية

هذه الكلمة هي « الضمير الصحفي » فبعد أن أصبحت الصحافة في البلاد العربية كياناً قومياً وطنياً له آداب تقن وأصول تدرس ظهرت

كلمة « الضمير الصحفي » باعتبارها صفة للمسئولية الصحفية التي تعددت في وصفها الاوائج والقوانين واللوائح والكتب وآخرها بالعربية كتاب « أزمة الضمير الصحفي » للأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة العميد السابق لقسم الصحافة بجامعة القاهرة وجامعة بغداد وجامعة أم درمان .

ضجة

ومن أشهر الكلمات الضادية في الصحافة العربية في الماضي كلمة « خربى وبكى وسبقنى واشتكى » لقد كانت هذه العبارة من أشهر العبارات في الصحافة العربية من خلال تعليقاتها على موقف إسرائيل في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات .. كان أسلوبها المندوان فإذا رددنا عدوانها هرعت إلى مجلس الأمن شاكية كأننا نحن المندون ومثلت صحافتها في الخارج بالعويل .. وكان من أشهر الكلمات الصحفية في الماضي كلمة « ضجة » فقل إن كان وصف الجلسات البرلمانية يخلو من هذه الكلمة .. ومن أطرف النكت السياسية بهذه المناسبة أن بعض رجال الريف قد عاب على عضو في البرلمان صمته على طول جلسات المجلس .. قال لهم العضو لا بد أنكم لا تقرأون مضابط الجلسات فرد أحدهم بقوله ها هي المضبطة أمامنا ، فأين أنت بما ورد فيها .. وهنا قذّب العضو صفحات المضبطة إلى أن عثر على كلمة « ضجة » فقال لهم : أنا هنا ..

حياة كلنا تحدى

مظلوم حرف الطاء ، فيه كلمة « طماع » وقد جرى للعرف على أن الطماع إنسان سيء ، مع أن « الطمع » في اللغة هو الأمل في الحصول على شيء .. لكن « الأمل » كلمة محبوبة جداً ، بينما « الطمع » كلمة بغیضة جداً .. وبحرف الطاء تبدأ « كلمة طمعية » وهي أشهر وأبهى طعام شعبي مصري لكن العرف جرى على اعتبار « الطمعية » طعاماً فارغاً ، مع أن الطعام « الطعم » بضم الطاء هو في اللغة الطعام للشبع .. وكما أن للظالم مخفزهم للظالمين كذلك نجد أن أغاب الذين تبدأ أفعالهم بحرف الطاء — مثل الطائي — يتحدثون للألوف ويخرجون عليه إلى ما يرفع شأنهم .

حرف الطاء

طه :

إن أول دليل حي يحقق هذا المعنى نجده في أستاذنا الدكتور طه حسين — فإنا من إنسان مصري في القرن العشرين نتحدى كل شيء كما تحده طه .. نتحدى طبيعة الأشياء حين صار من الكتاب وهو لا يملك الجهاز الطبيعي للكتابة ، نتحدى القوانين الوضعية حين دخل وظائف الحكومة وهو لا يستطيع مواجهة (القويسيون الطبي) .. نتحدى للألوف حين دخل الوزارة .. وحين دخل الوزارة نتحدى للعرف

أيضاً ، فهو لم يدخلها لتبعيته إلى حزب من الأحزاب أو لجماعة من الجماعات ، إنما دخل الوزارة لأنه طه حسين .

وتبدأ قصة حياة طه حسين في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ يوم مولده .. وكتابه الأيام يصف المرحلة الأولى من حياته بما يقضى عن الإشراف إليها .. لكنه لم يشر إلى أنه كان أول من حصل على دكتوراه الآداب من مصر .

فقد كانت الجامعة المصرية التي أنشأها الشعب في سنة ١٩٠٨ قد فتحت أبوابها للشباب من مختلف معاهد التعليم ، فافتتح بافتتاحها باب عريض لشباب الأزهر الذين شغفت أفكارهم إلى التعليم المدني ، وكان في مقدمتهم الطالب الأزهرى طه حسين .

وحصل الطالب طه حسين على ليسانس الآداب من الجامعة المصرية القديمة ، لكنه لم يرح قاعات الدرس فاضطر الجامعة إلى تنظيم قسم الدكتوراه الذي لم يدخله سواه .. وفي سنة ١٩١٤ توفقت رسالة الطالب طه حسين وموضوعها (ذكرى أبي الملاء) . وحصل بهذه الرسالة الضخمة على أولى شهادات الدكتوراه في الآداب من مصر .

وكانت الجامعة قد أوفدت بعض طلبة الليسانس في بعثات إلى الخارج .. فلم يكن طبيعياً أن يحظى بالبعثة حامل الليسانس ولا يحظى بها حامل الدكتوراه .. وهكذا أوفد طه حسين في بعثة لدراسة الآداب في جامعة السوربون ، بينما كانت بعثات زملائه الذين سبقوه إلى جامعات أخرى ليست لها كل وجهة السوربون .

وجاءت الأخبار من باريس بأن مبعوث الجامعة طه حسين قد ظهرت عليه ملامح تجديد وصفه شيوخ الجامعة القديمة بأنه جنوح إلى الإلحاد ، فأرسلت الجامعة في استدعائه إلى القاهرة تمهيداً لإلغاء بعثته بحجة أنه ليس بحاجة إلى الدكتوراه بعد أن حصل عليها من القاهرة .. وفي هذه الأثناء ، في سنة ١٩١٥ بالذات ، كانت قد ظهرت في القاهرة جريدة أسبوعية اسمها (السفور) . وكانت هذه الجريدة منتدى شباب المثقفين الجدد فانضم إليهم ، ونشر على صفحات هذه الجريدة سلسلة من المقالات في نقد الجامعة . وأخذ يفتن في وصف شيوخها .. يكفيك في هذا الوصف أنه قال عن شيخهم أنه كان يدخل قاعة المحاضرات في الجامعة متأبطاً الجهل .. !!

.. وأثارت مقالات الشاب طه حسين ضجة حول الجامعة كان يمكن أن تتطور إلى خطر عليها لولا أن عبد الحائق ثروت (باشا) بوصفه مقنن الجامعة المصرية القديمة قد أفتى بأن إلغاء بعثة الطالب طه حسين يعتبر خطأ قانونياً .. وأعيد طه حسين لمواصلة بعثته ودراسته في باريس .

عاد طه حسين من البعثة بعد حصوله على درجة الدكتوراه ، مع مرتبة الشرف ، من جامعة السوربون لينضم إلى صفوف الأساتذة في كلية الفلسفة والآداب بالجامعة المصرية القديمة ، وحدد مرتبه الشهري بأربعين جنياً ، وأربعون جنياً قبل سنة ١٩٢٠ كانت ثروته .. لكن كفاءة طه حسين ونشاطه وشهرته المبكرة قد فتحت أمامه أبواب أعمال أخرى ، وفي مقدمتها القيام بصفحة الأدب في جريدة السياسة نظير سبعين جنياً في كل شهر ..

في نهاية سنة ١٩٢٥ صدر المرسوم بنحويل الجامعة المصرية القديمة وكانت أهلية ، إلى جامعة تنشأ الدولة . . وقد عرض هذا المرسوم أساتذة الجامعة القديمة للتأعب عدة ، إذ بدأت الدولة تقيم شهاداتهم ، ورواتبهم ، وما يستحقون من درجات على أساس هذا التقييم — إلا طه حسين فقد استثنى من هذا كله ، ونص في قرار تنظيم الجامعة بإعفاء الدكتور طه حسين من كل هذه العمليات التي تقتضيها لوائح الحكومة . . وكان طه حسين هو أول أستاذ أدب في كلية الآداب بالجامعة التي صوّها يؤمّد (جامعة فؤاد) .

لكن فؤاد للملك حين ذهب ليفتح المباني الجديدة للجامعة في سنة ١٩٣٣ بمناسبة الاحتفال الجامعي بمرور ربع قرن على إنشاء هذه الجامعة شعبيا — وحين رأى لذلك فيمن رآهم من الأساتذة الدكتور طه حسين — التفت إلى وزير التعليم الذي كان يرافقه في هذه الزيارة ، وهو حلمي عيسى باشا قائلا : ألا يزال هذا الرجل هنا ؟ .. وخرج طه حسين من الجامعة .

خرج طه حسين من الجامعة ليدعم عددا من الصحف بمقالاته السياسية بعد أن أصبح خصما سياسيا للحكومة .. لكن الحكومة ما لبثت تغيرت بعد قليل حتى عاد طه حسين عميدا لكلية الآداب . ومرة أخرى فصل طه حسين من الجامعة لكنه عاد بعد قليل مديرا لجامعة اسكندرية ، وكان اسمها جامعة فاروق .

ومرة ثالثة فصل طه حسين من الجامعة ، لكنه عاد مع بداية سنة ١٩٥٠ وزيرا للمعارف ..

هذه هي خلاصة قصة التحدي في حياة طه حسين .. أما بقية القصة فيعرفها كل الكاتبين وكل القارئين على السواء .

طلعت

رجل آخر يبدأ اسمه بحرف الطاء ، لكن حياته كانت سلسلة من التحديات ، هذا الرجل هو طلعت حرب .. وقد لا يعرف كثيرون أن ثقافة طلعت حرب قانونية ، فهو خريج مدرسة الحقوق التي صارت كلية الحقوق ، ولم يكن علم الاقتصاد جزءاً من دراسة الحقوق قبل مطلع القرن العشرين عندما تخرج طلعت حرب ، ومع هذا فقد كان طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادي في الماضي .

كيف حدث هذا ؟

لقد أخذت طلعت حرب فيمن وقع عليهم الاختيار لتصفية (الدائرة السنية) عند تصفية أملاك الخديو السابق اسماعيل .. وبينما كان الشاب طلعت حرب يمارس هذا العمل أحس بكل المظالم التي كانت تقع على كاهل الفلاح . فالفلاح كان مضطراً إلى الاستدانة ليسدد ما عليه من أقساط الإيجارات ، والذين يسلفونه كانوا يهودا يعرفون جيداً كيف يحسبون الحسابات المركبة على الفلاح ، وتكون النتيجة أن رأس المال للفلاح سواء كان سهماً أو قيراطاً أو فدانا على الأكثر معرض للضياع في كل الأحوال ..

أحس طلعت حرب بأن لزاماً للفلاح في هذه الحالة إلا بوجود مصرف وطني يجبر الفلاحين وينقذهم من للضياع لكن نداء طلعت حرب بهذه الفكرة في مشرق القرن العشرين كان مصيره للضياع .

كانت البنوك في مصر كلها أجنبية ، والحقيقة أن غالبيتها كانت يهودية ، وكانت اليهودية الصهيونية تعمل من وراء الستار في هذه البنوك لإضعاف قوى الفلاحين العرب من شدة الحاجة .. وكان الأثرياء والسراة ، وهم غافلون عن هذه الحقيقة ، مقتنعين بأن الأعمال المصرفية صناعة أجنبية يهودية لا يمكن لها أن تتمصر .. لقد بلغ من عنف الدعاية الاستعمارية الصهيونية في هذا المجال ظهور فكرة تبدو الآن مضحكة ، هي أن حسابات البنوك لا يمكن أن تكتب باللغة العربية .. !!

فماذا يصنع طلعت حرب إزاء هذا السيل من الأوهام الباطلة ؟

انتهد على نفسه بالاشتراك مع صديق حميم له من أسرة «سلطان» وأنشأ شركة مالية باسم (شركة التضامن المالي) هي المعروفة فيما بعد باسم التضامن المالي .. وقد لا يعرف كثيرون أن هذا البنك كان شركة صغيرة رأسمالها آحاد الآلاف من الجنيهات ، وأنها أسست سنة ١٩٠٧ .

انحصر جهد طلعت حرب في هذه الشركة سنين - إلى أن انعقد (المؤتمر المصري) في سنة ١٩١١ فوقف فيه خطيباً يعرض فكرة إنشاء بنك مصري ، واستطاع بالبحث العلمي الذي قدمه للمؤتمر أن يقنع الحاضرين .. وسارت الخطى التمهيدية لإنشاء البنك في شئ من التعثر ، وقامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ فقفزت على هذا المشروع فيما قفزت عليه من المشاريع الوطنية .

فلما انتهت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر سنة ١٩١٨ وأعطىها قيام ثورة سنة ١٩١٩ اقتبس طلعت حرب من الأحاسيس الوطنية قبساً

يضىء به فكرة البنك المصرى .. وفى هذه المرة نجح ، وأعلن قيام
بنك مصر فى ٧ مايو سنة ١٩٢٠ .

على أن هذا النجاح كانت تسببه الدعوى — فقد رفض كثرة
الأغنياء للمساهمة فى تأسيس البنك خوفاً على أموالهم من الضياع . .
ورفض الساسة تشجيع فكرة البنك خوفاً من تفتيت جهود الأمة
فى طاب الاستقلال السياسى .. لكن طلعت حرب لجأ إلى الشباب . .
إلى الطلبة .. وقسم قيمة السهم الواحد من أسهم البنك للعروضة إلى
الاكتتاب لأربعة أقسام كل قسم ثمنه جنيه واحد ليستطيع أى فرد
عادى أن يكتتب .. أما أسهم التأسيس التى تقدر بربع رأس مال البنك
وقبعتها عشرون ألف جنيه فقط ، فقد دفعها طلعت حرب هو وستة
من أصدقائه تألفت منهم الجمعية التأسيسية لبنك مصر .. هذا البنك
الذى خطط فيما بعد طريق اقتصاديات مصر من خلال تسع عشرة
شركة أنشأها طلعت حرب فى الوقت الذى كانت فيه مصر لا تزال
محتلة ..

وكانت هذه هى قصة النجدي فى حياة طلعت حرب ، وقد
قوبل هذا التجدى فى النهاية بتحد مضاد .. فبعد هذا كله تهررت
تيجية طلعت حرب من إدارة بنك مصر سنة ١٩٣٩ بحجة أنه كان
يعطى سلفيات كبيرة لبعض الأسر بلا ضمانات كافية وكان رد طلعت
حرب أنه بهذه السلفيات كان يروض أعضاء الأسر التى فقدت ثروتها
فى الجهاد الوطنى ، وأنه يضمن سداد هذه السلف بوطنيتهم . .

يومئذ سخر وامننه .. لكن الأيام أثبتت صحة نظريته ، فإذا بكل هؤلاء قد ردوا للبنك ماله عليهم .. وأقامت البلاد لظلمت حرب التماسيل ..

طاهر :

اعلم الذين يحصلون إسم (طاهر) هم أكثر الناس الذين تبدأ أسماءهم بحرف الطاء .. وأشهر اسم (طاهر) وهو طاهر (باشا) الذى كان يتطلع لأن يكون والياً على مصر لولا تفوق محمد على .. وقد خلف طاهر (باشا) أسرة كبيرة فى مصر كان من أبنائها فى الماضى الفنان التشكيلى الشهير صلاح طاهر ومن أبنائها فى الحاضر عادل طاهر وكيل وزارة السياحة .

لكن أقسى من قست على شهرته الأيام من أصحاب إسم (طاهر) هو للرحوم طاهر لاشين .

كان طاهر لاشين مهندساً ومدير أعمال فى وزارة الرى ، لكنه كان معروفاً بأنه قصاص .. لقد كانت قصص طاهر لاشين تقف جنباً إلى جنب مع قصص محمود تيمور ومن قبله محمد تيمور ، ومن قبلهما محمود عزمى وحسين فوزى .. إن طاهر لاشين أحد الرواد الأول فى كتابة القصة القصيرة ، وله فى هذا المجال أكثر من كتاب .. لكن هذا كله قد جاز عليه النسيان مع أن بعض أقاصيصه أفضل من بعض أقاصيص الذين اشتهر من قبله ومن بعده .

هل هذا حظ ؟ .. لست أدرى ..

العبد في بالضمة

فجأة خاتني الأرشيف في حرف (الظاء) . . لم أجد في خاتنة
هذا الحرف شيئاً يذكر من الأسماء . . وفجأة اكتشفت أن هذا
الحرف حرف عنيد ، لا يمكن تركيبه مع ثلثي الأحرف الهجائية .
وكدت ألقأ إلى اللهجة العراقية التي ينطقون بها الضاد ظاء . .
فياخواتنا العراقيين يقولون « ظبجة » بدلاً من « ضبجة » . . لكنني
خشيت أن يختلط الأمر على القراء . . ثم كدت أن أتجاوز عن
هذا الحرف العنيد . . وأعددت بالفعل الأسباب التي أنحطى بها
هذا الحرف . . فهو حرف « الظلم » وحرف « الظلماء » وكلها
مسميات لا تفتح شبهة كاتب ولا قارئ . . وفجأة وقع نظري على
كتاب في المرأة للمرحوم عبد العزيز البشري التي تتألف فصوله من
المقالات التي كان ينشرها البشري على الصفحة الأولى بجريدة السياسة
الأسبوعية ليقدّم في كل مقال شخصية من شخصيات عصره بأسلوب
ممتع تستطيع أن تسميه أسلوب الكاريكاتير في الأدب .

فعندما جاء دور الشيخ رشيد رضا في مقالاته (في المرأة)
وصفه البشري بقوله (لقد ثقل حتى خف) . . يعني أن هناك شيئاً
زاد عن حده فإتقلب إلى ضده كما تقول الأمثال العربية . . وفجأة
أحسست أن هذا الوصف ينطبق تماماً على حرف الظاء . . لهذا
الحرف العنيد الذي تبدأ به كلمات ممحقة في القسوة هو نفسه الحرف
الذي تبدأ به كلمة (الظرف) بفتح على الظاء في الفصحى وبضمّة

على الظاء في العامية ، وهي كلمة تنفي خفة الظل والروح وإشاعة
النكته والفكاهة بين الناس إلى الدرجة التي تسرى عنهم .

حرف الظاء

ظرفاء بالقول :

وهنا تذكرت أنني نشأت في جيل اشتهر بنخبة من الظرفاء
الذين هونوا على أنفسهم وعلى أنفسهم الكثير من الأزمات ،
بما فيها أزمات الحرب والسياسة وكان ظرفهم مادة ممتوية لإزالة
الصدأ عن هذه النفوس كي يستطيع الناس أن يستقبلوا ما هم فيه من
جد بروح تعاؤها البسمات .

لقد مررنا بمرحلة : لعالمها مرحلة العشرين الثانية من عشرات
القرن العشرين ، أي بين سنتي ١٩٢٠ ، ١٩٤٠ - كان الأدب والظرف
فيها قوايين . . لقد كان الأدباء الظرفاء هم الأغلبية في هذه المرحلة
وأذكر من هذه الأغلبية ، حافظ إبراهيم وإمام العبد ، والبشرى
ورامي وحام .

وكان الشاعر : حافظ إبراهيم في شبابه وبوهيته الأدبية رفيقاً
دائماً للشاعر إمام العبد . . كانا يتكسبان بالشعر الشيء القليل ،
وقد اتفقا على أن يتقسما كل ما يصل إلى يد أحدهما . . وذات مرة
سمع إمام العبد أن حافظ يقول أنه هو الذي خالق شاعرية إمام العبد
فمزت عليه نفسه واختصم حافظ اختصاصاً ترتب عليه وقف إقسام

(الأرباح) . . ولم يدم هذا الخصام إلا شهراً ، وتشاء المقادير أن يصيب إمام العبد في هذا الشهر مبلغاً وفيراً من المال بينما كانت الضائقة تسكاد تخنق حافظاً . . فذهب لصاحبة إمام العبد وبعد أن تصافيا قال لصاحبه (هات تصيبي عما أعطاك الله) فإذا بصاحبه يقول له منين (يا مولاي . . كما خلقتني) .

وكان الأستاذ عبد العزيز البشري : قاضياً بمحكمة مصر للشرعية وإتدبته المحكة للنظر في قضايا محكمة حلوان يومين كل أسبوع ، فاستأجر بحلوان شقة صغيرة بييت فيها ليلة واحدة في الأسبوع . وهي إقامة لم تكن تشكل حاجة إلى تأثيث هذه الشقة إلا بالقليل . ولكن أحد اللصوص كان قد سمع براء الشيخ البشري ، وظن أن هذا الثراء ينعكس على موجودات مسكنه في حلوان . فتسلق إلى هذا المسكن ليدخله من نافذة المطبخ حيث لم يجد في هذا المطبخ شيئاً . . وأحس الشيخ بحركات اللص فنهض من فراشه واتجه إلى الحائط ليعطيها وجهه معطياً ظهره لمن يقتحم الغرفة . فلما اقتحمها اللص أدهشه موقف الشيخ الذي لا يدير إليه وجهه ولا يتطرق بكلمة ، ولو كلمة إستغاثة . واستغرب اللص هذا الموقف ، وقرر أن يحسم أمره بمخاطبة الشيخ مباشرة . . قال له : — ياسيدنا الشيخ ألم تشعر بأن في مسكنك غريباً ؟ . . قال نعم . . قال اللص ألم تنصور أن هذا الغريب لا يد وأن يكون لاصاً قال نعم . قال اللص فما بالك تقف هكذا دون حركة ؟ قال الشيخ : لأنني مكسوف منك يا ابنى .

وكانت النكتة لا تبرح الشاعر أخذ رامي في شبابه وحتى

حين كان مدرساً كان يخاطب تلاميذه بهذه الروح للرحمة .. ذات مرة
نزل يشير إلى اسم بلد على الخريطة وأنا لا أرى هذا الاسم ، وبعد
أن أعيته الحيل معى قال لى (يا واد أنت لازم عينك فوق حواجبك)

و ذات مرة كانت السيدة أم كلثوم عائدة من رحلة إلى لندن
والذيع يجرى معها حواراً حول مشاهداتها هناك وهو يلوك بعض
الكلمات برطانة انجليزية أثارت فحسكنا .. وأخيراً قال للذيع (والآن
تسمعون كوكب الشرق الآنسة أم كلثوم) فرد عليه المرحوم الشاعر
عبد مصطفى حمام بقوله : غلطان .. الآن تسمعون من لمعى كلثوم ،
وأم كلثوم نفسها التى نسميها الآن (سيدة الفناء) كانت معروفة بأنها
(سيدة النكتة) ... ذات مرة فى إحدى الحفلات تقدم إليها باشا
عجوز يسير فى شىء إلى الإنحاء بفعل السنين كى يأخذ بذراعها ، إلى
صدر الحفلة .. فتقدم منها المرحوم الدكتور محجوب ثابت وكان هو
الآخر منحنى الكتفين ، ليأخذ بذراعها الأخرى ، فنظرت إليهما
أم كلثوم قائلة : « أيوه يادكتور بعشان أمشى بين قوسين » .

ظرفاء بالفعل :

على أن الظرفاء فى الماضى لم يكونوا كاهم ظرفاء الكلمة فقط ..
لقد كان هناك ظرفاء التحركات أيضاً وكان على رأس هذا الفريق
المرحوم حنفى محمود (باشا) وزميلنا المرحوم كامل الشناوى والشاعر
عبد مصطفى حمام وغيرهم ..

كان حسن صبرى (باشا) الذى صار رئيساً للوزراء فى أوائل

الأربعينيات وأسلم الروح وهو يلقي خطبة الافتتاح في مجلس النواب —
كان يرى قبل هذا أن الوزارة قد تأخرت عليه (فزملأوه وأقرانه جيباً
صاروا وزراء) وهو لم يكن قد دخل الوزارة بعد وكان هذا
الرأى يسبب له قلقاً نفسياً كلما بدا في الأفق تشكيل وزارى جديد ..
وقد علم حنفى محمود بهذا السر الخاص لحسن صبرى ، فانهز فرصة
تشكيل الوزارة التى يشكها شقيقه محمد محمود (باشا) في أول يناير
سنة ١٩٣٨ وذهب إلى منزل حسن صبرى قائلاً له إن أخاه قد كلفه
بأن يستدعيه لمقابلته في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم بداره .. أُلح
حسن صبرى على حنفى محمود لمعرفة السبب في هذا الاستدعاء لكن
حنفى قال لا أدري .. وفتح حسن صبرى صحف اليوم ، فلم منها أن
رئيس الوزراء الجديد سيجتمع بالوزراء الجدد في نفس الساعة التى
حددها له حنفى استعداداً للتوجه معاً إلى القصر لحلف اليمين الدستورية
فاعتقد أنه مدعو للانضمام إلى التشكيل الوزارى وإذا به يرتدى بذلة
الردنجوت ويذهب في الموعد المحدد إلى دار محمد محمود .

والذى لم يكن يعلمه حسن صبرى أن محمد محمود لم يكن يطيقه ،
لا شكلاً ولا موضوعاً .. فلما أن نزل محمد محمود إلى الطابق الأول من
داره ليلتقى بوزرائه وما أن رأى بينهم للرحوم حسن صبرى حتى علا
وجهه المعبوس وهو يقول الوزراء فقط يتفضلون باللحاق بى إلى غرفة
المكتب .. وهنا أدرك حسن صبرى أن كلمة (فقط) هذه تعنى
استثناءه ، فراجع إلى الوزراء مرتبكاً ، بينما كان حنفى ومن معه يجلسون
في الغرفة للمقابلة لهذا المشهد وهم يكتفون بالضحكات ..

كان حفي محمد قاسياً في ظرفه وأرق منه في (لقالب الظرفية) كامل الشناوى تلقى كامل الشناوى ذات يوم من أيام شهر رمضان .. وكان وقتئذ أحد محررى الأهرام — عتاباً من زميله في الجريدة الشيخ العسكري بعد أن سمع بولائم بيت الشناوى في شهر رمضان .. كان الشيخ العسكري رجلاً يحب الوفرة والأناقة والثراء في الطعام وفي كل شيء وكان كامل يعرف عنه هذا السر فوجد لها فرصة لأن يوجه إليه الدعوة لتناول الإفطار في يوم الجمعة المقبل . . . كان أجباء الشيخ العسكري كثيرين ، والراغبون منهم في دعوته إلى الإفطار في رمضان كثيرين .. لكن كما حدد له أحدهم موعداً لهذه الدعوة يوم الجمعة المقبل اعتذر قائلاً : هذا يوم محجوز لوليمة كبرى عند آل الشناوى .

وفي اليوم المحدد ذهب الشيخ العسكري إلى بيت الشناوى . . . وجلس الإثنان حول الطاولة ساعة أذان للغروب وما أن انطلق مدفع الإفطار حتى نادى كامل على خادمه ليأتى بالحساء .. ضحك الشيخ العسكري قائلاً : إحساء بالضأن أم بالدجاج ؟ . ووضع الخادم أطباق الحساء وعلى كل منهم غطاء وما أن رفع الشيخ العسكري غطاء طبقه حتى وجدته عدساً . . .

وضحك للشيخ العسكري قائلاً (ظريفة دى يا كامل حتى تدخر وسعنا للأصناف الأخرى) .. لكن ما كاد الإثنان يفرغان من تناول الحساء حتى نادى كاملاً على خادمه قائلاً : (الحلو يا ولد) . . . وكذب

للشيخ العسكري أذنيه لكنه لم يستطع تكذيب عينيه وهو يرى
الخدام يضع أمم كل منهما طبقاً من أطباق البالونطة .

قال الشيخ للعسكري : (أأتم تأكلون البالونطة في أول الطعام ؟ ..) .

قال كامل : (بل في آخره .. إيه أنت لسه ماشيكتش ؟ ..)
وضحك الظرفيان ...

كان الشاعر حمام أبعد ظرفاً من هذين الظرفيين ، لكنه كان
أكثر رقة .. وكان حمام يعلم أن طلعت حرب (باشا) مغرم بالتوشيح
والألحان الموسيقية القديمة .. كان يحفظ الكثير منها .. سماطاً وغناء ..
ف ذات يوم دخل حمام على طلعت حرب يبشرة بأنه قد اكتشف
توشيحاً قديماً لم يسمع به من قبل .. وأنه قد (ربط) « موسيقاه مع
الأخوين عثمان ، وكان من الموسيقيين .. ثم طلعت حرب لبلة
يستقبل فيها حماماً وصاحبيه للاستماع إلى هذا التوشيح في داره .

وفي الموعد المحدد أقبل ثلاثهم وهم يحملون أعود للوسيقى .. وكان
طلعت حرب قد دعا بعض أصدقائه للاستماع منه إلى هذا الاكتشاف
للموسيقى الجديد .. وجلس الثلاثة .. وأصلحوا أوتار أعودهم ..
وبعد مقدمة (باليل يا عين) التي كانت تبدأ بها الحفلات الموسيقية بدعوا
يقتون التوشيح للزعم .. وكان أكثر الحاضرين تحسناً لما يسمعه منهم
رجل اسمه (بدر بك) .

كانوا يقتون أغنية ألّفها حمام لهذا الغرض وهي تبدأ بقولهم :

(يا لالا بنا نساخر قليوب) .. وظل ثلاثتهم يرددون هذا المقطع
بمختلف النغم عشرات المرات ، وطلعت حرب وأضيافه يهزون
رءوسهم طرباً وإعجاباً .. وفجأة انتقلوا إلى الشطرة الثانية ، فإذا بهم
يقولون (يا بدر وشك يا قليوب) ..

وقبل أن تنزل عصا طلعت حرب على رءوسهم كانوا قد أطلقوا
سيفاتهم للريح ..



قصة من كفر المصلحة

لست أظن أن في لغة من اللغات حرفاً كحرف (العين) يحمل في نقطة معنى أعز الحواس على الناس ، فالعين في تكوين الإنسان هي أول نافذة يطل منها على الوجود .. ولقد كانت (العين) هي فاتحة الفناء في الموسيقى العربية لأجيال طويلة حيث كان الفناء العربي يبدأ دائماً (يا عين يا ليل فسكان العين هي التي تواجه الليل بالنهار ..

حرف العين

عبد العزيز :

لست أعرف في رجال التاريخ الحديث الذي يبدأ من سنة ١٩١٩ رجالا كعبد العزيز فهمي ، وعبد العزيز فهمي هو ثالث ثلاثة واجهوا في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ .. ضد بريطانيا في مصر مطالبين بإلغاء الحماية ورد حرية المصريين إليهم .. وبالرغم من شهرة عبد العزيز فهمي فقليلون جداً هم الذين يعرفون أنه التوأم الروحي لأستاذ الأجيال أحمد لطفى السيد ..

كانا زميلين .. لكن لطفى السيد قد سبق عبد العزيز بسنتين من سنى للعمى ، وسبقه بسنتين في التخرج من مدرسة الحقوق فلما تخرج عبد العزيز فهمي اتجه مباشرة إلى مكتب لطفى السيد المحامى ليؤلفاً أول شركة في مكاتب المحاماة .. فلما ترك لطفى المحاماة وظائف النيابة العامة

استقل عبد العزيز فهمي بكتبهما وحده .. وظل يصعد مدارج المحاماة حتى غدا تقيياً للمحاميين .. وكان عبد العزيز فهمي هو النقيب الثاني في تاريخ نقابة المحامين .. أما النقيب الأول فهو ابراهيم الهلباوى .. وقد اختير عبد العزيز فهمي لمزاملة سعد زغلول وعلى شعراوي في يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ يوسف تقياً للمحاميين الى جانب صفته كزعيم من زعماء الجمعية التشريعية .

إن أبناء الجيل الأسبق يقولون أن عبد العزيز فهمي كان صاحب للعقلية الأولى بين أولئك الثلاثة .. لكن عقليته كانت عقلية العالم للفتن ، بينما كانت عقلية سعد زغلول عقلية الزعيم للتوئب ومن هنا كانت له الرياسة ..

ولقد تولى عبد العزيز فهمي منصب الوزراء ، فكان في عصره ، من أعجب الوزراء سلوكاً .

يوم عين وزيراً لأول مرة وجد ياب داره للقى لم تتغير بضاحية مصر الجديدة سيارة منتظرة ، هي سيارة الوزارة . فصرخها قائلاً لسائقها : إتنى أملك سيارة فكان أول وزير في مصر يعالج مشكلة للسيارات الحكومية .. فلما ألحوا عليه باستعمال سيارة الوزارة باعتبارها من تقاليد المنصب صار ينفق في الخدمات العامة بالقدر الذي كانت تكلفه هذه السيارة .

إن عبد العزيز فهمي قد خلق لكي يكون قاضياً .. وحتى حين كان محامياً كان يدرس القضايا بعقلية قاض عظيم .. لقد روى لي

الشاعر العظيم خليل مطران — وكان من أصدقاء عبد العزيز فهمي —
أنه لجأ إليه للدفاع في قضية أيتام ضاع حقهم أمام المحكمة الابتدائية
وكان هذا الحق يقدر ب ستة عشر ألف مليم .. ومع هذا فقد قدروا
أتعاباً للمحامى الذى يدافع عنهم أربعمائة جنيه حملها معه مطران إلى
عبد العزيز فأبى أن يلمسها قبل أن يدرس القضية ..

وترك مطران ملف للقضية أمام عبد العزيز فهمي المحامى . وذهب
إلى سهرته — وبينما كان فى طريق عودته من السهرة فى الواحدة
صباحاً . وقد تصادف أن كان طريق العودة ماراً بالمبنى الذى يقع فيه
مكتب عبد العزيز — فإذا به يلح للنور مضاء فى مكتبه فلما صعد إليه
رآه منكباً على دراسة ملف للقضية ما يزال .. وما أن رأى مطران
أمامه حتى قال له : لقد قبلت إقامة هذه الدعوى ..

وحاول مطران أن يعيد عليه الكلام فى « أتعابه » لكنه رده
عن هذه المحاولة قائلاً : دع هذا إلى أن تكسب الدعوى ..
وكسب الدعوى ..

فلما حصلوا على هذا المبلغ قال عبد العزيز فهمي لمطران :
دعهم يستمتعون بهذا المبلغ كاملاً ولكن أتعابى « هدية لهم » ..

كان هذا هو سلوك عبد العزيز فهمي بل كان هذا هو عبد العزيز
فهمي نفسه .. فلما أنشأت محكمة النقض منذ أربعين عاماً أو تزيد كان
تعيين عبد العزيز فهمي رئيساً لها محل الإعجاب .. لكن هذا للتعيين
كان أيضاً محل الاستغراب ..

ذلك أن عبد العزيز فهمي هو الذى خاصم الملك فؤاد عندما كان

وزيراً للعدل من قبل على كتاب الشيخ على عبد الرازق .. ورفض أن
يفصل الشيخ على من القضاء كما كان للملك يريد . لكن عبد العزيز فهمي
كان قد شغل من بعد منصب رئيس محكمة الاستئناف وما أن سمع بأن
بعض أعضاء البرلمان يتناقشون حول مرتبه حتى استقال لأنه كان يرى
أن ضمير القاضي لا يطاوعه على أن يجلس مجلس للقضاء وهناك من
يشكك في مستحقته . وأحس الملك فؤاد أنه أمام رجل غير عادي ،
فتناسى له موقفه من مسألة الشيخ على عبد الرازق وعينه رئيساً لمحكمة
التنقيض . وما أن سارت أعمال هذه المحكمة وسرت في الأوساط
القانونية أحكام عبد العزيز فهمي فيها حتى أطلقوا عليه لقب
قاضي القضاء .

لقد كان عبد العزيز فهمي وارث الضياع للزرعة في بلده
كفر للصليحة رجلاً زاهداً .. توفيت زوجته وهو دون الأربعين فلم
يتزوج بعدها .. عرضت عليه المناصب الوزارية فرفضها أكثر من مرة
.. انتخب رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين فاشترط ألا تزيد مدة
رئاسته على تسعة أشهر .. أنعم عليه بأكبر قلادة في الدولة بمناسبة
الذكرى الخامسة والعشرين لقيام ثورة سنة ١٩١٩ فقال لندوب الملك
وماذا أصنع بهذه القلادة ..

وأذكر أنه قال لي يومئذ في شجاعة عجيبه وهو دون السبعين من
عمره : يا بني لقد حان وقت القطاف . وأنا أنقل هنا تعبيره حرفياً عن
استعداده بالإيمان بالقوى الملائكة ربه . وليس معنى هذا أن عبد العزيز
فهمي كان ملاكاً . لقد أخطأ — كما يخطئ كل البشر — مرتين :

مرة حين قال «إن الدستور ثوب فضفاض» وكان يقصد أنه الثوب الأكبر .. ومرة أخرى حين اقترح كتابة حروف الهجاء العربية باللغة اللاتينية وكان يقصد التيسير على الإعلام المصري في الخارج .. لكن الإنصاف يقتضى أن نذكر له إزاء هذين اللوقفين موقفه في لجنة الدستور سنتي ١٩٢٢ . ١٩٢٣ أن مناقشاته في هذه اللجنة حول حقوق الشعب إزاء ما كان يسمى باسم حقوق العرش ، كانت قمة من قم الشجاعة الديمقراطية .. ثم موقفه في مجمع اللغة العربية حين عين عضواً به إزاء الهجوم على هذا المجمع .

وفوق هذا كله فإن عبد العزيز فهمي « فلاح » كثر المصلحة العظيم هر الذي قضى في بلدته على الأمية والبطالة فكانت القرية الوحيدة في مصر التي خلت من العطل والامية بفضل مثالية عبد العزيز فهمي في الخدمة العامة .



تاريخ ثلاث مصاصات

تبدو الحروف وكأنها كائنات حية يجرى عليها ما يجرى على سائر الكائنات من الحفظ .. ومن حفظ الإنسان أن يشتر حيناً وأن تنطق شهرته حيناً ، وكذلك حفظ الحروف لحرف — اللين — كان إلى ما قبل سنة ١٩٣٩ حرفاً تقليدياً كسائر الحروف الهجائية التي يكمل بعضها بعضاً في الكلمات العادية .. لكن هذا الحرف قد قفز فجأة في سبتمبر سنة ١٩٣٩ إلى الصف الأول من الحروف التي تتركب منها الكلمات الجديدة التي أصابت للشهرة .. فقيام الحرب العالمية الثانية أصبحنا — تداول في كل يوم كلمة — غارة — وكلمة — الجنرال غورو — وكلمة — مبادىء غاريالدي — ومنذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن ونحن نردد كل يوم اسم مدينة — غزة — .. وهكذا ظهرت على السطح غالية — وغالية نفسها كلمة غائبة — غالية الكلمات التي تبدأ بحرف اللين والتي كانت قليلة الاستعمال من قبل فأصبحت محلاً للاستعمال اليوم .

حرف اللين

غائ :

كانت الكلمات للغائية في الماضي غالبة لأنها قليلة التداول ، أو هكذا ظن الناس .. ولقد قابلت هذه القلة كثرة اختيار اسم

« غالى » عند إخواننا الأقباط .. وافتد تظهر من هذه الكثرة ثلاث اشتهرت أسماءهم بين الناس .. وكان أولهم بطرس غالى — باشا — وحوالى سنة ١٩١٠ حدثت أشياء أثارت غضب اللواتين منها موافقة رئيس الوزراء بطرس غالى على سياسة الإنجليز فى السودان .. ومنها صدور قانون للطبوعات للقيـد لحرية الكلمة — ومنها قبول الوزارة لمناقشة طلب شركة قناة السويس بمد امتيازها إلى مائة عام .

فى جو هذا الغضب وجدت جمعية سرية لمقاومة هذه المشروطات بالسلاح واتحدت الجمعية الشاب ابراهيم الوردانى لينفذ حكمها فى بطرس غالى — باشا — رئيس الوزراء وذهب الوردانى ذات صباح إلى دار رئاسة الوزارة بلاطوغلى ، ووقف فى انتظاره .. فلما أن ظهر بطرس غالى حتى أطلق عليه الوردانى ثلاث رصاصات أردته قتيلا ، وكان الوردانى يردد على دسمعه أن هذه الرصاصات من أجل حرية الصحافة ، وهذه الرصاصات من أجل قناة السويس إلخ ..

ولم يفر الوردانى .. ولم يعترف على أحد من شركائه ، وكانت محاكمته وثبات جأشه فيها ، إلى جانب صباه وضعف صحته ، بما أحرق به القلوب وقد عبر الفنانون عن هذا الشعور فى أوسية تنفيذ حكم الإعدام فى الوردانى بأغنية ظل للشعب يرددوها سنين وهى الأغنية التى أعيد صوغها وتلحينها وغناؤها أخيراً على لسان للطربة شادية .. الأغنية التى تقول — قولوا لعين الشمس ما تمحاشى ، لحسن غزال البر صابح ماشى ..

ويشاء القدر أن يبرأ إخواننا الأقباط من سياسة بطرس غالى الذى كان الأقباط أول من هاروا عليه — فإذا بنال آخر من بيت بطرس غالى يرفع رأس مصر فى الخارج .. ذلك هو واصف بطرس غالى باشا —

كان واصف غالى يعيش منذ صباه فى الخارج بعد حادث أبيه بطرس وقد اختار باريس مقراً له ، فأقن اللغة الفرنسية إتقاناً يز فيه للفرنسيين أنفسهم . . وأصدر فى باريس ديوان شعر باللغة الفرنسية حتى اعتبره الفرنسيون من شعرائهم الجدد وتحت هذا الإحساس حاول بعض الاستعماريين أن يجذبوا الشاب واصف غالى إلى صفوفهم فأبى ، وأقشد فى هذا الآباء من القضاة الفرنسية ما يعتبر مرجعاً .

فلما وصل وفد مصر فى ثورة ١٩١٩ إلى باريس انضم واصف غالى إلى عضويته وكان المتحدث باسم هذا الوفد لمسا له من صداقات بالصحفيين الفرنسيين ولمسا له من علم باللغة الفرنسية والقانون الدولى . وعندما تعددت آراء أعضاء الوفد كان واصف غالى يقف دائماً إلى جانب الرأى الذى يقف فيه سعد زغلول ، فكان واصف غالى بهذا للوقت أحد الأقطاب الذين حققوا غناق الصليب مع الهلال فى ثورة ١٩١٩ ، وكان على حداثة منه أحد وزراء سعد زغلول فى سنة ١٩٢٤ . ولمسا عادت إلى الوفد بعد وفاة سعد نزعة التعدد فى الآراء أثر واصف غالى الحيدة إلى آخر حياته حتى لا ينتصر لفريق دون فريق .

. . .

وفى سنة ١٩٥٠ ظهر اسم غالى ثالث . . لكن فى مجال آخر غير

مجال السياسة . . في مجال الحب والغرام ، وإن كان غراماً شغل
الأوساط السياسية وقتاً طويلاً .

لقد بدأت القصة في صيف سنة ١٩٤٩ عندما دب الخلاف بين
الملك السابق فاروق وبين أمه الملكة السابقة نازلي ، فقررت أن تترك
مصر وأن تعيش متنقلة بين بلاد أوروبا هي وصغرى بناتها . . كان
أول بلد انجذبت إليه هو سويسرا . وفي سويسرا حشدت السفارة
المصرية إذ ذاك كل طاقاتها لتكون في خدمة الملكة الوالدة . . فلما
طالت إقامتها بعض الوقت كان لا بد أن يتفرغ أحد أعضاء السفارة
لخدمتها ، وقد اختارت هي نفسها هذا الشخص . وكان هذا الشخص
هو الملحق الشاب رياض غالي .

كان رياض غالي شاباً ذكياً وسيماً ، وقد استطاع بذكائه ووسامته
أن يرضى الملكة الوالدة . . فكان رياض غالي يشاهد مع الملكة
الوالدة وصغيرتها في بعض الأندية الليلية ومع مرور الأيام توطدت صلته
بالاتين حتى غدا لا يفارقهما لحظة . . فلما حانت لحظة الرحيل من
سويسرا فوجئت السفارة المصرية بأن الملكة الوالدة تطلب أن يصاحبها
رياض غالي في سفرهما ، ووقعت السفارة في ورطة ، على الأقل بالنسبة
للوائح للتوظيف . . لكن الملكة الوالدة كانت مصرة على تنفيذ إرادتها
رغم اللوائح . . وفي سبيل تحقيق هذه الإرادة أوعزت إلى رياض غالي
أن يستقبل وأن يبرح سويسرا في صحتها .

فلما انتهى بهم المطاف إلى أمريكا أحست نازلي بوصفها أما أن إقدام
رياض غالي على هذه المغامرة بوظيفته لم يكن من أجلها إنما كان من

أجل صغيرتها التي صارحت أمها هناك بأنها تحب رياض وأنها مصممة على الزواج منه . . . وقامت قيادة القصر الملكي في القاهرة .

انعقد مجلس البلاط في القصر الملكي بالقاهرة ، وقرر تجريد الملكة وصغيرتها من الألقاب والمخصصات الملكية . . . وردت نازلي على هذا القرار في مؤتمر صحفي عقدته في واشنطن بأنها ، كأم لا بد أن تنقب إلى جانب ابنتها . . . وتم زواج الأميرة الصغيرة السابقة بعد أن اعتنقت دين عريسها حتى يتم هذا الزواج شرعاً .

لقد كان هذا الحادث هو السبب المباشر في التشريعات التي أعدها القصر الملكي لتقييد حرية الصحافة بعدما أفاضت فيه من أنباء هذا الغرام ، وهي التشريعات التي نارت الصحافة عليها حتى أوقفت إصدارها .

ودع أن هذا الزواج كان موضع حديث العالم قبل خمس وعشرين سنة — فإن الطلاق الذي تم في العام الأسبق أو الذي قبله لم يهتم به أحد الا هم إلا إشارة عابرة بأن رياض قالى الذي كان زوجاً لصغرى شقيقات الملك السابق فاروق قد أصبح من رجال الأعمال في أمريكا .

حرف الفاء

فتحي :

أشهر الأسماء للفائية هو اسم — فتحي . . . وأول — فتحي — التي تقيت به في حياتي هو فتحي رضوان . . . كنا في عهد الشباب حراً وكنا معاً في تأسيس جمعية القلم الأدبية قبل الثلاثينات ونحن في مستوى

طلاب التعليم الثانوى . . وكنا معاً فى بداية الثلاثينيات ضمن الذين اهتموا بحركة الاستقلال الإقتصادى . وكنا معاً بالإضافة إلى الزميل الأستاذ أحمد حسين فى إصدار جريدة الصرخة . . كان أحمد حسين هو القلب النابض فى مشروع هذه الجريدة . . وكنت بوصفى رئيس تحرير هذه الجريدة الفنية أمثل الواجهة فيها . . وكان فتحى رضوان هو الفكر المتحرك بين صفحاتها . . وكانت هذه الحركة تمثل تكوينه الطبيعي .

كان فتحى رضوان طالب الثانوى ابن الثالثة عشرة من عمره . يوم التقينا يلتقى المحاضرات عن مثله الوطنى المفضل مصطفى كامل وعن مثله الإنسانى . المفضل غاندى وكانت له تطلعات يتم عليها عنوان مقالاته الثابت فى جريدة — الصرخة — وهو — نحو المجد — . . وكان يصور هذا المجد — فى المسرحيات التى يشترك فى تمثيلها وهو طالب بالمدرسة الثانوية فى بنى سويف : . لقد كانت كلها مسرحيات تدور حول كفاح الشعوب من أجل النصر والحرية .

ولقد درس فتحى رضوان الحقوق بكلية الحقوق ، وتخرج فيها مع دفعة يونيو سنة ١٩٣٣ . وكان ثالث الخريجين فى هذه الدفعة مع الحصول على مرتبة الشرف .

ولم ينتظر فتحى رضوان فترة التمرين التى ينص عليها القانون لىكون الخريج محامياً مستقلاً ، بل أنشأ مكتبه فى المحاماة قبل نهاية هذه المدة . . وظل محتفظاً بمكتبه كمحام زغم جميع الأعمال والمتناصب التى تولاها . . ورغم السنين التى قضاها بين السجون والمعتقلات فى الماضى .

ويوم استقلت من رئاسة تحرير جريدة للعرخة في العام التالي قام
فتحي بحركة لا تخطر ببال أبناء العشرين . . لقد زارني في بيتي وطلب
إلى أن أعيد للنظر في قرارى قائلا :

أرجو ألا تعتبر هذا القرار نهائياً إلا بعد بضعة أسابيع حتى يقتنع
كلانا بأنه قرار نهائى . .

لقد كانت له عقلية شيخ في قلب شاب وثاب . . وهذه العقلية عاد
إلى الحزب الوطنى أقدم الأحزاب وبهذا القلب أحدث في صفوف
الحزب الوطنى لتقديم انقلاباً لحساب الشباب ، شباب الحزب الذين
تجمعوا حوله وبايعوه بزعامه الحزب الوطنى الجديد . . بهذه العقلية
أخرج سلسلة من المؤلفات وهذه العقلية اعتذر عن قبول منصب وكيل
الوزارة البرلمانية في سنة ١٩٤٩ وهذه العقلية دخل الوزارة عقب
قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . . فساهم في مشروع وزارة الإرشاد
القومى التى لم يكن لها وجود قبل قيام الثورة . . وهذه العقلية
وضع كتيباً عقب خروجه من الوزارة بعنوان « نظرات في إصلاح
الأداة الحكومية » .

فيلم :

أما أشهر المسببات لقائية فهي التسمية التى تتعلق على
لشرائط التى تصور الروايات السينمائية — بتسميتها باسم
١ — الفيلم — وكلمة — فيلم — كلمة جديدة دخيلة على اللغة
العربية . . أن عمر هذه الكلمة فى اللغة العربية لا يكاد يبلغ نصف
قرن . . ومع هذا العمر القصير فقد أصبح — للفيلم — طاملاً ووثراً

في حياتنا . . وقد لا يذكر الكثيرون أن تجارة الأفلام كانت من تجارات الحرب إبان سنى الحرب العالمية الثانية . . كانت الأفلام — كالورق — تشتري بموجب إذن رسمي من الحكومة ثم تباع في السوق التي يسمونها — السوق السوداء — بعشرة أضعاف سعرها الرسمي . . أتني أعرف زميلاً رحمه الله قد اشترى ستين قداناً من فرق السعر في فيلم واحد .

أما قبل الحرب الثانية فقد كانت هناك تجارة للأفلام المرتجعة ، أي التي استنفدت أغراضها في دور العرض السينمى . . كانت هذه الأفلام تباع بقروش ليستعملها الصغار في آلات السينما الصغيرة والتي كانت تباع في محلات بيع اللعب . . كانت هناك آلات سينما يتراوح ثمنها بين خمسين قرشاً وخمسين جنيهاً . . وكانت بعض هذه اللعب يرتفع مستواها إلى آلات السينما الحقيقية . . فكان الموسرون من الناس يقتنون هذه الآلات لعرض الأفلام التي يختارونها في بيوتهم منعاً للصغار والبنات والسيدات من التردد على دور العرض السينمى ، لقد كانت هذه الآلات قبل جيل هي البديل لأجهزة التلفزيون المنتشرة الآن في كثرة البيوت .

ومع تطور فنون السينما أصبحت كلمة — فيلم — تطلق الآن لا على الشريط فقط ، بل على موضوع الرواية ذاتها . . ومن خلال هذا التطور ظهر في الصحافة فن جديد من فنون النقد ، هو نقد الأفلام ، وكنت أنا ضحية هذا النقد في يوم من الأيام .

ف ذات يوم كتب الناقد الفني للجريدة التي كنت أراس تحريرها

هكذا لا ذعاً لأحد الأفلام الأجنبية وبعد ظهور هذا للنقد بأيام دعيت لمشاهدة هذا الفيلم .. وبعد أن أخذت مقعدي في — البينوار — المخصص لي جاءني الخواجة — مدير السينما وانهاى على شتماً للنقد الذى نشرته جريدتي ، ثم طلب إلى أن أبرح دار السينما قبل أن يطلق على الرصاص .

وأحس الجمهور بهذه الحركة فتنجم للناس من حولنا ، وما أن عرفوا تفاصيل القصة حتى خرجوا معي تاركين لهذا — الخواجة — داره السينمائية وقد خلت من النظارة جيئاً ..

وكانت هذه أول وآخر مظاهرات من نوعها ضد أحد الأفلام.



قافات سعد زغلول

لإجدال في أن لحرف للقاف مهابة خاصة .. أنه يستمد هذه للمهابة من كونه الحرف الأول من حروف كتابنا للقدس « القرآن » وهي للمهابة التي نشعر بها إزاء كثرة الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف مثل كلمات قوة .. قضاء .. قدر .. قراءة .. قلوب .. قابل .. قارات .. إلى آخر هذه الكلمات .. وهي للمهابة التي تنعكس على الأرشيف .. فلا نجد به الشيء الكثير مما يبدأ بحرف للقاف ، لا عن قلة ، بل عن شيء من الحذر .. أن منطوق حرف للقاف نفسه له مهابة خاصة لقد كان سعد زغلول ، وهو من أعظم خطباء عصره ، لا ينطق القاف في خطبة قافا . بل كان يطلقها أقرب ما تكون إلى حرف الكاف ، حتى صار تقرب القاف من الكاف « موضة » خطابية في عصر سعد زغلول ..

حرف القاف

قضاء

على ذكر قافات سعد زغلول نذكر أن أقدم كلمة قافية بعد كلمة « قرآن » هي كلمة « قضاء » .. ونذكر ما ينساه الكثيرون حتى من اللورخين ، أن سعد زغلول كان من رجال القضاء ، بل لعل اشتغاله بالقضاء قد شغل أكبر مرحلة من حياته فاشتغاله بالوزارة لا يتعدى

آحاد للسنين، واشتغاله برئاسة الوزارة لا يتعدى آحاد الأشهر أما اشتغاله بالقضاء فتزيد على عشر سنين ، فإذا أضفنا هذه المدة إلى مدة اشتغاله بالمحاماة فإنها تكاد تبلغ ربع قرن .

إن اشتغال سعد زغلول بالقضاء يرجع إلى اشتغاله بالمحاماة واشتغاله بالمحاماة يرجع إلى صدور قانون تنظيم المحاكم الأهلية في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ — إنني أذكر الأسرة القضائية في هذه المناسبة بالاستعداد للاحتفال بالعيد الثموي للقضاء للمصري الوطني في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٨١ — ذلك أن القضاء في مصر قبل ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ كان بعضه قضاء عجيبياً . . قضاء يتولاه قضاء من الأتراك أكبر مؤهلاتهم أنهم من لابسى للعامة . . وأعجب من هذا أن للقضاء الأجنبي في مصر . وكان يسمى بالقضاء المختلط ، قد صدر القانون بتنظيمه في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٥ . . أى قبل تنظيم القضاء الوطني الذي عرف باسم القضاء الأهلي بست سنوات . . !

فلما أصدر رئيس للنظار ، أى رئيس الوزراء ، شريف باشا قانون ترتيب المحاكم الأهلية في نوفمبر سنة ١٨٨١ لم تكن هناك دراسة أو قوانين خاصة بالمحامين لكن كانت هناك مدرسة الألسن والإدارة التي تحولت إلى مدرسة الحقوق . . ولهذا أعلنت المحاكم الأهلية بعد تنظيمها في نهاية سنة ١٨٨١ عن مسابقة بين للتقنين الذين يرغبون في الاشتغال بالدفاع أمام هذه المحاكم .

كان سعد زغلول ، أو على الأصح الشاب الشيخ سعد الله زغلول

يعمل إذاذاك محرراً بجريدة الوقائع . . . وكان أحد ثلاثة من شباب
دخلوا هذه المسابقة ، ونجحوا فيها وأصبحوا إذ ذاك أعلام المحاماة
الأوائل في مصر .

وبعد خمسة عشر عاماً من الاشتغال بالمحاماة أختير الأستاذ سعد
زغلول المحامى لى يكون مساعداً مستشاراً فستشار بمحكمة الاستئناف
وظل يشغل هذا المنصب إلى أن اختير للوزارة .

لهذا المعنى اشترك للقضاة مع المحامين في تكريم سعد زغلول عند
ماتولى رئاسة الوزارة في ربيع سنة ١٩٢٤ . . وفى ظل هذا المعنى كان
سعد زغلول يشترك سرّاً مع المحامين عن ماهر والنقراشى ، فى إعداد
الدفاع عنهما عند ما وجهت اليهما تهمة الاشتراك فى التدمير الجنائى
لحقتل سيرلى ستاك سردار الجيش المصرى فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

وليس من شك أن الهيئة للقضاة فى مصر كانت دائماً من مفاخر
القضاء فى العالم كله . . . وعلى الرغم من التزام القضاة المصريين دائماً
عالم القضاء من قداسة خاصة — إلا أنهم كمصريين قد شاركوا سائر فئات
الشعب فى ثورة ١٩١٩ وأن تاريخ هذه الثورة لا بد أن يذكر مظاهره
للقضاة . . يوم هذه المظاهرة خرج القضاة وهم يرتدون ملابسهم الرسمية
فى موكب وطنى لم تشهد البلاد مثله موكباً فى وقاره ونظامه . . لم
تكن هناك هتافات ، ولا لافتات . . لقد كانت شارات القضاء التى
يلبسونها تغنى عن كل هذا . . ولم يسلم هذا الموكب السلمى الرائع من
رصاص الإنجليز .

وبعد هذا اللوح من أرشيفي الصحفى عن القضاء المصرى لست
أجدنى مستمداً لإضافة أى شىء آخر من حرف للقاف .

حرف الكاف

كلمة

ليس فى حرف الكاف ما هو أروع من كلمة « كلمة » .. إن هذه
الكلمة هى الشريك الطبيعى الخالد لأعظم كلمتين أخريين . وهما كلمة
« كون » ثم كلمة « كتاب » .. إن الأديان كلها بحمة على أن الله حينما
أراد أن يخلق هذا « الكون » قد خلقه « بكلمة » .. وفى هذا المعنى
قوله تعالى «... أن يقول له كن فيكون» ولهذا المعنى يعنى رجال الصوفية
عناية خاصة بحرفى الكاف ولنون الدين تألف بهما كلمة « كن » ..
وحينما أراد الله أن يفشى الهدى بين الناس أرسل إليهم الرسل ، فكان
لكل رسول « كتاب » لهداية الأمة لئلا تتبع كل رسول ..

إن قداسة كلمة « كلمة » لأغوار خاصة فى حياة الإنسان ، حتى قيل
نزول بعض الكتب السماوية .. فى عصر البطالة ، وبخاصة فى عهد
الملسكة كليوباتره عقد فلاسفة العالم كله مؤتمراً دولياً فى مدينة
الاسكندرية ليتدارسوا فى الأزمة النفسية التى كانت تبتاع العالم ، وبعد
مداولات هذا المؤتمر شهراً كاملاً خرج بقرار تاريخى خطير ، هو
أن أزمة النفس البشرية فى هذا العصر لاعلاج لها إلا بأن تجيء « كلمة »
من الله .. فلما ظهر النبي عيسى المسيح فى أعقاب تلك الأيام أطلق

عليه الفلاسفة اسم « كلة الله » . وهي للتسمية التي لا تزال للكنيسة
تمسك بها حتى اليوم .

وحينما ظهر اختراع الصحافة في الأحيال للعشرة الأخيرة ظهرت
معهما عقيدة جديدة اسمها « حرية الكلمة » .. وهي العقيدة التي
لا تزال الصحافة ومن خلفها الضير العالمي ، في جهاد من أجلها إلى
اليوم .. وإلى الغد ..

كامل :

يكاد يكون اسم « كامل » أشهر الأسماء المشتركة بين المسلمين
والمسيحيين على السواء ولست أدري هل هناك علاقة لحرف « الكاف »
بأن يكون هناك عدد كبير من محترفي صناعة « الكتابة » ممن يحملون
هذا الاسم ؟ ..

إن أول كاتب باسم « كامل » (عرفت في حياتي هو المرحوم
كامل كيلاني .. كان أول كاتب عرفته لسبب بسيط .. هو أن كامل
كيلاني كان أول كاتب يعنى بأدب الاطفال — لست أدري لماذا
لا يذكرون هذه الحقيقة الآن وهم يقدمون براجج الأطفال في مختلف
الإذاعات العربية ؟ إتنا حين تعلمنا المهجاة والمطالعة كانت كتب كامل
كيلاني رائداً لنا في أول خطانا على طريق الثقافة ..

لقد درس كامل كيلاني الفلسفة والآداب في الجامعة المصرية
القديمة .. كان من طلبة للفوج الذي يلي فوج طه حسين .. وقد حصل
منها على شهادة الليسانس ثم استعد برسالة عن « ابن زيدون » الشاعر

الأندلسي للحصول على درجة الدكتوراه .. لكن اختراع كتب الأطفال باللغة العربية قد شغله عن هذا الطريق .

ولقد كان كيلاني موضع تقدير الأدباء في عصره إلى درجة أن فريقاً منهم حينما احتفلوا بتكريمه نادوا به تقيماً للأدباء .. وليس من شك أن هذا النداء كان فيه كثير من المبالغة في عصر العقاد وطه حسين لكن الذي لا مبالغة فيه أن كامل كيلاني هو أول من أنشأ مكتبة الأطفال .. ولا تزال هذه المكتبة باقية حتى الآن ..

حرف اللام

لغة :

لست أظن أنها صدفة أن يجيء ترتيب حرف اللام الذي تبدأ به كلمة « لغة » عقب حرف « الكاف » الذي تبدأ به كلمة « كلمة » .. ذلك أن اللغة هي مجتمع الكلمات .. وأود أن أقول بهذه المناسبة أن هناك خطأ شائعاً بأن هناك لغة باسم اللغة العامية .. إنه مجرد تغيير مجازي .. ذلك أن العامية ليست إلا « لهجة » من لهجات اللغة العربية وهناك دليل فطري على هذه الحقيقة أن الناطقين باللغة العامية يقول أحدهم للآخر « أنا بكلمك بالعربي » ..

إن كل كلمة عامية لها أصل عربي .. وقد تكون هناك كلمات أجنبية دخيلة على العامية ، لكن هذا نفس الشيء الذي نجده في العربية الفصحى حتى في عرية القرآن الكريم .. فكلمة « أباريق »

الواردة في القرآن مثلاً من الكلمات التي احتوتها العربية الأصيلة من لهجات أخرى ..

وفي اللهجة العامية كانت كثيرة من اللهجة العربية الفصحى ،
لكن تشدد بعض الناس قد أخفى هذه الحقيقة .. فمثلاً كلمة « علاقة »
بتشديد اللام التي نعرف بها طامياً عن « الشماعة » كلمة عربية أصيلة
وكذلك كلمة « علبق » في العامية بمعنى وجبة الطعام اللبهم هي الأخرى
كلمة عربية أصيلة ومن يبحث يجد مئات الكلمات في العامية لها هذه
الصفة العربية الفصحى .. وقد توفّر على هذا البحث طالعان من علماء
العصر الماضي هما أحمد تيمور « باشا » والدكتور أحمد عيسى ..
ولست أدري لماذا لا يستأنف مجمع اللغة العربية هذا البحث حتى نصل
إلى يوم تقرب فيه بين الأسلوب الذي تتكلم به وبين الأسلوب الذي
نكتب به ..



اللورد كيلرن عدو

الصحافة المصرية

هذا الفصل من أرشيفي الصحفي فصل مفاجيء .. لم يكن في حسابي أن أكتبه .. لكن أرشيف وزارة الخارجية البريطانية الذي أخذت جريدة الأهرام تنشر في أعداد « الجمعة » شيئاً منه بعنوان « ١٥٠ سياسياً مصريةً — ورأى السفير البريطاني فيهم منذ ثلاثين سنة » قد حملني على كتابة هذا الفصل .. لاعتناءه بالسياسيين سياسياً الذين كتب عنهم السفير البريطاني لوزارة خارجيته بتكليف منها — فأولئك قد أعود أنا أو غيري إلى تسجيل وجهة نظر « مصرية » عنهم .. إنما أنا أكتب هذا الفصل أصلاً عن السفير البريطاني الذي أبدى هذه الآراء فيهم ، لا لتجريح آرائه .. فأراؤه بالطبع هي وجهة نظر « بريطانية » .. بل لأنني أرى أن نشر آرائه يستلزم بالطبيعة تقديم صورة عنه للجيل الجديد في بلادنا وهذا للسفير البريطاني هو « الرايت أونرابول سير مايلز لامبسون » الذي لقب بعد نجاح سياسته الاستعمارية ، من وجهة النظر البريطانية في مصر ، بلقب « لورد كيلرن » .

أيام الأفيون :

وكلمة « رايت أونرابول » هي لقب من ألقاب « الشرف » للقديعة في بريطانيا .. وكان ما يلزم لامبسون يحمل هذا اللقب عندما كان

مثلا لبلاده في الصين .. الصين بوضعها القديم قبل أن تصبح فيها الثورة الشعبية .. ومن المعروف تاريخيا أن سير لامبسون كان أحد معوقات هذه الثورة من جهة ، وأحد الذين أسفرت سياستهم الاستعمارية عن توليد خواطر هذه الثورة في أذهان الطبقة المثقفة العامة في الصين من جهة أخرى .. فقد اشتهر عن لامبسون أنه رجل شديد اللزاس يستخدم الشدة في معاملاته السياسية في البلاد التي يمثل فيها بلاده بوصفه « مندوبا ساميا » والمندوب السامي في العرف السياسي اختصاصات أبعد غوراً من اختصاصات السفير واختصاصات « المندوب فوق العادة » .

ولقد ارتفعت في الصين خلال وجود لامبسون بها أصوات متعددة بالشكوى من انتشار تجارة وعمارسة مادة الأفيون .. وقد كانت مادة الأفيون إحدى اللواد التي يعتمد عليها الاستعمار القديم في تخدير الرأي العام حين يثور .. ولهذا كان في مقدمة الأعمال التي قامت بها ثورة الشعب في الصين بعد عهد لامبسون بها هو القضاء على الأفيون تجارة واستملا .

البساط الأحمر :

ويرجع التفكير في تعيين سير لامبسون ممثلا لبلاده في مصر إلى ثورة الشباب للمصري في سنة ١٩٣٥ في أعقاب تصريح وزير الخارجية البريطاني « الصهيوني » واسمه سير صمويل هور — للتصريح الذي اعتبره الشعب المصري تدخلا في شئونه الخاصة ، لأنه يتناول فيه

بعض المسائل الدستورية الداخلية بالتعليق وإبداء الرأى المضاد للرأى
للشعب المصرى . .

ولقد كانت ثورة شباب سنة ١٩٣٥ فى مصر من الحرارة إلى
الدرجة التى اجتذبت للقادة السياسيين وراء خطوط للشباب . وبدأ
واخفا أمام الساسة البريطانيين أن الساسة المصريين إذا هم لم يتجمعوا
— بحزم — فى عمل سياسى ، ووجد يمنع الخطر الشعبى عن الوجود
للبريطاني فى الشرق الأوسط ، فإن زمام هذا الوجود سيفلت فى الوقت
الذى كانت فيه نذر الحرب العالمية الثانية تتردد فى أفق السياسة الدولية
وكان هذا العمل السياسى هو تشكيل هيئة من زعماء الأحزاب المصرية
جميعا للاشتراك فى توقيع معاهدة « صداقة وتحالف » مع بريطانيا
وهى معاهدة سنة ١٩٣٦

فى هذا الجو عين « الرايت أونرابول سير مايلز لامبسون » الذى
راض عضلاته السياسية فى الصين قبل ثورتها — مندوبا ساميا لبريطانيا
فى القاهرة .. وقد سبقت قدومه إلى مصر « إرشادات » يرى للتدوب
السامى أنها ضرورية بالنسبة لشخصه الذى يحمل لقب « رايت أونرابول »
وفى مقدمتها أن يفتح له فى محطة القاهرة الباب الملكى ليجتازه من
القطار إلى السيارة وأن يسطر للبساط « الملكى » الأحمر اللون ليسير
عليه فى هذه الخطوات . .

ولكى تكون الصورة واضحة عن سير لامبسون ، أو اللورد كيلرن
ينبغى أن نسجل هنا أنه بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ وتطور وصفه

الدبلوماسى من « مندوب سام » إلى « سفير » كأى سفير آخر
لأية دولة أجنبية أخرى — قد اشترك فى المذكرات الشفهية التى
كان يتبادلها مع حكومة مصر بعد هذا التطور أن يظل « حقه » قائما
فى أنه كلما ذهب إلى محطة القاهرة قادما أو عائداً أن يفتح له الباب
الملكى وأن يسط تحت قدميه البساط الملكى الأحمر .. وأن يعتبر
فى نفس الوقت عميداً للسلك الدبلوماسى الأجنبى فى مصر رغم أنه
لم يكن أقدم السفراء .. وقد عاجلت الدول « للصديقة » هذا الوضع
بأن غيرت سفراها الأقدم منه فى القاهرة ..

وكان سير لامبسون ، أو اللورد كيرن ، يتبع فى دار السفارة
البريطانية « بروتوكولات القصور الملكية » فهو لا يستقبل الضيوف
فى حفلاته ، بل ينتظر فى مكتبه حتى يتجمعوا ثم يقبل عليهم ليكونوا
هم فى استقباله أيا كانت مراتهم .. وفى المرة الوحيدة التى عقد فيها
مؤتمرا صحفيا خلال الحرب العالمية الثانية لم يجلس إلى مائدة واحدة
مع الصحفيين أو أمام الصحفيين بل لقد أعدت له السفارة منصة عالية
يجلس فوقها ومن نحوه رجال حاشيته .. أما للصحفيون من مختلف
الجنسيات ، فيجلسون فى القاعة بعيدا عن منصة اللورد بمترين وتحت
مستواها بمتر تقريبا .

ولقد كانت هذه « الحركات » تثير نفوس الأجانب قبل المصريين
لكن قرية اللورد كانت الدواء الخفيف لثورة النفوس . فقد كانت
سيدة إيطالية شابة جميلة جدا ، تصغر اللورد ، ربما بعشرات السنين

وحينما كان يصل إلى للقاهرة ابنه الشاب من زوجته السابقة ، وحينما كان يظهر هذا الابن الشاب مع زوجة أبيه كان الناس يلاحظون أن الابن أقرب إلى اللياقة من أبيه بالنسبة لهذه الزوجة .

لكن اللورد كان يسمى في المجالس الخاصة للقطة باسم « اللورد الخفيف » كان على ضخامته الجسدية الهائلة ، كالحمل الوديع لزاء زوجته الحسنة التي كانت تبدو بجانبه من الناحية الجسدية ، وكأنها طفلة صغيرة .

والواقع أن اللورد كان يعامل زوجته معاملة الطفلة الدالة فعلاً .. فكثيراً ما كانت في عز أيام الأزمات تقترح عليه أن ينهبها إلى رحلة « صيد » في بلدة أكباد أو الفيوم — فينسى همومه السياسية ويتبعها في هذه الرحلة .. فإذا ألحت عليه هذه الهوم ، وكثيراً ما كان يحدث كان يتركها تذهب إلى حيث تشاء بين مجموعة من الأصدقاء والصدقات مختارهم نفسها ، وكانت هذه المجموعة تمتاز دائماً بالشباب والجمال واللياقة الاجتماعية .

لكن اللورد كان يستطيع في بعض المواقف أن يغلب طبيعة عمله على طلباتها الأخرى التي كانت تتلخص في شراء الكثير مما يكلف الكثير .. أحياناً أكثر من أن تحتمله ثروة اللورد .. ولهذا كثر الهمس حول الصفقات التي كانت تعقد سرّاً باسمه أو باسمها دون علمه أو دون معارضته ، خلال الحرب العالمية الثانية ومن خلال ظروفها .. وهو الهمس الذي كان السبب الأول من أسباب نقله إلى لندن عقب هذه الحرب ..

والواقع أن أسم لورد كيلرن قد اقترن في التاريخ الدبلوماسي بتاريخ الحرب العالمية الثانية .. لقد كان اختياره لمنصبه في مصر مقترناً بطروف هذه الحرب السابقة واللاحقة وهو الذي استطاع أن يفتح مصر في أزمة العلمين أن تضع تحت تصرف القوات البريطانية جميع إمكانيات السكة الحديدية .. حتى لقد أنشأت هذه القوات بحربات « البضاعة » خطاً دفاعياً لها في ميدان معركة العلمين .. وكان هذا الخط من الأسباب الهامة في تأخير دفة الحرب لصالح القوات البريطانية بعد أن كانت على أبواب المزيمة .

لقد اعترف اللورد كيلرن بهذه الحقيقة في حفلة من حفلات نادي محمد علي ، الذي أصبح الآن « نادي التحرير » لكن ما كاد الدكتور هيكل باشا بوصفه إذ ذاك زعيماً للمعارضة في مجلس الشيوخ يتقدم على هذا الأساس باقتراح جلاء القوات البريطانية عن الأراضي المصرية بمجرد انتهاء الحرب — حتى ثار اللورد ، واعتبر هذا الاقتراح « طعنة » من الخلف ومخالفة لمعاهدة سنة ١٩٣٦ .. ثم عاد وأنكر تصريحه الذي اعترف فيه بأن بريطانيا مدينة لمصر بالكثير في معركة العلمين .

وحين وضعت الحرب أوزارها وطالبت مصر بالنفقات التي تكبدتها في هذه المعركة — وكان طلباً مصحوباً بكشف حسابات مفصل — رد اللورد على هذا الطلب بأن مصر هي « المدينة » للقوات البريطانية لأنها دافعت عنها ضد « الغزو » المحوري الألماني الإيطالي !

أسلوب القضايح :

واللورد كيلرن هو أحد اثنين من اللندونيين الساميين البريطانيين حملوا الإنذارات إلى المسؤولين في مصر .. الأول هو لورد ألنبي الذي حمل الإنذار البريطاني إلى رئيس الوزراء سعد زغلول في نوفمبر سنة ١٩٢٤ إثر مقتل سير لي ستاك « السردار » البريطاني للنجيش المصري إذ ذاك .. والثاني هو لورد كيلرن الذي حمل الإنذار البريطاني إلى الملك السابق فاروق في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .. والفرق بين الإنذارين وأسبابهما وطريقة تقديمهما تبرز شخصية كل منهما .

لقد ذهب لورد ألنبي إلى مقر رئيس الوزراء سعد زغلول ومن حوله كوكبة من جنود الحرس البريطاني ، وكان إنذاره يتركز على مطالب بريطانيا فيما يختص بمحادث سير لي ستاك .. أما لورد كيلرن فقد ذهب إلى قصر هابدين في فرقة كاملة من الجيش البريطاني معززة بالذبابات ، وكان إنذاره منصباً على الأوضاع الداخلية في مصر رغم معاهدة سنة ١٩٣٦ ..

وكان لورد كيلرن في هذا اليوم يحمل الطابع الخاص بأسلوبه في السياسة .. فقد حمل مع الإنذار البريطاني ملفاً خاصاً طامراً بالصورة الفاضحة لفاروق كوسيلة من وسائل التهديد ..

معلومات شذاذ الآفاق :

ولهذا لم أستغرب فيما نشرته « الأهرام » من أرشيف لورد كيلرن عن « ١٥٠ سياسياً مصرياً منذ ثلاثين سنة » أن تكون

هناك إضافات حذفتها « الأهرام » عن السلوك الشخصى لبعض من كتب عنهم .

أن اللورد نفسه كان خبيراً فى هذه الشؤون ، وبخاصة منها ما كان يتعلق بالصفقات سواء كانت هذه الصفقات بشرية أو عينية أو مالية .

لكن .. من أين كان يستقى لورد كيلرن معلوماته عن السياسيين وغير السياسيين المصريين .

الذى ليس فيه شك أن الأجهزة البريطانية كانت من أقدر الأجهزة فى العالم فى الحصول على « المعلومات » حتى لا يستطيع أى مؤرخ الاستغناء عن المراجع الإنجليزية فى هذا الباب .. باب « المعلومات » .. أما فى باب « التوصيف » فقد كانت هناك أجهزة انشأها اللورد فى سفارته لشراء البيانات التى تساعدوه هو شخصياً على إبداء رأيه أمام حكومته .

لقد كانت غالبية أعضاء هذه الأجهزة ممن يسمونهم « شذاذ الآفاق » أى الأشخاص الذين لا وزن لهم فى الحلق من مختلف الأجناس .. بل لقد كان الرئيس الأعلى لهذه الأجهزة « لورداً » صغيراً معروفاً بشذوذه فى كثير من أندية الليل التى ظهرت هنا وفى كل مكان خلال سنى الحرب .

ولكى تكمل الصورة عن اللورد صاحب الأرشيف عن المائة والخمسين سياسياً مصرياً ، لا بد أن نذكر أنه بوصفه عضواً فى مجلس اللوردات البريطانى كان أحد اثنين اشتدت حملتهما على اتفاقية الجلاء عن مصر فى سنة ١٩٥٦ وأحد الذين باركوا - بصرامة - العدوان الثلاثى على مصر

إذ ذاك جزاء ما قدمت له مصر من المعونات خلال الحرب العالمية الثانية.. لاستكمال لللفات التي كانت تعدها السفارة البريطانية لوزارة خارجيتها عن مئات المصريين ، لا عن هذا العدد من السياسيين وحدهم .. فضلا عن أن الذين كتب عنهم اللورد في هذه « الوثيقة » لم يكونوا كلهم من السياسيين ، بل كان من بينهم أشخاص لا صلة لهم بالسياسة أصلا فإني أحاول إبداء وجهة نظر مصرية.. إزاء هذه النظرة « الإنجليزية » بالنسبة لأولئك الأشخاص .. على أن الأمانة تقتضى ألا أتدخل إلا فيما أعرف .. وسأكتفي هنا بواقعة واحدة بالنسبة لكل من الـ ١٣ شخصية من بين الشخصيات الذين نشرت آراء الدبلوماسي البريطاني فهم وذلك حسب ترتيب أسمائهم أبجدياً على طريقة هذه السلسلة من « الأرشيف الصحفي » .

✽ أحمد حسنين :

عند ما تحدث لورد كيلرن عن أحمد حسنين « باشا » رئيس الديوان منذ ثلاث وثلاثين سنة بوصفه صديقاً ساعد صداقته لم يذكر السبب في هذا التحول .. السبب أن حسنين باشا في نهايات سنة ١٩٤١ وبدايات سنة ١٩٤٢ كان قد أعد العدة ليشكل وزارة برياسته من الشباب للمستقلين الذين لم يسبق لهم الاشتراك في الحكم بقصد أن تكون هذه الوزارة سندا للقصر في مواجهة كل الأحزاب .. وكانت غلطة حسنين في نظر اللورد ، وهي تجاهله ، من الأسباب الداعية إلى إنذار ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ بقصد تشكيل الوزارة من حزب الأغلبية ورياسة زعيمها كاحتياط وقائي في مواجهة الأحداث التي كانت محتملة نتيجة لزحف جيش القائد الألماني روميل في معركة العلمين ..

• أحمد ماهر :

يصف اللورد كيلرن الدكتور أحمد ماهر « باشا » رئيس وزراء سنة ١٩٤٥ بأنه كان ألمانياً متحفظاً قليل الكلام — مع أننى، وغيرى من الصحفيين ، قد حضرنا جلسة لمجلس النواب فى سنة ١٩٤٠ تسكلم فيها أحمد ماهر بوصفه زعيماً للمعارضة ثلاث ساعات مثالية ، وقال فى هذه الجلسة « إتما سنطرد هذه الوزارة — وزارة للرحوم حسن صبرى — من هذا المجلس » .. وليس صحيحاً أن أحمد ماهر كان — كما يقول اللورد — أسوأ أخوته .. الصحيح أنه كان أحسنهم .

• أمين عثمان :

لقد مدح اللورد فى « وثيقته » أمين عثمان « باشا » كبيراً ، وهذا حقه .. فأمين عثمان هو الفائل أن العلاقة بين مصر وبريطانيا كعلاقة الزواج للكاثوليكى الذى لا انفصال فيه مطلقاً .. لكن اللورد لم يقل كيف ارتقى أمين عثمان من وظيفة سكرتير لوزير المالية فى سنة ١٩٣٠ .. وهى وظيفة من الدرجة السادسة ، إلى منصب الوزارة فى سنة ١٩٤٢ ..

• حافظ رمضان :

يقول اللورد أن حافظ رمضان « باشا » رئيس الحزب الوطنى كان يتقاضى أموالاً من الحديوى السابق عباس حلمى دون أن يقول يقول كيف كانت تصله هذه الأموال فى عصر كانت كل المصاريف هنا تحت رقابة البنك الأهلى .. الانجليزى .. والمعروف أن حافظ رمضان قد مات فقيراً ..

حافظ عفيفي :

يصف اللورد حافظ عفيفي بأنه زعيم الأحرار الدستوريين .. وهو أمر لم يحدث مطلقاً .. أما أنه قد انتقل من رئاسة مجلس إدارة بنك مصر إلى رئاسة الديوان الملكي لأسباب سياسية — فهذا أيضاً غير صحيح — والصحيح أن فاروقاً — للملك السابق — حينما أراد أن ييسر يده على مشاريع بنك مصر الاقتصادية اختار « أندراوس باشا » أحد رجال حاشيته لرأس مجلس إدارة البنك ، ولم تكن هناك وسيلة لإخلاء هذه الوظيفة من شاغليها « حافظ عفيفي » إلا بتعيينه رئيساً للديوان الملكي ، ثم تركه في رئاسة الديوان الملكي مهملادون الاعتماد عليه في غير الشكليات ..

• طلعت حرب :

يصف اللورد خروج طلعت حرب « باشا » من بنك مصر — الذي أنشأه — في أكتوبر سنة ١٩٣٩ بأن ذلك يرجع إلى تصرفات طلعت حرب ، ولم يذكر اللورد أن إخراج طلعت حرب من بنك مصر كان مبيتاً من سنة ١٩٣٥ حينما دعا طلعت حرب مع هيئة اقتصادية مصرية لزيارة مصانع النسيج في بريطانيا في محاولة لإقناعه بالتخفيف من نشاط شركة المحلة الكبرى التي أنشأها ، فلما لم يقتنع — كان لابد في رأي العناصر البريطانية أن يستبعد طلعت حرب عن دائرة النشاط الاقتصادي .

• عزيز المصري :

ذكر اللورد في « وثيقته » كل شيء عن الضابط المصري العظيم

الفريق عزيز المصري إلا واقعة انفصالة عن الثورة العربية التي ظهرت في الحجاز خلال الحرب العالمية الأولى .. لقد نصح المستشار البريطاني « كلينتون » الشريف حسين وإلى الحجاز بمنح عزيز المصري أجازة ليمود إلى القاهرة ، فلما طد وجد أنه من المحذور عليه الرجوع إلى الحجاز ..

• فارس نمر :

كان طبيعياً أن يمتدح اللورد كيلرن صديقه فارس نمر « باشا » . أحد أصحاب جريدة « المقطم » لكن اللطيف أن اللورد يقول أن هذه الجريدة قد أصبحت « فيما بعد » جريدة انتهازية .. كان اللورد ينسى أن جريد المقطم منذ بداية أمرها قد وجدت لحساب الإنجليز وبتأييد منهم .

• محجوب ثابت :

يقول اللورد أن الدكتور محجوب ثابت الذي كان يتزعم حركة العمال في العشرينيات قد فصل من الوفد لأسباب مالية سنة ١٩٢٢ بينما المعروف أن محجوباً كان أحد الجلساء الأساسيين في مجالس سعد زغلول الخاصة إلى نهاية حياة سعد زغلول في سنة ١٩٢٧ ، بل كان أحد أطبائه ، وهو الطبيب الشهير الوحيد الذي لم يعرف الثروة .. حتى ولا اسمها ..

• محمد محمود :

في حديث اللورد عن محمد محمود « باشا » يحاول دائماً أن يصفه بأنه « صديق » ويتناسى اللورد أن محمد محمود كان المعارض الأول في مفاوضات معاهدة سنة ١٩٣٦ وأنه حين تولى الحكم في سنة ١٩٣٨ قد عدل من نصوصها .. لقد كانت السياسة البريطانية تصف بعض الساسة المصريين بالصدّاقة لها عمداً لكي تزيد هوة الخلاف الذي كانت تعتمد عليه بريطانيا دائماً في السيطرة على البلاد .

• محمود عزمى :

يصف اللورد الصحفي محمود عزمى بأنه كان دائم الطلبات من السفارة البريطانية لمساعدته .. مع أن اللورد نفسه يعترف بأن عزمى كان يقود حملات صحفية ضد المعاهدة البريطانية وضد سياسة الإنجليز في فلسطين ، بل لقد مات عزمى على منبر مجلس الأمن .. برصفه ممثلاً لمصر ، وهو يدافع عن قضية فلسطين في رده على خطاب المندوب البريطاني .

• الشيخ مصطفى المراغى :

ذكر اللورد في « وثيقته » كل شيء عن الشيخ مصطفى المراغى الذي كان شيخاً للأزهر منذ خمس وثلاثين سنة إلا أنه قد خطب ، إذ ذاك في مسجد الرفاعى ، وفي حضرة الملك ووزرائه مطالباً بإعلان جهاد مصر في الحرب العالمية الثانية .. وأنه عارض فاروقاً للملك السابق في

طلاق زوجته الأولى مهدداً بالاستقالة إن وقع هذا الطلاق .. وبالفعل
لم يتم هذا الطلاق في عهد مشيخته للأزهر ..

« مكرم عبيد :

وصف اللورد مكرم عبيد « باشا » وصفاً تفصيلياً ، لكنه حينما
ذكر شعبية مكرم لم يذكر أسبابها .. وفي مقدمة هذه الأسباب أن
مكراً كان أحد عمد الاندماج بين المسلمين والأقباط في ثورة سنة
١٩١٩ .. وهو للقائل « أنا مسلم ووطناً » .

• • •



مصر في القرآن

ها نحن قد جئنا إلى أغنى حرف في اللغة العربية .. يكنى أن كلمة « مال » تبدأ بحرف الميم لكي نشعر أن هذا الحرف يمتاز بالغنى ، ليس في اللغة العربية وحدها ، بل وفي لغات أخرى ، ففي الإنجليزية — مثلا تبدأ كلمة « تقود » بحرف الميم .. لكنني لا أزن حرف الميم بميزان الذهب ، إن الذهب سوف يذهب ، إنما أزنه بميزان القومية ، القومية الوطنية والقومية الروحية أيضاً .. ففي جانب القومية الوطنية نجد أن أعز اسم عليها هو اسم « مصر » لقد أعز الله اسم مصر بذكرها وحدها دون كل الأقطار في القرآن الكريم . أما من الناحية الروحية فقد اشتهر حرف الميم منذ أربعة عشر قرناً عند مولد نبي الإسلام الذي ألهم الله أهله بأن يسموه « محمد » .. واسم محمد هو الذي يعطى حرف الميم كل هذا الثراء الذي يستشع به .. ففي آية مناسبة تنلى فيها أسماء للوطنين نجد أن اسم محمد يستغرق نصف الوقت وبقية الأسماء تستغرق النصف الآخر .. ولقد سبق في علم الله أن اسم « محمد » سيأخذ هذا الحيز كله من أسماء ملايين المسلمين فاخص النبي بأسماء أخرى منها : أحمد ومحمود ومصطفى .. الخ ..

حرف الميم

مصطفى :

أول مصطفى عرفته في حياتي — بعد مصطفى — هو صديق مصطفى الوكيل . . لقد كان أسطورة ، تخرج وهو دون العشرين في كلية العلوم . . كان أول . . . الحريجين ، فأوفد في بعثة إلى لندن . . وفي لندن كان في العشرين مصطفى الوكيل يعقد المؤتمرات لأعضاء مجلس العموم البريطاني يحدّثهم في حقوق مصر . . كان هذا وشباب مصر في ثورة سنة ١٩٣٥ . . فجازته الحكومة على جرائته بإلغاء بعثته فأرجع . . استمر في دراسته رغم ذلك حتى حصل على الدكتوراه في العلوم . . وكانت رسالته نظرية علمية جديدة في الرياضة للبحث لا تزال تدرس حتى الآن بلندن .

وعاد مصطفى الوكيل إلى القاهرة يحمل الدكتوراه وفي الرابعة والعشرين من عمره ، لسكر الطغيان السياسي لم يرحم هذا النبوغ فتم من شغل وظيفته في الجامعة فإذا بجامعة بغداد تناديه الأستاذية فيها . . وفي بغداد التقى مصطفى الوكيل بشورة رشيد طلي الكيلاني ، فكان مشعلا من مشاعل هذه الثورة . .

وقامت الحرب العالمية الثانية في أخريات سنة ١٩٣٩ ، اتخذت السلطات الإنجليزية في العراق من الحرب وسيلة للبطش بالثوار ، فإذا بثوار العراق يهدون لمصطفى سبيل الرحيل . . وإذا به لا يعود إلى

مصر . . بل إلى برلين ليجد الثبر الذي يهاجم منه الاحتلال البريطاني في البلاد العربية . . وهناك أراد القدر له أن يختم هذه الأسطورة بأن يموت شهيداً فإذا بغارة من غارات الحرب تمزق صدره ، ليس شيء سوى أنه كان أثناء الغارة يقوم بخدمة اللاجئين للعرب دون أن يأخذ طريقه إلى الخافيء من الغارات . . فأت ، ولكن ذكره لا يموت .

• • •

مصطفى الثاني الذي التقيت به في حياتي العامة هو مصطفى حبيب . .
ومصطفى حبيب كان صحفياً ، ثم شغل منصباً من المناصب التي يعتبرها الصحفيون من مراجع أخبارهم . . لكن تجرية مصطفى للصحفية علمته كيف يبعد عن الأضواء .

لقد تخرج في القسم الإنجليزي بكلية الآداب ، ودرس للصحافة في معهد الصحافة العالي الذي سبق إنشاء قسم الصحافة بجامعة القاهرة الذي انتهى إلى كلية الإعلام . . . ولقد عمل في عدة صحف إحصائياً في الترجمة والسياسة الخارجية ، وكان آخر هذه للصحف هي جريدة للقاهرة التي جمعت بينه وبينى .

كنت أرى فيه محرراً غير عادي فهو قبل كل شيء للمرجع اللغوي في المصطلحات السياسية . . ولم يكن يترجمها لزملائه هذه المصطلحات بلفظها فقط ، بل ومعناها أيضاً وبهذا الأسلوب في الترجمة اعتبر أن مصطفى حبيب ، الذي لم يعيش قط في أضواء الصحافة ، كان أحد الذين

أدخلوا في لغة الصحافة الشيء الكثير من المصطلحات الأجنبية بلغة عربية سليمة . . وقد ساعد مصطفى على إرساء قواعد الدرية الأصيلة في مترجماته أنه قد اختير أستاذاً في كلية اللغة العربية فعاش عيش أنفصحي العريقة في هذه الكلية ..

كانت طريقة مصطفى حبيب في عمله الصحفي الذي بدأه منذ أكثر من ثلاثين عاماً هي طريقة التجميع لأشياء الأخبار الخارجية من مختلف مصادرها وإخراجها موضوعاً واحداً مرتباً .. كانت هذه الطريقة إلى ما قبل الخمسينيات شيئاً جديداً ، وكان لمصطفى حبيب جانب من أكبر جوانب الفضل في هذا الجديد .

لكن مصطفى حبيب ، بعد هذا كله ، لم يتفرغ للصحافة .. لقد كانت وزارة التعليم العالي قد شدته إليها ، حتى وصل في سلم درجاتها إلى درجة وكيل الوزارة في وظيفة المدير العام للثقافة بهذه الوزارة .. ثم انتقل إلى جوارربه بنفس الهدوء الذي تميز به .

محمود :

وكما يقرن اسم محمد باسم مصطفى — فهو يقرن أيضاً باسم محمود .. والذين يحملون هذا الاسم كثيرون ، أولهم بالنسبة لي من الناحية الخاصة كان أبي .. أما من الناحية العامة فكان أولهم بالنسبة لي هو محمود كامل .. لقد كانت هذا الاسم يرن في أسماع الشباب طوال الثلاثينيات ، ولست أدري أين ذهب الآن هذا الرنين ؟ !

كان محمود كامل في الثلاثينيات هو الكاتب الأول للقصة القصيرة .

العصرية وكلمة « العصرية » هنا ليست مجرد وصف ، بل إنها حقيقة فما من قصاص ترحم في قصصه القصيرة نقلة الشباب للعصريين إلى أزياء الحياة الاجتماعية الحديثة كما ترجعها محمود كامل . ولو أنك عدت إلى مجاميع أقاصيصه لوجدت فيها كل أضواء المدينة وسهراتها وما يتخلل هذه للسهرات من تطور الحياة الأسرية في مصر خلال هذه الفترة ..

لقد اشتهر محمود كامل بهذا الأسلوب العصري ، لأنه هو نفسه كان شاباً عصرياً لم يمتعه نصف العرج الذي يعانيه من أن يكون نجماً من نجوم الحفلات الراقصة ثم تبين أن هذا كله إلى زوال — وأراد أن يقوم بعمل أبعد عمقاً في الواقع ، فسخر موهبته الكبيرة في المحاماة والاطلاعه الغزير في اللغة الأجنبية — في مشروع جديد هو مشروع الاتصال بين أسرة المحاماة في مصر وأسرة المحاماة في الخارج .. فلم محمود كامل وحده بهذا الجهد قبل أن يصبح هذا الانجاء أسلوباً نقائياً فيما بعد ..

ومن خلال رحلاته في الخارج اكتشف موهبته السياحية فسخرها في مصر فتأجديداً ..

لقد عرفت محمود كامل إلى جانب هذا كله صحفياً يخرج أول مجلة تحمل اسم « الجامعة » لكنه كان صحفياً متخصصاً في كتابة القصة الصحفية إلى درجة أنه كان يذهب أحياناً إلى مكتبه بدار الهلال ، بعد أن عين محرراً بها ، وهو الخالي الذهن تماماً فإذا جالس إلى ورقه وأقلامه استطاع أن يكتب قصة بالسهولة التي تكتب بها اللقالات .

إن محمود كامل طراز من الصحفيين والقصاصين لم يتكرر ..

منصور :

هنا بدأت حرف اليم وأنا أفكر في اسم منصور إنه أعز الأسماء
على في حياتي المراسية ، لأنه اسم الرجل الذي درست عليه الفلسفة ،
وهو الدكتور منصور فهمي ..

كان منصور فهمي في سنة ١٩٠٨ طالباً في دراسة الحقوق لكن
الاختيار قد وقع على هذا الطالب ليكون أول مبعوث للجامعة المصرية
القديمة إلى فرنسا لدراسة الفلسفة والآداب ، ومن جامعة باريس حصل
منصور فهمي على شهادة الدكتوراه في الفلسفة وعاد إلى القاهرة ليشغل
كرسي الأستاذية في الجامعة المصرية القديمة ، لكنه فوجيء فور عودته
بأنه مستبعد عن هذه الوظيفة ، ليس لشيء سوى أن شيوخ الجامعة
المصرية القديمة الذين لم يكونوا على علم بأسرار اللغة الفرنسية قد قيل
لهم أن رسالة منصور فهمي التي نال بها إجازة الدكتوراه من جامعة
باريس قد تعرضت لفلسفة الزواج في حياة النبي محمد .

وعبثاً حاول منصور فهمي أن يشرح لشيوخ الجامعة المصرية
القديمة ما كتب .. لقد كان هناك صراع بين القديم والجديد ، وكان
منصور فهمي أول ضحايا هذا الصراع .. ولم يستطع منصور أن يلتقي
الناس في مصر بعد هذه اتهمه التي ألقيت عليه فبارح مصر إلى تركيا ،
وعاش فيها خلال سني الحرب العالمية الأولى ، وبعد سني هذه الحرب
وقيام ثورة سنة ١٩١٩ التي غيرت الكثير من المفاهيم والأوضاع —
أرسلت الجامعة القديمة في استدعاء مبعوثها الأول ليتولى التدريس فيها

وانتقل منصور فهمي من الجامعة المصرية القديمة إلى الجامعة
للمصرية الجديدة بعد عذاب .. عذاب البحث في مؤهلاته التي ضيعتها
السنون وقد أمضى سنى هذا العذاب أستاذاً بدار المعلمين العليا ثم عاد
إلى مكانه الطبيعي أستاذاً للفلسفة بجامعة القاهرة .

وحينما تتلمذت عليه وجدت فيه فيلسوفاً بالسلوك أكثر مما كان
فيلسوفاً بالفكر فهو رجل لم يتوفر على إخراج كثير من المؤلفات
لكنه توفر على إخراج كثير من الطلبة وكان يعتبر طلبته من كتبه
الحية .

ولعل مما ساعد على ندرة مؤلفات الفيلسوف منصور فهمي أنه
كان من أكثر الناس اندماجاً في الحياة العامة ، فهو أحد مؤسسي
جمعية الرابطة الشرقية ، وجمعية الهلال الأحمر ، ثم جمعية الشبان
المسلمين . . ومع أن السن قد علت به فوق مرحلة الشباب وكذلك
للناصب — فقد صار « باشا » ومديراً لجامعة اسكندرية وأميناً للمجمع
اللقوى لكن ولاءه لجمعية الشبان المسلمين كان مستمراً .

من أسرار معركة بورسعيد

ألم أقل لك أن حرف الميم هو أغنى حروف اللغة العربية . . إن
الفصل الماضي لم يتسغ لكل ما في أرشيفي من الأسماء الميمية . . وها أنا
أعاود البحث في هذا الأرشيف عن الليمات . . وأنا في هذا البحث
أحاول أن أصحح واقعة . فليس معنى الغنى في حرف الميم أن كل التسميات
الميمية تسميات سعيدة . . أن من حكمة الوجود أن ينتهي الجمال إلى
اللفيح ، وأن تنتهي الحياة إلى اللوت ، وأن تنتهي القوة إلى الضعف ،
فما من شيء في هذه الدنيا إلا ويحمل نقيضه في كيانه .

بقية حرف الميم

مظلوم :

يكفي من إثبات هذه الحقيقة أن حرف الميم الذي يحمل كل هذا
الغنى هو الحرف الذي تبدأ به كلمة « مظلوم » وكلمة « مظلوم » كانت
أحياناً من أسماء الأضداد . . ففي الجيل الأسبق كان هناك رجل من
رجال السياسة اسمه أحمد « مظلوم » باشا . . كان مظلوم باشا يكاد
يكون صاحب ملايين . . إن أمواله كانت ركناً ركيناً في أكثر من
بنك . . ثم هو كان وزيراً في مستهل القرن العشرين ثم رئيساً للجمعية
التشريعية وقد أهله هذا المنصب لأن يكون رئيساً لمجلس النواب عند
قيامه في برلمان سنة ١٩٢٤ . . إلى هذا الحد كان مظلوم باشا رجلاً
محظوظاً . . ومع هذا كله فمن يدري ماذا كان في حياته الخاصة .

لكننى تعرفت أخيراً على « مظلوم » آخر ، هو الدكتور محمد مظلوم الشامي ، المحاضر بكلية الشريعة بجامعة الأزهر سابقاً .

لقد أخرج هذا الرجل كتيباً رقيقاً في وصف الظلم الذى وقع عليه . . إنه ظلم من نوع جديد . . ظلم فكري . . ذلك أنه هو صاحب فكرة الإفراج عن تمثال مصطفى كامل من محبسه وإقامته في أحد ميادين العاصمة فلما لم يجد الاعتراف بهذا الفضل جمع « مستندات » ضمن هذا الكتيب الرقيق الذى جعل موضوعه عنوانه « لمحة عن مشروع إعادة كتابة التاريخ القومى » وأول هذه المستندات أنه قد نشر في جريدة الأهرام في ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧ كلمة ينادى فيها بإقامة التمثال . .

والجميل أن هذا « المظلوم » كان منصفاً فنشر في كتيبه تعليق الصحفى المعجوز للرسوم توفيق صليب على هذه الكلمة واعتبره شريكاً في فضل هذه الفكرة .

ألا ترى معنى أن هذا الرجل الفاضل يضع أصابعنا على حقيقة خطيرة هي أن الظلم أنواع أخطرها الظلم الفكرى وأن الظلم لا عمق له إلا بالشعور به . . أما الذين لا يشعرون بأنهم مظلومون فهم للسعداء حقاً . .

مريم :

ومن الظلم في هذا الأرشيف أن غالبية الأسماء فيه أسماء رجال . . لماذا ؟ . . أليست في الأرشيف الذهبى أسماء نساء ؟ . . إن في أرشيفي

الصحفي اسم سيدة كان من الظلم في تاريخ الصحافة للعاصرة ألا يذكر اسمها . . هذه السيدة هي للرحومة مريم خالد . .

في ربيع سنة ١٩٥٥ ذات يوم زارتني في مكنتي بجريدة القاهرة سيدة شابة يختلط شبابها بشيء من الوقار ، كما يختلط التوب يريق الذكاء في عينها ، وقدمت إلى خطاب تعريف بها من صديق يشغل مركزاً جامعياً مرموقاً في الاسكندرية . قال الصديق في خطابه أن هذه السيدة للشابة هي زوجة زميله في مراكز الأستاذية بالجامعة للسكندرية وأنها قد قامت بها بعض الدراسة « العلمية » في جامعة لندن ، لكنها تركت الدراسة كي تتفرغ للزوجية والأمومة . . وبقأة ظهرت عليها ملامح الصحافة . . لكن من الذي يصدق أن هذه السيدة التي بلغت الثلاثين أو جاوزتها يمكن أن تبدأ من جديد .

وضع صديق هذا السؤال أمامي . . فسألها بدوري عن سر اهتمامها بالصحافة ، وكل الذي يحيط بها كسيدة يوحى بأنها في غنى عن هذه المهنة . فهي زوجة أستاذ جامعي لامع وهي مشغولة بتربية الأولاد ، وهي كما فهمت — عضو في غالبية الهيئات الاجتماعية بالعاصمة الثانية . .

قالت إن اشتراكها في الأنشطة العامة بالأسكندرية هو الذي يشدها للصحافة إن الصحافة في القاهرة لا تعطى لهذه الأنشطة السكندرية حقها بالكامل ، ولقد كان هذا صحيحاً بالفعل إذ ذاك . . لكن : هل تستطيعين يا سيدتي تغطية هذا الجانب صحفياً ؟ وهل سبق لك أن مارست الكتابة في الصحف . .

قالت : كلا . . . لكننى سأجرب ، وإلى أن تنجح التجربة فلأنا لا أطالب الجريدة بأى إلزام بى من الناحيتين الأدبية واللسانية .

وهكذا عرضت هى ما كان يمكن لى أن أعرضه ، فقبلت هذا العرض منها . . وانصرفت . . وبعد أسبوع وجدت فى بريدى أولى رسائلها . . كان شيئاً عجيباً حقاً . . لقد كانت أولى رسائلها بمجموعة أخبار وتعليقات تمثل مصر جريدة تنطق بلسان اسكندرية . .

وخطر لى أن أياخ فى امتحانها . . كانت فى ميناء اسكندرية غواصة روسية زائرة محظورة على الصحفيين أن يقرئوا منها . . فقلت لها : آه لو استطعت للكتابة عن هذه الغواصة . .

وفى مساء ذلك اليوم كان مجتمع الصحفيين الإسكندريين يتحدث عن الصحفية الجديدة « مريم خالد » التى استطاعت أن تتخطى المحظورات وأن تركب الغواصة التى لم يستطع غيرها مجرد الدنو منها . .

واستحقت مريم علاوة بعد علاوة . . وجاءت إلى القاهرة لتشكر . . وبينما هى فى طريق العودة تجتاز ميدان محطة مصر فى يوم عيد الأم سنة ١٩٥٨ . . إذا بحجر يسقط على رأسها فيقتضى عليها ، كي تم هذه الحياة للصحفية الحافظة بيمتة كيمتة للشهداء . .

موت :

بهذه المناسبة تذكر أن حرف الميم الذى تبد به أعز كلمات الحياة هو للبداية أيضاً فى كلمة « الموت » وإن كان المضمون الدينى للموت إنه

ابتداء للحياة في عالم آخر والمضنون للفلسفي الموت أنه تغير مؤشر
جهاز الحياة من موجة إلى موجة . .

ومع أن كلمة الموت في ذاتها من الكلمات الثقيلة على النفس —
إلا أنها تد تكون معنى كبيراً بالنسبة للصحفيين وللورخين الذين
يجدون وراءها من الأخبار أضعاف ما في الحياة ذاتها . . فأى عظيم
يولد — ليس هذا خبراً — لكن أى عظيم يموت — فذلك هو الخبر
الكبير . .

إنني لست أنسى من أخبار « الموت » في حياتي للصحفية عدد قتل
للعثنين في عدوان سنة ١٩٥٦ على بور سعيد . . يومئذ كانت قيادة
الجيش للعادية تذكر عدد ضحاياها . . وفي زيارة لي لإحدى دور
السفارات الأجنبية في مصر عثرت بمحض الصدفة على نشرة مطبوعة
تتضمن صورة لعدد كبير من اللحود التي أعدت في باريس لضحايا
الجيش الفرنسي في بور سعيد . . وكانت هذه النشرة في وضع مهمل
منعني من الاستحواذ عليها وفي اليوم التالي نشرت جريدة للقاهرة التي
كنت أراس تحريرها صورة كبيرة على عرض الصفحة الأولى وقد
ظهر في هذه الصور عدد اللحود الكثيرة جداً التي كتبت عليها أسماء
قتلى بور سعيد . . ونشرت الجريدة تحت هذه الصورة عنواناً كبيراً
هو : عدد ضحايا للعثنين .

وما أن ظهرت الجريدة في الأسواق حتى أحدثت هذه الصورة
ضجة كبرى لدرجة أن مراجع مسئولة في مصر سألتني عن مصدر هذه
الصورة التي اعتبرت ضمن مستندات المعركة التي في صالحنا . . ويؤسفني

أن سر المهنة قد منحني من أن أصارح هذه المراجع يومئذ بمصداق
وإن كنت قد كشفت عنه اليوم للذكرى والتاريخ .

حرف النون

نجيب :

ربما كان أكثر الأسماء النونية تداولاً هو اسم « نجيب » . .
أنا وحدي أعرف في الوسط الصحفي وحده عشرة زملاء يحملون هذا
الاسم . بعضهم من جيل سابق وبعضهم معاصرون وهم للرحومون
أحمد نجيب صاحب مجلة للعالمين ونجيب ولاية صاحب « الجريدة
التجارية » والزميلان — أطال الله بقاءهما — مصطفى نجيب المدير
بأنباء الشرق الأوسط ، ونجيب المستشكوى المحرر الرياضي بجريدة
الأهرام ثم خمسة آخرون يحمل كل منهم اسم نجيب ، وهم للرحومون :
نجيب هاشم « الأهرام » وعبد نجيب « لنقطم » وعبد نجيب « الوادي »
وعبد نجيب « وكالات الأنباء » . ثم الزميل عبد نجيب « للنساء » أطال
الله بقاءه . . وليس من شك أن هناك « نجباء » آخرين من زملائنا
الصحفيين لكن هؤلاء العشرة هم الذين أعرف لكل منهم قصة سأروى
منها قصتين :

كان أحمد نجيب صاحب جريدة الوادي أحد اثنين من الصحفيين
لم يخلعوا للسواد يوماً واحداً منذ وفاة مصطفى كامل في سنة ١٩٠٨ . .
أما الثاني فهو للرحوم عبد الحليم الغمراوي . . وكان مقر جريدة
الوادي على ناصية سوق الفوالة بشارع الساحة — شارع رشدي الآن —

وقد اتخذت بائعة الفجل مقراً لها إلى جانب باب الجريدة . . وذات يوم كان في زيارة الأستاذ أحمد خيرى سعيد بدار الوادى أحد الضيوف للعرب ، وعند انصرافهما معاً لاحظ الضيف مجلس بائعة الفجل على باب دار الجريدة . . فقال له خيرى ضاحكاً كأنك لا تعرف أهمية هذه البائعة إنها التى يقول فيها أمير الشعراء شوقى « يا جارة الوادى طربت وطادنى ما يشبه الأحلام من ذكراك » وكانت نكتة شغلت الأوساط الأدبية حيناً .

وكان نجيب هاشم « الأهرام » مندوب جريدته في وزارة الأشغال — وزارة الري الآن — وذات يوم لاحظ الوزير أن أنباء الوزارة تنسرب إلى جريدة الأهرام قبل أن تصبح قرارات نهائية فأصدر تعليماته بالآلا يستقبل الموظفون رجال الصحافة في مكاتبهم ، واستدعى في نفس الوقت مندوب الأهرام « نجيب هاشم » وطيب خاطره بأنه هو — أى الوزير — سوف يتولى بنفسه إعطاءه الأخبار .

وفهم الصحفي بذلك أنه في هذا التلطف خطراً على نشاطه الصحفي فقال للوزير — وكانا كصديقين : شكراً « لمعاليك » فأنا أستطيع أن أحصل على أخبارى دون أن أضيع وقتك .

وفضحك الوزير وهو يقول لصاحبه . . لعلك لا تعلم أن أحداً غيرى في هذه الوزارة لن يعطيك أى خبر ابتداء من اليوم ؟ قال مندوب الأهرام للوزير : ومن قال « لمعاليك » أتى سأحصل على أخبارى من غيرك ؟

قال الوزير : أستحصل على الأخبار منى دون علمى ! !

قال الصحفي : هكذا تقريباً .

واستشاط الوزير غضباً .. واعتبر المقابلة بينه وبين مندوب الأهرام منتهية .. وفي اليوم التالي وجد على الصفحة الأولى من جريدة الأهرام خبر مشروع من مشروعات الوزير كان يتسكنه لمرجة أنه كان يكتب تفاصيل هذا المشروع بخط يده دون الاعتماد على أحد من الموظفين ..

وتساءل الوزير : هل مندوب الأهرام يشتغل بالسحر ؟

لم يكن مندوب الأهرام ساحراً بالطبع . . لكنه حين دخل مكتب الوزير في هذا اليوم لاحظ أن « معاليه » قد أسرع إلى تجفيف ورقة كان يكتبها فعلاً ، فانطبعت أسطر هذه الورقة على المنشفة للعريضة البيضاء التي كانت توضع على المكاتب قديماً . . وقد تصادف أن الحائط خلف كرسي الوزير كان محلى بمرآة كبيرة ، فإذا بمحمد نجيب مندوب الأهرام القديم يرى - بطور الورقة التي تعمد الوزير إخفاءها وقد انعكست من المنشفة على المرآة . . فحفظها بذاكرته . . وما أن بارح مكتب الوزير حتى أطاق تدوينها من الذاكرة . . وكانت هذه الأسطر هي مضمون الخبر الذي نشره مندوب الأهرام وظنه الوزير من السحرة .

ومنذ ذلك اليوم بدأ هذا الوزير يستعين بنجيب « الأهرام » ليحل له مشاكله بسحره . .

سر وزارة سرى

من مفاتيح اللغة العربية أن حروفها الهجائية كثيراً ما يتشكل منها حرفان متتابعان أو أكثر في كلمة من الكلمات .. إن هذا يبدو واضحاً من أول حرف في الأبجدية العربية ، وهو حرف الألف الذى يشكل مع الحرف التالى له مباشرة ، وهو الباء ، كلمة « أب » والحروف الثلاثة الأخيرة ، وهى الهاء والواو والياء ، تشكل كلمة من أجل وأعنف كلمات اللغة وهى كلمة « هوى » .. إن « الهوى » بمعنى « الحب » قد شغل جميع آداب العالم ، وللهوى فى الأدب العربى مؤلفات كثيرة جداً ، وأغلب هذه المؤلفات لها اتجاهات درامية عنيفة مثل قصة « قيس وليلى » القديمة .. ولا تزال هذه النزعة الدرامية فى « أدب الهوى » تسرى فى الأدب العربى حتى الآن .. إن أشهر مؤلفات « الهوى » فى لغة القرن العشرين العربية هو كتاب « العبرات » للنفلوطى ، وكتاب « مدامع العشاق » ليزكى مبارك ، وكلاهما قد ظهر فى العشرينات .. وقد بلغ من عناية للرحوم الدكتور زكى مبارك بأدب الهوى أنه قد اتخذ منه شعاراً للتجوية ، فكانت تجبته للأصدقاء فى الصباح هى « صباح الهوى » وفى المساء هى « مساء الهوى » .

على أن لهذه الأحرف الثلاثة بالذات التى تتألف منها كلمة (هوى) علاقة وثيقة بالصحافة .. ففى مقبلة المجلات التى كانت متخصصة فى تاريخ الأدب وأدب التاريخ مجلة (الهلال) التى أصدرها جورجى زيدان

في القاهرة سنة ١٨٩٢ .. وفي مقدمة المشتغلات بالصحافة من المصريات السيدة .. هند نوفل التي أصدرت مجلة (الفتاة) سنة ١٨٩٢ ايضاً بمدينة الاسكندرية .

اما عن حرف الواو فإن أول جريدة سياسية شعبية لها طابع للصحافة اليومية في مصر هي جريدة (وادي النيل) التي رخص لها بالصدور في سنة ١٨٦٦ ثم انتظم صدورها في العام التالي لصاحبها عبد الله أبو السعود .

واما عن حرف الياء ففي الجيل الأول من تاريخ الصحافة المصرية نجد اسم (يعقوب بن صنوع) الذي كان يصدر جريدة (ابو نظاره) وفي الجيل الثاني نجد اسم (يعقوب صروف) الذي اصدر مجلة المقتطف مع زميله فارس نمر بالقاهرة سنة ١٨٨٥ وكانت تصدر من قبل بيروت سنة ١٨٧٦ .. وقد اندمج اسم هذين الزميلين في تاريخ الصحافة إلى درجة كانت تدعو إلى الخطأ في نسبة ما لأحدهما إلى الآخر .. انا نفسي قد وقعت في هذا الخطأ فنسبت مرة إلى يعقوب صروف ما كنت أريد ان اكتبه عن فارس نمر .. ولم يكتشف احد هذا الخطأ إلا من كلمة (باشا) ففارس نمر هو الذي كان (باشا) .. أما يعقوب صروف فكان دكتوراً في العلوم والآداب . بل كان من ألمع علماء عصره .

حرف الهاء

هاشم :

إذا تخطينا دائرة الصحافة إلى دائرة السياسة — وهما دائرتان متداخلتان نجد أن للسياسي للشاب الذي لم يبن أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات اسمه هاشم .. والاسم بالكامل هو الدكتور محمد هاشم الذي شغل في هذه الفترة ، وهي من أدق فترات تاريخنا السياسي المعاصر ، منصب وزير الدولة ثم وزير الداخلية ، وقد كان منصب وزير الداخلية في الماضي هو أخطر المناصب الوزارية ، ولهذا كان يندر أن يتولاه وزير غير رئيس الوزراء .. لكن رئيس الوزراء في الوزارة التي تولى فيها هاشم هذا المنصب هو حموه المهندس حسين سرى رحمه الله.

كان هاشم من أغنياء محافظة القليوبية ، لكنه كان من قلة الشباب الأغنياء الذين عتوا جداً بالدراسة ، فحصل على الشهادات التي أهلته لأن يكون مدرساً بكلية الحقوق ، ومع هذا فإن تقاليد الأسر الموسرة في الماضي قد غيرت مجرى حياته العلمية ، إذ كان لا بد أن يرشح نفسه لعضوية البرلمان لكي يكون نائباً دائرته .. حدث هذا في يناير سنة ١٩٤٥ ، وكان في الثلاثين من عمره ، فتغير منذ ذلك التاريخ نشاطه من الحياة الجامعية إلى الحياة البرلمانية التي لمع فيها اللمعة التي أهلته ، إلى جانب ثروته ، لأن يصاهر أحد رؤساء الوزارات المصاهرة التي دفعت به إلى منصب الوزارة ..

ويوم تولى هاشم منصب الوزارة انصب عليه كل هجوم الصحفي

لقد كانت تمارض حواء لدرجة أن صحيفة أخبار اليوم كتبت ذات يوم مقالا عريضاً بعنوان (اخرج أيها الوزير الصغير) .
لكن الوزير الصغير برهن على قدر كبير من الكياسة .

حرف الواو

وفد :

أن أخطر (واو) في التاريخ السياسي للجيل الماضي هو واو (الوفد) .. ففي شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ تألفت هيئة من السادة ، سعد زغلول ، علي شعراوي ، عبد العزيز فهمي ، محمد علي علوية ، عبد اللطيف المسكباتي ، محمد محمود ، أحمد لطفي السيد — للدفاع عن حقوق الوطن وطلب إلغاء الحماية البريطانية على مصر وإعلان الاستقلال .. ولم تسم هذه الهيئة نفسها حزباً حتى تحصل على إجماع الأمة .. وهي بالفعل الهيئة التي وقع ملايين المواطنين على توكيلها في هذا الدفاع .. لكن خمسة من هؤلاء السبعة الموكلين من الأمة قد شكلوا بعد أربع سنوات حزب الأحرار الدستوريين ، وكان علي شعراوي « باشا » قد توفي في هذه الفترة ، فلم يعد في (الوفد) من السبعة الذين وكلتهم الأمة ، إلا سعد زغلول . وكان سعد كان قد استحوذ على عواطف الجماهير كما كان الوفد قد ضم إليه أعداداً أخرى من الساسة . فظل بزمامة سعد . هو حزب الغالبية إلى آخر حياة سعد في سنة ١٩٢٧ كما ظلت هذه الغالبية ممتدة ، بعد سعد زغلول ، إلى جيل آخر ..

وقد تولى حزب الغالبية — أى الوفد — الحكم خلال الفترة الواقعة بين أوائل سنة ١٩٢٤ وأوائل سنة ١٩٥٢ ، أى خلال ثمان وعشرين سنة ستة مرات .

وفى كل وزارة من هذه الوزارات قامت مفاوضات مع الإنجليز لتحقيق الجلاء — وقد فشلت كل هذه المفاوضات عدة مفاوضات سنة ١٩٣٦ ، التى اشتركت فيها الأحزاب جميعاً وأسفرت عن معاهدة سنة ١٩٣٦ والتى ألغتها حكومة الوفد نفسها على أثر نشاط للفدائيين فى منطقة القناة حيث كانت توجد القاعدة العسكرية البريطانية .. وذلك فى خريف سنة ١٩٥١ بالرغم من أن المدة المحددة لهذه المعاهدة كانت عشرين عاماً .



الباب الثاني

ألف باء الصحافة

مهنة البحث عن المتاعب

ليس معقولا أن أكتب هذه الحلقات كلها من « الأرشيف الصحفي » دون أن يرى القراء في هذا الأرشيف صورة للصحافة ذاتهم .. أنتى سأقدم فى هذه الحلقة وما يليها جانباً من أرشيف للمهنة بكل ما يمكن عرضه من أسرارها . ولحسن الحظ أن ما من مهنة لها من الصلة بالناس ، كراى عام ، كالمهنة للصحافة من الصلات ، أنها للمهنة التى تطرق الباب على كل مواطن .. فمن حق كل مواطن أن يعرف بعض ما يعرفه الصحفيون عن مهنتهم بالقدر اللازم للحياة العامة والمعلومات العامة التى تعتبر فى هذه المرحلة من تاريخ حياتنا زادا لمستقبل به الأحداث لتتفهمها ولتضعها وتعرف كيف تقدم الصحافة هذا الزاد إلينا . وفى هذه الحلقة وما يليها كل ما أستطيع عرضه على القراء أو ربطه بالقراء ابتداء من الألف إلى الياء .

حرف الألف

إفتتاحية :

كل جريدة لها سياسة ولا تظهر هذه السياسة كما تظهر فى مقالها الافتتاحى أى فى مقالها الرئيسى .. وقد كان المقال الرئيسى فى صحف الجيل الأسبق يشغل الصفحة الأولى بكاملها .. ثم تطور حجم هذا

للقال مع تطور الطباعة ، فأصبح يشغل للتحريرين الأولين - إلى اليمين - من الصفحة الأولين . ومع تعدد مدارس الإخراج الصحفي انتقل للقائ الافتتاحي من اليمين إلى اليسار في الصفحات الأولى .. فلما ظهرت جريدة السياسة اليومية في آخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ اتخذت للمقال الافتتاحي مكاناً آخر ، هو بين صفحة اليسار من صفحتي الأخبار الداخلية في قلب الجريدة ، ثم صار هذا المكان تقليداً اتبعته جريدتا الأهرام والبلاغ ، وظلت الصحف الأخرى محنطة بمكان المقال الافتتاحي على الصفحة الأولى ..

ولعل أخطر مقال افتتاحي ظهر في الجيل الماضي هو مقال أمين الرافعي صاحب جريدة الأخبار « الأولى » في خريف سنة ١٩٢٥ نادياً فيه بأن البرلمان للنحل آن له أن يعقد - بنص الدستور - في موعد انعقاده بأخريات شهر نوفمبر طالما قصرت الحكومة في دعوة الناخبين لتشكيل برلمان آخر في المدة التي حددها الدستور ..

لقد رجع هذا المقال جميع الدوائر السياسية في مصر وبريطانيا .. وأخذ به سعد زغلول ومن معه ، فعقدوا اجتماعاً لبرلمانهم .. للبرلمان للنحل .. تنفيذاً لأحكام الدستور التي بينهم أمين الرافعي إليها بكل تفسيرها الفقهية .. واضطرت الحكومة إلى دعوة الناخبين لتشكيل برلمان جديد ..

الإخراج :

أهم ما امتازت به صحافة مصر ابتداء من سنة ١٩٣٦ عن صحف ما قبل هذا التاريخ هو ظهور فن الإخراج الصحفي على صفحاتها :

كان الإخراج الصحفي قبل سنة ١٩٣٦ متروكاً لرؤساء المطابع يتفنون فيه بنوقهم في حدود تعليقات للشرهين على التحرير من تقديم وتأخير .. لكن للصحافة المصرية ، ابتداء من سنة ١٩٣٦ سنة ظهور جريدة « المصري » ، بدأت تضع فن الإخراج موضع المنافسة فيما بينها ، وفي سبيل هذه المنافسة بدأ ظهور المحررين للتخصصين في فن الإخراج .. وكان الزميل جلال الحامصى من أبرز أولئك المحررين ..

الاعلانات :

لم تجد الصحافة مورداً يقيم أودها ، حتى الآن ، كورد الإعلانات .. يكفي أن تعلم أن جريدة نيويورك تيمس . كبرى الصحف الأمريكية ، كانت إلى منتصف سنة ١٩١٧ ضد الصهيونية ، وضد مشروع وعد بالفور الذى أعلن في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .. لكن الإعلانات الصهيونية استطاعت أن تحول جريدة نيويورك تيمس من التقيض إلى التقيض ، فلا توجد الآن صحيفة في الدنيا تسند الصهيونية كما تسندها جريدة نيويورك تيمس وإن أخذت طابع الاستقلال .. وفي مصر .. كان أكبر متخصص في الإعلانات الصحفية رجلاً يهودياً اسمه البيرانسكونا .. كان البيرانسكونا حجة في هذا الفن .. وقد شغل منصب مدير الإعلانات بدار الهلال عشرات السنين .. إلى أن فر من مصر بعد صدور قانون تنظيم الصحافة في مايو سنة ١٩٦٠ ..

يكفى لسكى تعرف بروز هذا الرجل في فن الإعلان الصحفي أن أن منشئ المذهب الإدارى الجديد فى الصحافة المصرية ، وهو الدكتور سيد أبو النجا ، حينما انتقل من كراسى التدريس بجامعة اسكندرية

إلى كرسى الإدارة فى الصحافة اليومية رأى لزماً عليه أن يدرس كل
تحرركات البيرانكونا ..

وبينما كان سيد أبو النجا يجلس على كرسى الإدارة يأخذى
للواسات الصحفية منذ عشرين عاماً جاءه شاب صحفى يقول له : لقد
تخرجت فى كلية الآداب ، واشتغلت محرراً بمرتب قدره خمسة عشر
جنيهاً . بينما أرى أن موظفى الإعلانات الذين ليست لهم ثقافة مثل ثقافتى
يربحون ربعا أضعاف هذا المبلغ — فكيف يحدث هذا ؟؟ ودخل
فى هذا الأثناء شاب مخلط الجنسية يحمل فى يده حقيبة ليقدم — للسيد
المدير جسيمة يومه .. فإذا بها ألوف ، وإذا بنصيبه من هذه الأتوف
عشرات الجنيهاً .. فى يوم .. فالتفت أبو النجا للشاب المحرر الثقف
قائلاً أما لآن للشيان المصريين أن يدركوا أن هناك ثقافة أخرى لها صلة
بدنيا الأعمال ؟؟ ومنذ هذا اليوم تحول الشاب « المحرر » إلى منتج
إعلانات .. وقبل مضى عام كان دخله فى الشهر أكثر من دخله كمحرر ،
فى السنة كلها .. هذا الشاب هو الأستاذ عبد الله عبد البارى مدير
إدارة الإعلان بجريدة الأهرام ..

سألتى بعض الأصدقاء عن « الإعلانات » هل تعتبر الإعلانات مادة
صحفية تستحق أن تقاسم المادة التحريرية حيزها على صفحات
الجريدة ؟ .. والجواب نعم .. ليس فقط لأن الإعلانات هى المورد
الأساسى للصحف . بل أيضاً لأن الإعلانات قد أصبحت فى عصر النهضة
الصحفية مادة إعلامية يفيد منها القراء .. لقد ارتفعت الإعلانات فى
مستواها الفنى أحياناً إلى مستوى التحقيقات الصحفية . بل إن بعض

هذه للتحقيقات التي يتمتع بها القارئ، تنشر أحياناً من باب الإعلانات . .
إن بين يدي الآن العدد الأخير من جريدة « شيكاغو تريبيون » وهو
عدد ممتاز يتألف من ٣٦٠ صفحة . . وقد أحصيت الإعلانات في هذا
العدد فوجدتها تستغرق ٢٧٩ صفحة من صفحاته الثلاثمائة والستين .
لكن بعد أن كنت قد قرأت الكثير من هذه الإعلانات وكأنها مادة
تحريرية . . وقد رأيت أن أوضح هذه الحقيقة الفنية الحديثة في مهنة
البحث عن المتاعب . قبل أن انتقل إلى حرف الباء .

حرف الباء

بنات :

ليس في حرف الباء بأرشفة مهنة الصحافة ما هو أهم من كلمة
(بنات) . . . فالبنات كصحفيات محترفات عنصر جديد في الصحافة
العربية وقد ظهر هذا العنصر . على استحياء بقيادة الزميلة الأستاذة
أمينة السعيد في منتصف الثلاثينات ، وكان من أسباب إلتفات هذا
العنصر : اعتماد أخبار اليوم ، منذ ظهورها في سنة ١٩٤٤ نصف الاعتماد
على البنات وإنشاء قسم الصحافة بكلية آداب جامعة القاهرة في سنة
١٩٥٤ وتخرجه مئات البنات المثقات ثقافة صحفية ابتداء من سنة ١٩٥٨ . .
هذه حقيقة بالنسبة للجيل الصحفي المعاصر . . أما الحقيقة بالنسبة لتاريخ
الصحافة فهي أن البنات المصرية قد أقدمت على ميدان الصحافة منذ سنة
١٨٩٢ — حيث أنشأت السيدة الشابة هند نوفل مجلة (الفتاة) بمدينة
الاسكندرية . ثم أخرجت المحامية الشابة الأنسم نيرة ثابت مجلة (الأمل)
في سنة ١٩٢٦ . . على أن هناك فارقاً واضحاً بين بنات الصحافة في

الجيلين .. كانت بنات الجيل اقدم لا يجدن صحفا تقبلهن محررات.
فينشئن الصحف لحسابهن .. أما بنات جيلنا فإن جميع أبواب الصحف
قد فتحت أمامهن كمحررات .

حرف التاء

تحقيق :

من المواد المعروفة المفروءة في الصحف مادة التحقيقات الصحفية.
وهناك ظن خاطيء بأى (التحقيق الصحفى) من مبتكرات جيلنا ..
الواقع أن أول وأخطر تحقيق صحفى ظهر فى الصحافة المصرية ، حتى
الآن ، هو التحقيق الصحفى الذى قامت به جريدة الاواء لصاحبها
مصطفى كامل ، وفى شهر يونيو سنة ١٩٠٦ .. وهو التحقيق الصحفى
الخاص بحادث دنشواى وتعليقات مصطفى كامل عليه التى انتهت
بسحب أخطر (معتمد) بريطانى وهو اللورد كرومر .

اصحيح :

(فن التصحيح) هو صناعة جنود المجهولين فى الصحافة .. فنحن
الذين نكتب فنسوه عن كثير . فإذا بالمصحح هو الذى ينقذ الموقف
أمام القارئ : . . ولقد تسميت آلة الينوتيب فى كثرة الأخطاء
للطبعة التى تنسب للمصححين سواء كانوا مخطئين أو مظلومين . . أما
فى الماضى فقد ظهر عدد من المصححين الأفاضل .. أذكر منهم — على

سبيل المثال — المرحوم الأستاذ عبد الرحيم محمود .. إن غالبية كتب الدكتور هيكل مذبذبة بكلمات لثناء على هذا المصحح الجليل .
على أن كلمة (تصحيح) لها في الصحافة وجه آخر ، هو تصحيح الواقع من جانب العالمين يواطن الأمور لما تضطر إلى نشره مقتضياً .. وأنا أفضل أن نسمى هذا للتصحيح بكلمة (تصويب) ..

توزيع :

لم تظهر إدارات للتوزيع وشركاته في دور الصحف إلا في الثلث الثاني من القرن العشرين .. كانت (التوزيع) قبل ذلك صناعة « للمتعهدين » .. وكان أخطرهم هو المرحوم (الفهلوى) — لقد كان (ناعلم للفهلوى) رجلاً لا يقرأ ولا يكتب .. لكن مقدرات مهنة الكتابة والقراءة كانت بين يديه إن شاء حقق لها الرواج ، وإن شام حقق لها الكساد .. وكثيراً ما كانت بعض حكومات الطغيان تلجأ إلى أمثاله للقضاء على رواج أية جريدة .. لكن كثيراً أيضاً ما كانت وطنية أولئك الرجال تتمهم من إجابة هذا الطلب اختياراً .

حرف الثاء

لورة :

كانت صناعة الصحافة في الماضي هي صناعة الغنى بالنسبة لأصحاب الصحف وصناعة الفقر بالنسبة لمخرجيها .. لقد كان مرتب المحرر في

جريدة المقطم في العشرينيات ثلاثة جزيئات ، بينما كان رشيد صاحب الجريدة في البنوك وغيرها ثلاثة ملايين من الجزيئات .

لكن ما من ثورة من ثوراتنا التاريخية منذ مائة عام إلا وكانت الصحافة أحد أضلاعها .. عرابي احتضن جريدة (الطائفة) لعبد الله التديم .. مصطفى كامل أنشأ صحيفة اللواء قبل أن ينشئ حزب .. سعد زغلول كان في مقدمة ما اهتم به عند قيام ثورة سنة ١٩١٩ أن يعقد اتفاقاً مع جريدة (الأهالي) لعبد القادر حمزة .. وثورة سنة ١٩٥٢ أنشأت جريدة الجمهورية .. الخ ..

حرف الجيم

جريدة :

لم تنشأ كلمة (جريدة) من النشأة الأولى للصحافة العربية .. كان الصحفيون العرب الأوائل يستخدمون الكلمة الأفرنجية .. كلمة (جورنال) .. بل إن جريدة الوقائع الرحبية التي كانت تصدرها الدولة في مقدمة القرن التاسع عشر بمصر كان اسمها الأول (جورنال الحديوى) .. لكن كلمة (جريدة) أخذت مكانها اللغوية كما ينبغي لها أن تكون منذ أنشأ لطفى السيد جريدة (الجريدة) .

جمع :

في الصحافة تأخذ كلمة (جمع) معنى غير معناها في مختلف الأوساط الأخرى .. فلكلمة (جمع) في الصحافة معنى جمع حروف للطباعة في

كلمات وجمع الكلمات في أسطر ، ثم جمع الأسطر في صفحات .
كان جمع الحروف في مطابع الصحف قبل حيل يتم بيد العامل ..
أما الآن فيتم بواسطة آلات اللينوتيب .

لقد أحدثت آلات اللينوتيب انقلابا اقتصاديا واجتماعيا في دنيا
الصحافة .. كانت مجموعة صناديق حروف للطبعة قبل عصر اللينوتيب
تقدر بحوالى ثلاثين جنبا بينما يقدر ثمن آلة اللينوتيب الواحدة
بثلاثة آلاف جنيه ، ولا أقل من عشر آلات لينوتيب فى أية مطبعة
من مطابع الصحف . ولكل مؤسسة صحفية الآن أكثر من مطبعة ..
وكان عامل الجمع قبل عصر اللينوتيب يتقاضى عشرة قروش ، كحد
أدنى . فى عشر ساعات . بينما عامل اللينوتيب يتقاضى الآن سبعين قرشا
كحد أدنى فى سبع ساعات .. كان عامل الجمع القديم يرتدى جلبابا
وينتعل قبقابا . بينما عامل اللينوتيب الحديث يرتدى القميص والبنطلون
وينتعل حذاء حديثا ..

ثمن الجريدة :

ولا يفوتنى أن أذكر شيئا ونحن فى حرف الناء من أرشيف مهنة
الصحافة .. هذا الذى هو .. ثمن النسخة الواحدة من الجريدة .
كان هذا الثمن — إلى ما قبل مقدمات الحرب العالمية الثانية خمسة
مليارات .. أى أن ثمن النسخة من الجريدة اليومية للمصرية ظل حوالى
سبعين سنة نصف قرش ولا يزيد ولا ينقص .. ثم زاد فى الثلاثين سنة
الأخيرة من نصف قرش إلى قرش ونصف قرش ثم إلى قرشين ،

وكان للقارىء في هذه الزيادة هو الرابع ، لأن زيادة عدد الصفحات ابتداء من سنة ١٩٤٥ ومضاعفة مواد الصحف نتيجة لحروف المطبعة الصغيرة يوازى عشرة أمثال ما كان يحصل عليه القارىء حينما كانت النسخة الواحدة من الجريدة اليومية بخمسة مايات .

وبصرف للتظر عن أن أسعار بيع الصحف في مصر تعتبر أقل أسعار العالم كله فإن ثمن النسخ للباعة للقراء أقل .. وأحيانا أقل بكثير . من ثمن ورق هذه النسخ .. أنه بالتقريب يوازى ثمن الخبر فقط .. وبهذه النسبة تدخل الآن في حرف الحاء ..

حرف الحاء

حبر :

ليس هناك ما هو أهم من « حاء » الحبر في أرشيف مهنة الصحافة ، فالحبر بالنسبة للصحافة كالماء بالنسبة للزراعة . وكما أن الزراعة بغير الماء مستحيلة ، وللأسف نجد أن صناعة الحبر إلى ما قبل النهضة للصناعية في بلادنا عبر الحسينيات كانت لا وجود لها عندنا .

إن المهتمين بفنون الإحصاء كثيرا ما تحدثوا عن صلة الصهيونية العالمية ، أو اليهودية العالمية . بصحافة العالم الغربي وتمكن هذه الصلات بالكثرة من مؤسسات هذه الصحافة .. كل إنسان عاوى إذا قرأ هذه الإحصاءات يحسب أن الصلة هنا صلة النشر .. مع أن هناك ما قد يكون أحيانا أخطر من النشر .. هناك الحبر ..

ذات يوم من أيام سنى الحرب العالمية الثانية ، وكنت جيتند رئيساً
لتحرير جريدة السياسة الأسبوعية ، قيل لى أن مخزون الجريدة من
الخبر قد انتهى أو أوشك على النهاية ، وأن أحداً لا يريد أن يبيع
الجريدتنا خبراً . . . وعجبت لماذا لا يبيعوا لنا خبراً ؟ ثم تبين لى أن
السبب يرجع إلى مقال عنيف كتبت ضد الصهيونية .

كانت الصهيونية تماربنا بالخبر . . . والحمد لله أنها لا تستطيع الآن
أن تماربنا بهذا السلاح أو غيره إلا وتصديتنا لها :

حربى :

كانت الحرب دائماً عنصراً من عناصر السادة الصحفية . . . وكانت
صحافة الجيل الأسبق تعتمد فى أنباء الحروب على وكالات الأنباء
الأجنبية . . . أما صحافة جيلنا فقد أدخلت على تخصصات المحررين تخصصاً
جديداً هو تخصص المراسل الحربى . . . لقد ظهر المراسلون الحربيون
المصريون لأول مرة فى حرب فلسطين الأولى سنة ١٩٤٨

لقد كان مراسلون الحربيون إذ ذاك يتدربون تدريباً عسكرياً
ليضعه أسايح ويليسون ثياب ضباط الاحتياط .

وعلى أية حال كانت الصحافة دائماً فى مقدمة المهن للمشاركة فى المهام
الحربية . . . وكانت صحافتنا بالذات فى عداد أسلحة النصر على العدوان
لثلاثة سنة ١٩٥٦ وهى التى تكشف الآن خطط العدو وتحركاته
وأهدافه وتنضم إلى أسباب الاعداد لإذاية هذه الخطط .

حبس :

لقد كان الحبس صفة من الصفات للمقترنة بصفات العدل الصحفي في النصف الأول من القرن العشرين .. إقنا لا نكاد نجد في تاريخ الصحافة خلال هذه الفترة صحفيا متفرغا ذا قلم وعقيدة إلا وعرف الحبس ولو مرة واحدة ، لقد تم في الماضي حبس الصحفيين الكبار عباس محمود العقاد ، ومحمد التابى ، ومحمد توفيق دياب ، ومحمود عزمى وغيرهم ، وحبس الصحفيين الشبان : إحسان عبد القدوس ، وأحمد حسين ، وحافظ محمود ، وفتحي رضوان وغيرهم .. بل لقد حبست الصحفية السيدة روز اليوسف بضمة أيام .. وهؤلاء الذين نذكرهم ليسوا إلا نماذج لعشرات من أمثالهم ممن عرفتهم السجون وعرفوها في سبيل مهنة البحث عن المتاعب .

حرف الخاء

خبر :

أول خاء في أرشيف مهنة الصحافة هو خاء كلمة « خبر » :

فالخبر في الصحافة هو الزاد اليومي الذي تقدمه للقراء . وهما كانت للسادة التي تحتوى عليها الصحيفة فإن القارىء إذا لم يجد بها خبرا يهيمه قال إن صحيفته اليوم ليس فيها شيء .

إن الخبر الذي يقرؤه القارىء في أقل أو أكثر من دقيقة قد يكلف الجريدة مئات الجنيهات أجور طائرات وبرقيات ومواصلات

أخرى لعدد من المحررين .. بل قد يكلف بعض المحررين حياتهم .
لقد نشرت في جريدة القاهرة مساء يوم ١٣ يولييه سنة ١٩٥٨
خبرا ، ولكن هذا الخبر كان قد احتاج مني بضعة أشهر للحصول على
اللمومات .. وكان هذا الخبر هو « العراق على أبواب الثورة » ..
وبعد منتصف الليل قامت ثورة العراق فعلا .. فكان أبرز خبر في
هذا اللوسم .

خبطة :

ابتكر الصحفيون المصريون للعاصرون تعبيراً صحفياً جديداً هو
« خبطة صحفية » . ومع أن هذا التعبير غير متكامل من ناحية الفصاحة
اللفوية ، إلا أنه قد أصبح للفهم الفنى فى الصحافة المعادة الصحفية التى
تحدث ضجة فى رأى العام .. ولعل أول « خبطة » من هذا الطراز
فى جيلنا الصحفى هى خبطة « أخبار اليوم » عن تعديل وزارة صدقي
فى سنة ١٩٤٦ لقد نشرت الجريدة أنباء هذا للتعديل قبل أن يمرض
على مجلس الوزراء فقامت حول هذا التعديل ضجة سياسية انتهت
بالعدول عن التعديل ، ولعل هذا العدول كان مقصودا من وراء
الكواليس السياسية إذ ذاك ..

خط :

لم يكن لفن الخط أية صلة رسمية بالصحافة فى الأحيال السابقة
إلا فى يوم واحد هو يوم إنشاء الجريدة وكتابة « رأس الجريدة »

بواسطة الخطاط .. لكن من الخط أصبح الآن من فنون الصحافة لدرجة أن قانون ثقافة الصحفيين قد اعتبر الخطاط محرراً وعضواً في جدول الصحفيين لما جد في الصحافة من التحام بين من الإخراج الصحفي وبين من الخط الذي تكتب به الآن :

في صدر هذه المرحلة كانت الصحف تستعين بالخطاطين « العموميين » أما بعد ظهور مدرسة تحسين الخطوط وتخرج الإخصائيين للتقنين ثقافة عالية فقد ظهرت طبقة جديدة من الخطاطين الشبان للتخصصين في العمل الصحفي . اذكر منهم المرحوم محمود السخيلي خطاط « الأخبار » الراحل ، ومحمود إبراهيم ، وقدرى عبد القادر خطاط الأهرام ، أولئك وزملاؤهم يشكلون الآن مدرسة خط صحفية تشارك الزملاء الصحفيين في تجديد معالم الشكل الصحفي .

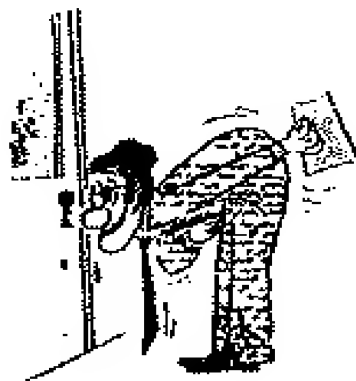
حرف الدال

دمعة :

وربما كان حرف الدال من الحروف الفقيرة في دنيا الصحافة .. لكن هذا الحرف قد تغير وضعه منذ عشرين عاماً حينما استصدر قانون « لقد كان هذا التعبير شيئاً جديداً .. غريباً على المفاهيم الصحفية إلى سنة ١٩٥٠ .. ونحن بدأ تطبيق هذا القانون كانت موظفو إدارات الصحف يحاولون على التخلص منه .. أما الآن فإن أولئك الموظفين يطالبون بدمعة للصحافة قبل المطالبة بالمبالغ للمستحقة ذاتها .

دواية :

كانت مكاتب الصحفيين القدامى لا بد من تزويدها بالمخابر التي كنا نسميها باسم « الدويان » . . كانت « الدواية » هي « المهددة » الوحيدة التي يتسلمها المحرر من إدارة الجريدة ثم يسلمها لهذه الإدارة إذا ترك عمله . . وكان المحررون يضرون من استخدام الخبر في الكتابة . . كان « للقلم الرصاص » أفضل في نظرهم . . لكن عددا من كبار المحررين كانوا يرفضون استخدام الأقلام الرصاص لأنها لا تتفق مع مكاناتهم وقدرتهم على الكتابة دون تشطيب « وكان سلامة موسى أبرز محرر متمسك بالكتابة وبواسطة « الريشة » التي يغمسها في الدواة . . كان سلامة موسى والملازني أقدر كاتبين على الكتابة بل والترجمة بغير شطب .



حكايات من سر المهنة

ثبت لى أن حرف الرام من أغنى الحروف فى أرشيف مهنة الصحافة .. ربما وردت منه فى الحلقة السابقة أشياء ، وبقيت أشياء لقد بقيت على الأقل الراءات التى تدخل فى قاموس العمل الإدارى فى الصحف ، وأهمها راء كلمة « رواج » .. فرواج الصحيفة هو الشغل الشاغل لمديرها .. ومن أهمها كلمة « رزمة » فقد كانت الصحف الصغيرة فى الماضى لا تعرف وزن الورق بالطن ، كان للمعروف عندها هو « الرزمة » .. وكانت رزمة الورق هى أحد الأركان الأربعة التى ينشئ عليها صحفى الأقاليم جريدة أسبوعية أو شهرية أو جريدة متابعات .. هذا موضوع آخر بهم دارس الصحافة .. فلنعد بحرف الراء إلى ما بهم القراء :

حرف الراء

رسم :

الرسم فى الصحافة هو رسم الكاريكاتير .. وكانت الرسوم الكاريكاتيرية فى الصحف قبل خمس وأربعين سنة شيئاً ساذجاً لا يقوم به فتانون مختصون على النحو الذى كان يظهر فى مجلة (خيال الظل) التى كان يصدرها فى العشرينيات أحمد حافظ عوض صاحب جريدة

كوكب الشرق (لقد كان حافظ عوض يرى أن هذه الرسوم لا تليق
بجريدته اليومية فأنشأ لها مجلة أسبوعية ١) .

كانت رسوم الكاريكاتير على هذا النحو من البدائية ثم ظهرت
إذذاك مجلة الكشكول سنة ١٩٢١ واستقدمت رسام الكاريكاتير
الأسباني (سانس) الذي لفت الأنظار برسومه في هذه المجلة إلى
خبر الكاريكاتير في العمل الصحفي . . لقد كانت مجلة الكشكول
تعيش على رسوم سانس ، وبعد سانس جاء صاروخان الأرمني الذي
لا تزال رسومه تظهر في صحافتنا حتى الآن . وبين مدرستي سانس
وصاروخان ظهر نيت جديد مصر فن الكاريكاتير ، وهو عهد
عبد النعم رضا . . وتعدت الرسوم الكاريكاتيرية سلاحاً سياسياً خطيراً
تملكه الصحافة المصرية .

على أنني أذكر للحق أن الرسم الكاريكاتيري لم يعد سلاحاً إلا
بالمشاركة الفكرية من كبار المحررين الذين كانوا يضعون الفكرة
لرسامين قبل أن تصبح للرسامين مفاهيم سياسية كما هو حاصل الآن ..
ولعل أبرز الصحفيين الذين شاركوا بالفكر في التسليح للصحفي
بالكاريكاتير هو الأستاذ عهد التايبي . . لقد كانت كتاباته في الثلاثينيات
تشكل أفكاراً كاريكاتيرية . . ومنها وصفه لابتسامة رئيس الوزراء
إسماعيل صدقي . . لقد سمى التايبي هذه الابتسامة باسم (السكيشيه)
الذي يصفه صدقي على وجهه ، فإذا بهذه الفكرة تتحول إلى رسم
كاريكاتيري يتألف من قتل فيه فرجة كالابتسامة وفوق هذا القفل
طربوش إسماعيل صدقي إن هذا الرسم ما كان يظهر في أية صحيفة

حتى يعلم القراء أن الكلام هنا عن السياسى الخطير اسماعيل صدقى
ولو لم يذكر اسمه تحت هذا الرسم ..

رياضة :

إن اهتمام الصحافة بفنون الرياضة لليومية ليس شيئاً حديثاً كما قد
يظن بعض ناشئة الجيل .. إن هذا الاهتمام يرجع إلى نشأة الألعاب
الرياضية الحديثة بين شبابنا وهى نشأة يرجع تاريخها إلى فترة الحرب
العالمية الأولى بين سنتى ١٩١٤ - ١٩١٨ .

وللحقيقة أذكر أن أنباء الرياضة فى هذه الفترة كانت لا تعدى
خبراً أو خبرين صغيرين .. هكذا كان حجم الرياضة نفسها إذ ذاك ..
أما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فى أواخر سنة ١٩١٨ فقد بدأ
يظهر بالتدريج نوع من التخصص الصحفى فى التقدر الرياضى وكان أوله
من اقتنح هذا الميدان من قدامى الزملاء هو للرحوم ابراهيم علام
الذى كان يوقع مقالاته بتوقيع (جهينة) .. وقد احتفلت نقابة الصحفيين
فى ٦ مارس سنة ١٩٦٧ بمرور خمسين سنة على اشتغال علام بالتحرير
الرياضى ..

ويجىء فى صف علام من المحررين الرياضيين محمد شمس الناقد
الرياضى ، بجريدة الجازيت .. واشتغال شمس بالتحرير الرياضى فى
جريدة تصدر باللغة الإنجليزية يسطى فكرة عنه ، فهو فى مقدمة
الصحفيين الرياضيين فى الاهتمام بالشئون الدولية للرياضة ، وهو للصيرى
الذى حصل على عضوية المحافل الرياضية الدولية ، وهو لم يحقق هذا

كاه إلا يبدل للكثير . ومن هذا البذل أنه ترك وظيفة « مدير في » إحدى إدارات وزارة الشؤون الاجتماعية كي يتفرغ للتحرير الرياضي .

حرف الزاي

زنزانة :

يوسفني أن حرف الزاي في أرشيف مهنة البحث عن المتاعب ليس فيه أشهر من كلمة « زنزانة » والزنزانة هي غرفة الحبس الانفرادي الذي عاناه ظلية للمصحفين في النصف الأول من القرن العشرين .. وكأحد نزلاء هذه الزنازين سابقاً أرجو أن تعرف مني أنها كانت غرفة لا تزيد مساحتها عن مترين طولا ومثلها عرضاً .. وهي ذات باب يعلق على من فيها من الخامسة مساءً إلى السابعة صباحاً ولا توجد قوة في الأرض نستطيع فتح هذا الباب في غير المواعيد المقررة .. وهي ذات شباك واحد يقارب سقف الممرقة شباك عليه قضبان حديدية وأسلاك شائكة ، مم هو شباك لا يعلق لا ليلاً ولا نهاراً أيّاً كانت الأحوال الجوية ، وبين الباب والشباك أرضية من الأسفلت ليس عليها إلا فراش من الخيش وكرسی من الحديد وجردلان أحدهما لماء الشرب والآخر للفضلات ..

حرف السين

سر المهنة :

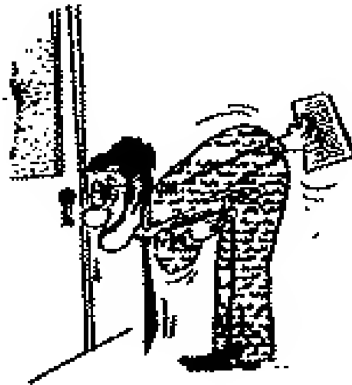
أول سين في هذا الأرشيف المهني هو سين (سر المهنة) سر المهنة يعني أن هناك أشياء لا يجوز الإفصاح عنها أو إفشاؤها وكم من صحفي لو أفشى في الماضي سره لخلص من العقاب ، لكن قداسة سر المهنة كانت حائلاً دائماً دون هذا الإفشاء .. ومن أسرار المهنة التي لم يعد إفشاؤها الآن غيباً ، لأنها أصبحت تاريخاً قد يكون العيب في إغفاله أسرار بعض المقالات التي كانت تنشر بأسماء مستعارة أو غير مستعارة وتنسب خطأ إلى بعض الصحفيين .

كان سعد زغلول يكتب بنفسه بعض المقالات في الصحف الوفدية بتوقيع س / .. وظلت هذه المقالات تنسب ، ربما حتى الآن ، إلى عباس محمود العقاد بغير علمه .. وكان السياسي الوزير نجيب اللغالي يكتب في الصحف الوفدية مقالات دون توقيع .. وكانت هذه المقالات ، وربما حتى الآن تنسب لزميلنا الراحل أحمد قاسم جوده .. وكان حفي محمود « باشا » ينشر في جريدة السياسة مقالات ثم ينسبها للمرحوم عبد الجليل أبو سمرة « باشا » الذي صار في الأربعينات وزيراً مع حفي محمود ، لكن عبد الجليل أبو سمرة كان يقرأ هذه المقالات في الصحف كغيره من القراء .. وكانت الصحف الوفدية في العشرينات تنشر مقالات حامية بتوقيع المجاهد الوطني سينوت حنا فيقابل في المحافل الوطنية بالتصفيق لهذه المقالات ، مع أن البعض منها كان بأقلام آخرين ومنهم مكرم عبيد « باشا » .

سكرتير التحرير :

على أن أخطر سين في وظائف الصحافة هي سين (سكرتير التحرير) إن .. سكرتير التحرير هو الصحفي الذي يملك في اللحظة الأخيرة السابقة على تمام العمل في إخراج الجريدة أن يحذف من مادتها ما يشاء طبقاً لمقتضيات المهنة .. لقد كتب الصحفي العظيم محمود عزمي مقالا في جريدة الأهرام حينما كان مستشاراً صحفياً لها في الأربعينيات يشكو فيه إلى الله من ديكتاتورية سكرتير التحرير ..

ومع أن سكرتيري للتحرير غالباً ما يكونون من شباب الصحافة الناجحين لأن طبيعة عملهم فيها الكثير من الغناء والسرور — فقد وجد من سكرتيري التحرير رجال بارزون لعل أبرزهم في الماضي هو الأستاذ إميل خوري الذي شغل في الثلاثينيات وظيفة سكرتير تحرير الأهرام .. ثم انتقل من هذه الوظيفة مباشرة إلى وظيفة سفير لبنان في بعض بلاد أوروبا وكان من السفراء اللامعين الذين تعزز بهم حكوماتهم .



المصور الصحفي لذى

كاديفته الملك

أليس عجيب أن أول حرف من حروف الكلمة التى يلمث وراءها والألوف وربعا الملايين من الناس ، هو أفقر حرف فى أرشيفنا للمنى ؟ ! .. أنه حرف الشين الذى تبدأ به كلمة « شهرة » وقليل جداً من الناس هم الذين يرفضون الشهرة .. إنها كلمة لها جاذبية خاصة ، لكن أصحاب الجاذبيات ، ناساً كانوا أو كائنات من الممكن جداً أن يكونوا ظالمين ولو بالرغم منهم . فالشهرة — مثلاً — لازمة من لوازم الصحافة ، ومع هذا فبين صفوف زملائنا الصحفيين جنود مجهولون كثيرون بعضهم أكثر أهمية للعمل الصحفي ، أو أكثر أهمية لجنسهم الخاص من مشاهير الصحفيين .

حرف الشين

شهرة :

إن للصحافة ، كفن أو عمل أو هواية هى فى ظن الكثيرين أقرب الطرق المهنية إلى الشهرة ، ولعل هذا هو السر الحقيقى فى كون

الكثيرين من الناشئة يكتشفون في أنفسهم بلا مبرر ظاهر ، أن لديهم ميولاً أو مواهب صحفية .. الصحيح الصريح أن التي لديهم هي ميول أو مواهب شهوية ، ومع هذا فإن هذه الميول حق لهم . فلو لا مثل هذه الميول لما ظهر كتاب صحفيون لامعون كثيرون .. لأن أكبر مثل على هذه الحقيقة يتمثل في فكرى أباطة .. كان فكرى أباطة محامياً نابهاً من سنة تخرجه ، سنة ١٩١٧ ، إلى سنة انتخابه عضواً في مجلس النواب سنة ١٩٢٦ .. عشر سنوات من العمل بكفاءة في المحاماة لم تحبى له الشهرة التي تطلع إليها شباة ، لكنه ما كاد يكتب مقالاته في الصحف ، وبخاصة في « المصور » حتى أصبح بعد سنة واحدة من المشاهير .. إلى درجة أن الباعة كانوا ينادون على « للمصور » قائلين : فكرى أباطة — للمصور .

ومع هذا غرق الشين حرف فقير !

حرف الصاد

صورة :

أهم صاد في أرشيفنا للهنى هي صاد كلمة « صورة » .. ولقد كانت للصورة في الخمسين سنة الأولى عن عمر الصحافة المصرية أما صورة تأخذها للصحافة من يد صاحبها كأية صورة تذكارية يهديها أى إنسان إلى أصحابه ، وإما أن تكون صورة منقولة عن الصحف والمجلات الأجنبية الكبرى .

كانت الصور في صحافتنا القديمة صوراً لا حركة فيها ، ولا تنشر

للمصحف اليومية منها إلا صورة أو صورتين كل يوم أو كل يومين ،
تاركة نشر « اللواضيع » للصورة للصحافة الأسبوعية التي كانت
منخصصة في نشر هذه اللواضيع ، وكانت مجلة « الطائف » في سني
الحرب العالمية الاولى تعتمد في معظم صورها على صور الحرب للنقولة
من مراجع أجنبية :: فلما قامت ثورة سنة ١٩١٩ : وجدت المصحف
اليومية أن وصف التجمعات السياسية لا تكفي فيه الكلمة فبدت تستعين
بالمصورين :: ثم ظهرت مجلة « الصور » في سنة ١٩٢٤ فأوحى الإقبال
عليها للمصحف اليومية أن تنشئ بها أقساماً للتصوير : وما زالت هذه
الأقسام تكبر وتتطور حتى أصبحت أجهزة لها استديوهات داخل مباني
للتؤسسات الصحفية وأصبح من توابعها إنشاء قسم للحفر « الزنكغراف »
وأصبحت الصور تشغل جميع صفحات الجريدة بعد أن كانت في الأحيال
السابقة مجرد صورة واحدة ، ربما كانت مستعارة لتحلية للصفحة الأولى
في بعض المناسبات فقط : : وهكذا أصبح للصور الصحفي عضواً له
أهميته في أسرة تحرير الجريدة .

وكما للمحررين الصحفيين ذكرياتهم — كذلك للمصورين الصحفيين
ذكرياتهم : : ومن أطراف هذه الذكريات أن للصور الصحفي ذهب
ذات ليلة قبل خمس وعشرين سنة ، الى صحراء الناطة لمشاركة زميله
للمحرر في أعداد تحقيق صحفي عما كان ينتشر في هذه الصحراء من
مواقف المشاق : : وبينما كان للصور يصوب عدسته إلى سيارة من
سيارات أولئك للمشاقين — إذا به يحتاج بسلاح ماصوب إلى صدره
فقد كان في هذه السيارة ، من حيث لا يدري « الملك فاروق » .

وفي ليلة مقتل رئيس الوزراء أحمد ماهر في اليوم الفرعوني بدار البرلمان في فبراير سنة ١٩٤٥ كان المصور الصحفي ينتظر في هذا اليوم رئيس الوزراء لتصويره بمناسبة البيان السياسي الخطير الذي كان أحمد ماهر يلقيه يومئذ .. وأقبل رئيس الوزراء أحمد ماهر ، وصوب للصور عدسته إليه ، وإذا به مفاجأً بمسدس مصوب من جهة أخرى إلى صدر أحمد ماهر لينطلق وليسقط أحمد ماهر قتيلًا . وفي نفس اللحظة هرع الحراس إلى اليوم الفرعوني فالتفوا بالذي صوب إلى أحمد ماهر للمسدس والذي صوب إليه عدسة التصوير .. وقبض على المصور الصحفي مع قاتل أحمد ماهر رئيس الوزراء ولم يفرج عنه إلا بعد التحقيق أياماً .. وبعد التأكد من آلة التصوير التي معه ليست بها أسلحة نارية .

حرف الضاد

ضمير :

حرف الضاد في أرشيفنا المهني يجسد في كلمة « الضمير الصحفي » إنها كلمة جديدة في قاموس الصحافة العالمية كلها .. ولم تظهر هذه الكلمة إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وما تلاها من ظهور ميثاق الأمم المتحدة الذي يعتمد على نصوصه على « الضمير الإنساني » .. وإذا كان ميثاق الأمم المتحدة لم ينجح إلا قليلاً في تحريك الضمير الإنساني فإن اللوائح للبرمة بين الصحفيين قد نجحت ، من الناحية النفسية ، في تحريك الضمير الصحفي بدليل هذه القرارات التي تصدرها

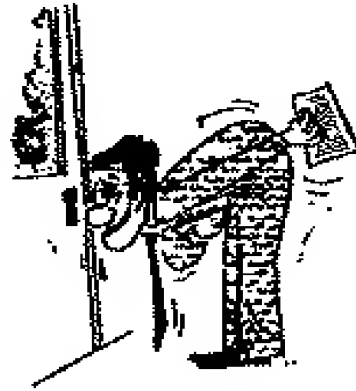
مؤتمرات الصحافة العالمية بتأييد جميع حركات التحرير .. لقد استطعنا في أحد هذه المؤتمرات أن نستصدر قراراً باعتبار يوم ١٥ مايو يوماً لمساندة القضايا العربية من جانب الصحافة الحرة والصحافة الاشتراكية في العالم كله .

إن أول تجربة لنا في تحريك للضمير الصحفي كانت في سنة ١٩٤٧ عند ما كانت قضية مصر معروضة على مجلس الأمن .. ومع أن الطرف للضاد في هذه القضية إذ ذاك كان حكومة لندن — فإننا أبقنا باسم نقابة الصحفيين في مصر ، إلى نادي الصحفيين في لندن ناشدنا للضمير الصحفي في مناصرة القضية المصرية ، ومع أن صحافة لندن لم تأخذ دور الضمير لهذه القضية بالإجماع — إلا أنها قد امتنعت بعد هذه الطريقة ، عن مهاجمة وجهة نظر مصر في مجلس الأمن ، اكتفاء منها بإبراز وجهة نظر بريطانيا .

ولعل أعمق ما قيل يومئذ هو أن جريدة « التيمس » نشرت كلمة تقول فيها إن بريقة للصحفيين المصريين إلى الصحفيين الإنجليز كانت أكثر أهمية عندهم من الخطاب الذي ألقاه رئيس وزراء مصر إذ ذاك أمام مجلس الأمن ، وهو محمود فهمي النقراشي .

لكن .. هل كل صحفي له ضمير ؟ الصحيح إن كل صحفي ينبغي أن يكون له ضمير ، لكن هناك أشياء فوق إرادة الإنسان ، أي إنسان . ذات مرة قبل خمس وعشرين عاماً تلفيت خبراً عن قاتل وقتيل .. كان المتهم بالقتل من قرقي ، وكنت أعرف أنه أقل قدرة عن قتل

ذباية . لكن للراجع العليا ، كانت ترى وجوب القيام بحملة ضده
لهذه نائرة الطاقة التي ينتمى إليها القليل .. كنت مضطراً للمصلحة
العامة ، أن أخالف ضميري ، فإن أحداً من المسؤولين يومئذ لم يكن
يشفع عنده أن براءة للهم ستثبت فيما بعد .. ولئن كان لهذا الحادث
وصلته بالضمير الصحفي وجهان أحدهما مقبول ، فإن هناك مواقف
أخرى لم يكن لها غير وجه واحد .. وجه كان يقبض فيه على ضمير
الصحفي بأمر المنافسة الصحفية في الفترات التي كانت تتحكم فيها تجارة
الصحافة في رسالتها وليس لشيء إلا لزيادة عدد طبعات الجريدة ..
وهذا ما سنتحدث عنه في حرف الطاء .



سبع طبقات لاندالروسي

حرف الطاء

طرائف :

من طرائف الصحافة أن أول باب أغلقه للتجديد الصحفي هو باب « طرائف » . . كانت صحف ومجلات الجيل الأول من القرن العشرين تخصص صفحة أو نصف صفحة أو أقل للأخبار أو الحوادث غير المعتادة تحت عنوان « طرائف » . وكانت بعض الصحف والمجلات تسمى هذا الباب « ملح — بضم الميم — وطرائف » لتضيف إليه بعض النكت الباسمة . . لكن أزمنة الثلاثينيات قد أطفأت هذه البسمات وأصبحت الطرائف التي للصحفيين أنفسهم أكثر من الطرائف التي ينشرونها عن غيرهم .

ومن هذه الطرائف ما أشرت إليه في الحلقة السابقة عن المصور الصحفي الذي ذهب ليصور للواقف الغرامية الحامية التي كانت تنتشر في الجيل الماضي على صحراء مصر الجديدة ففوجيء بالملك الذي كاد أن يقتله . . الطريف أن صاحب فكرة هذا الموضوع الذي صاحبه للصور ، وهو الزميل لطفى رضوان الحرر بدار الهلال ، قد انهم

يومئذ بأنه « دسيسة » على أسرار صاحب الجلالة وظلت هذه التهمة تلاحقه إلى أن زالت للملكية من مصر . .

طحميض :

فن من فنون التصوير هو فن « الطحميض » أى غسل الأفلام للصورة بالأحماض كي يتحول سوادها إلى بياض . . والكلمة أصلها « طحميض » . لكن هكذا ينطقونها .

كان عبده خليل مصور مجلة « المصور » فى الأربعينيات ينتظر رئيس الوزراء أحمد ماهر فى البهو للفرعونى بدار البرلمان كى يصور عقب إلقائه أخطر بيان فى حياته « وهو بيان اشتراك مصر فى الحرب العالمية الثانية . . وكان ذلك فى فبراير سنة ١٩٤٥ . . وحينما أقبل الدكتور ماهر أطلق قاتلة الرصاص ، وأقبل رجال الحرس البرلمانى وقبضوا على اللوجودين فى البهو ومنهم للمصور الصحفى . .

كان عبده خليل قد استطاع أن يلتقط صورة لرئيس الوزراء أحمد ماهر فى لحظة سقوطه على الأرض . . أنها صورة نادرة يدفع فيها أى مصور صحفى جانبا من حياته . ولما أحس بأنهم سيقبضون عليه أعطى « الفيلم » خلسة إلى زميله الذى تسلس به فى كثير من البراعة إلى دار الجريدة وأودعه حوض « الطحميض » . لكن رجال الشرطة كانوا يتعقبونه فأخرجوا الفيلم من حوضه ، وأصبحت هذه الصورة دليل اتهم لمصورها .

الطريف أن للصور لم يكن مهتما بالتهمة قدر اهتمامه بتصوير جنازة رئيس الوزراء في اليوم التالي ، فكان طلبه الوحيد من المحقق أن يسمح له بالخروج ليصور هذه الجنازة ثم يعود .. يعود لأنه كان وانها من برأته التي ثبتت فعلا بطبيعة الحال ..

طباعات

إن الجريدة الناجحة هي التي تطبع في اليوم الواحد أكثر من طبعة واحدة .. لقد انقضى الزمن الذي كان عمل المحرر ينتهي بإتهاء الطبعة الأولى ، فبعد إتمام الطبعة الأولى نجد أحداث تجعل من هذه الطبعة شيئاً قديماً . والصحافة هي صناعة الجديد دائماً .. ولهذا أصبح من « الروتين » في كل صحفنا اليومية أن تعد الطبعة الثانية دائماً بمجرد إتمام العمل في الطبعة الأولى ، وهذا هو التفسير الذي ينبغي أن يعرفه القارئ القادم من أية منطقة خارج القاهرة وفي يده نسخة من أية جريدة ، فإذا وصل إلى قلب العاصمة وجد نسخاً أخرى تحمل عناوين أو أخباراً أخرى .

ولكي أعطيك فكرة عن الطباعات التي تلي الطبعة الأولى أذهب بك إلى لندن حيث تظهر طباعات الصحف للتهمة بالمباريات الرياضية في أعقاب كل شوط من هذه المباريات بينما يكون النظارة مازالون على مقاعدهم أمام حلبة المباراة .

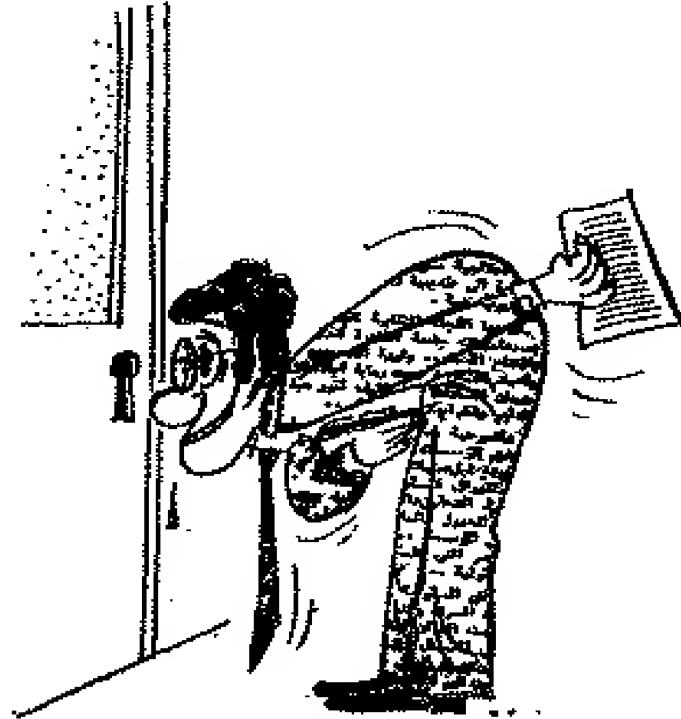
وليس شك أن صحافتنا قد عرفت أسلوب الطباعات المتوالية من

قديم . . على الأقل من سنة ١٩١٩ حينما كانت جريدة « الأهالي » تدور آلات الطبع فيها طوال اليوم لتصدر بين ساعة وساعة طبعة جديدة بأخبار للوقف السياسى وما حوله من تحركات الشعب . . ومن أشهر الطبعات الثانية فى تاريخنا للصحفى للطبعة الثانية من العدد الأول من جريدة « السياسة » الصادر فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ . . ظهر للعدد الأول صباح ذلك اليوم معلناً ميلاد حزب الأحرار الدستوريين . وكان مؤسسو الحزب مجتمعين فى نفس الصباح بفندق الكونتنتال للاستماع إلى خطاب رئيس الحزب الأول عدلى يكن « باشا » وما أن فرغ عدلى من خطابه فى العاشرة والنصف صباحاً حتى كانت الطبعة الثانية التى تحمل نص هذا الخطاب فى أيدي القراء .

وإذا كانت الطبعات التكررة مألوفة فى الأحداث السياسية فإن فى تاريخنا الصحفى طبعة ثانية . ربما كانت الأولى والأخيرة من نوعها ، فى حدث أدبى بحث — ألا وهى الطبعة الثانية من عدد جريدة « السياسة الأسبوعية » الصادر بمناسبة « أسبوع شوقي » فى ربيع سنة ١٩٢٧ . . لقد نفذت الأعداد الضخمة التى طبعت فى يوم افتتاح هذا المهرجان الأدبى . . فصدرت منه طبعة ثانية قبل نهاية ذلك اليوم .

وفى ظنى أن أكثر عدد من الطباعات فى الصحف المصرية المعاصرة هو عدد الطباعات التى صدرت فى الأسبوع الأول من نوفمبر

سنة ١٩٥٦ . . كانت هذه الطبعات خاصة بالإنداز الروسى الذى وجهه الاتحاد السوفيتى يومئذ إلى دول العدوان الثلاثى على مصر . .
إننى أذكر أننى قد طبعت من جريدة « القاهرة » التى كنت أتولى
رياسة تحريرها إذ ذاك سبع طبعات بين الساعة الواحدة والساعة
العاشرة مساء . وفى كل طبعة صدق جديد من أصدااء هذا الإنداز
فى مختلف المجالات الدولية .



العمال هم الأخطيئة

قلت لك في حلقة سابقة أن الحروف كالناس منها شقي وسعيد
ومنها غني وفقير.. والآن أضيف إلى هذا أن الحروف كالناس منها خفيف
للظل ومنها ثقیله .. وربما كان حرف « الظاء » هو أثقل حروف
الأرشف ظلًا إن كلمة « ظل » نفسها تبدأ بحرف الظاء ، والظل عند
الصحفيين يختلف نوعاً عن ظل الآخرين ، فالناس قد يرون في الظل
راحة لهم من الهجير . أما للظل في أرشف مهنة البحث عن التاعب
فيحس القسيان ، فحين يقال أن فلاناً الصحفي أو الكاتب أو العظيم قد
انتقل إلى الظل يعني أنه قد انتقل إلى البعد عن الحركة .. أو انتقل إلى
راحة الله .. دعنا إذن من هذا الحرف إلى ما بعده .

حرف الدين

عامل :

وكما أنك تجد في الناس ثقیل الظل وفي القصد المجاور له آية من
خفة الظل في إنسان — كذلك في هذا الأرشف للهني بقدر ما نجد
الركود يشمل خانة الظاء نجد الحركة والنشاط وخفة الظل في خانة
العين .. يكفي أن نجد في هذه الخانة كلمة « عامل » إن عمال مطابع

للصحف شيء عجيب — لك أن تعد كلمات هذا الكتاب ، ثم تعد حروف هذه الكلمات ، أو تعد عدد المقالات والأخبار والموضوعات في أي عدد من أعداد الجريدة أو الكتاب — إنك ستجد أنك تخطيت خانة لثلاث إلى سبعة مئات الألوف ، وهذه الثلاث من ألوف الحروف قد مرت عليها يد عامل مطبعة الجريدة وكأنها يد ساحر ..

إن العامل يجمع هذه الحروف بأسرع مما تكتبها .. إنه الإنسان الذي يدخل في منافسة رهيبية مع الآلات .. إن يد العامل للآهر لا بد أن تكون في سرعة الآلة أو أشد منها سرعة .

ونحن حين نفكر في مهنة البحث عن المتاعب يتجه تفكيرنا رأساً إلى الصحفيين في أية مؤسسة صحفية وقد يكونون مائة أو مائتين .. أما عمال الصحيفة فهم دائماً بالآلاف .. فحررو للصحف هم الأقلية . أما عمالها فهم الأغلبية دائماً .. لكنها الأغلبية التي لا تظني لأنها تعرف باقتناع أنها امتداد لهذه الأقلية التي يتألف منها المحررون .. ونحن من أجل هذا نجد أن التعاون بين هذه الأغلبية وهذه الأقلية يكاد يكون مثالياً في دنيا الأعمال .

ذات مرة قبل عشرين عاماً — تلقى رئيس مطبعة للجريدة الحزبية التي كنت أعمل بها « خبراً » من مسئول كبير في الجريدة .. لاحظ العامل الذي يرأس للطبعة أن هذا الخبر ليس صادراً عنى وليست به أية إشارة منى .. قرأه مرة بعد مرة .. تأكد أن نشر هذا الخبر فيه إساءة لى .. فلم يسأل عن (المسئول الكبير) وأخفى الخبر حتى أعود

.. وغبت خارج الدار ساعات. وفي كل ساعة يسأل «المسئول الكبير» عن «بروفة» الخبر .. فلما تأكد أن هذا العامل قد أخفى خبره — استدعاه .. هده .. لكنه بكل إخلاص قال له . . . لا أستطيع أن أجمع هذا الخبر قبل أن يعود المحرر المسئول .. ونحمل ما نحمل من الأذى بسبب هذا اللوقف .. لكنه ظل صديقى إلى آخر حياته ، وكان كل منا سعيداً بهذه الصداقة التى تمثل الرابطة الحقيقية بين عمال الصحف ومحرريها ..

لقد بلغ من قوة هذه الرابطة مرة أن أحد الصحفيين ، وهو المرحوم كامل مصطفى — وكان سكرتير تحرير الجريدة التى كنت رئيساً لتحريرها — أراد أن يتحول من محرر إلى عامل مطبعة فى أوقات الفراغ ، لولا أننى أقنعت بالمعذور عن هذه الفكرة حتى لا تتحول صداقتنا للعالم إلى منافسة ..

وعامل المطبعة الصحفية يعتبر المثال الأول لتطور المجتمع العمالى فى بلادنا .. نحن حين دخلنا دنيا الصحافة فى الجيل للماضى كان عامل المطبعة « صبيّاً » يلبس الجلباب والقبقاب ، ويتقاضى عشرة قروش فى عشر ساعات .. أما الآن فعامل المطبعة الصحفية أصبح « قناتاً » يلبس القميص والبنطلون ويتقاضى سبعين قرشاً فى سبع ساعات كمحمد أدنى بل إن بعضهم يتقاضى الآن مرتباً يصل إلى مائة جنيه أليس هذا مقياساً اجتماعياً دقيقاً لتطور الحركة العمالية ؟

حرف الغين

غيار :

ليس في غين أرشيف العمل الصحفي ما هو أهم من غين كلمة « غيار » .. إن غيار في لغة الصحافة يعني تغيير مادة صفحة أو أكثر أو أقل عند الانتقال من مطبعة إلى أخرى .. فهذا « الغيار » هو عذريت الصحفيين .. فينبأ يكون الصحفي قد أتم عمله واستعد للانصراف أو انصرف فعلاً — إذا برياسة التحرير تستدعيه على عجل .. إن أنباء جديدة مثيرة قد ظهرت في الأفق ، ولا بد أن يتم الغيار عليها .. وأياً كانت الساعة بعد منتصف الليل — فلا بد للصحفي أن يعود إلى عمله ليهدم ما بناء ثم يبنى غيره من جديد في سبيل .. في سبيل القاري .

حرف الفاء

فكاهة :

إن حرف الفاء في أرشيفنا للنهي حرف مروح .. إنه يبدأ بكلمة « فكاهة » .. فالصحافة التي تقدم للناس كل ما هو جاد ، بما في هذا كل ما سوى الحياة ، لا تنسى أن للقراء ما يرفه عنهم بمختلف الوسائل .. ومن هذه الوسائل النكتة التي تظهر غالباً في رسوم الكاريكاتير .. إن النكتة الصحفية كانت لها دولة في الماضي ، دولة ما زالت تسير

حتى أصبحت لها مجلات متخصصة .. وكانت أشهر هذه المجلات في
اللاضى هي مجلة « الفكاهة » .

لم تكن مجلة « الفكاهة » أولى مجلات النكتة للصربية .. لقد
سبقها صحف صغيرة وكثيرة مثل : السيف والسامير وأبو قردان
والبعوكة وكثير من الصحف التي كانت كل ثلاث منها تباع بقرش
حيث كان القارىء يستمتع بهذا القرش ليلة كاملة في قراءة مرحة
.. ثم جاءت دار الهلال فجمعت مزايها هذه الصحف الصغيرة كلها في
مجلة كبرى باسم « الفكاهة » .

لقد كان لمادة الفكاهة محررون متخصصون في اللاضى ، وكان
أبرز أولئك المحررون المرحوم حسين شفيق للصربى أول رئيس لتحرير
لمجلة « الفكاهة » .. ولعل من أعجب المتناقضات في مهنة الصحافة أن هذا
الرجل الذى أضحكت مادته ملايين القراء .. الرجل الذى أدخلت
فكاهته على الدار التى يعمل بها الألو ف كان راتبه الشهري وهو رئيس
تحرير — أقل من ثلاثين جنياً .. ستة وعشرين جنياً على وجه
التحديد .. فلما مرضت عيناه من السهر لم يجد العلاج فكف بصره ..
ولما مات كذاً قبيل تنظيم معاشات الصحفيين في بداية الخمسينات لم
يجد ورثته — ورثة الذى أضحك كل الناس — ما يسحون به دموعهم
.. وظلت هذه حائلهم إلى أن غير منها وزير الأوقاف الأسبق
للهندس أحمد عبده الشرباصى بمجرد أن أطلع على سطرين منى ..
جزاه الله خير الجزاء .

فن :

وكما تبدأ فاعات أرشيفنا المنهى بفناء « الفسكاهة » فإنها تنتهى بفناء
كلمة « فن » .. وشتان بين محررى الفسكاهة وبين محررى للفنون
لقد كانت للشهرة ، وأحياناً السلطة الأدبية ، تنتظر محررى الفنون
لأنهم يعملون فى حقل من أروع حقول الصحافة من قديم ..

ولعل أقدم محررى الفنون فى الجيل الأوسط من صحافتنا هو
المرحوم عبد المجيد حلمي الشاب الصحفي للمصري الذى جعل من
التحرير الفنى تخصصاً تنشأ له صحف خاصة .. لقد أنشأ عبد المجيد حلمي
فى منتصف العشرينات مجلة اسمها « للشرح » وكان شريكه فى هذه
المجلة محمد التايبي الذى حقق من الشهرة والسلطان الأدبي ما لم يحققه
للكثيرون .

لقد بلغ من السلطان الأدبي فى دنيا الفنون لعبد المجيد حلمي أن
سلطانة « الطرب » إذذاك ، وهى السيدة منيرة المهدية — قد دعت
إلى قضاء الصيف ، على نفقتها ، فى ربوع تركيا .. وكان يقابل ،
معه ، فى تلك الربوع كما يقابل العباقرة .. لكنه انتقل من هذه
الرحلة الخيالية ، كخيال ألف ليلة وليلة — انتقل إلى رحمة الله فى ريعان
شبابه .. وكل شيء فى أعجاز هذه المهنة له ثمن وكثيراً ما يكون هذا
التمن قادحاً فداحة للوت نفسه .

الجامعة من أفراس الحمار القراء

قبل أن ندخل في قافات أرشيف مهنة الصحافة أقرر أن فوق هذه القافات كلها قاف « القاريء » القاريء هو كل شيء في حياة الصحافة ، فصحافة بلا قراء كأي جسم بلا روح . . كما أقرر أن القاريء هو شريك الصحفي في أهدافه الصحفية . . وأقرر أيضاً أن هناك قراء أجلاء كان لهم فضل كبير على الصحافة ، لا من حيث انتشارها ، بل ومن ناحية إنتاجها أيضاً . . فقراء الصحيفة هم برلمانها الطبيعي . . وعندى أدلة تاريخية على هذا المعنى أكتفى بواحد منها . .

فخذ حوالى سبعين عاماً أرسل « قاريء » إلى جريدتي اللواء والتوحيد يقترح القيام بعمل اكتاب شعبي لإنشاء « الجامعة » . . وقد تضمن اقتراحه استعداده لأن يكون أول المكتشين بمبلغ كبير . . ونجحت الفكرة بعد أن تبناها الزعيم مصطفى كامل ، وأنشئت الجامعة بفضل أحد القراء الأجلاء . . وكما أن كل قاريء يشعر بأن له في الصحفيين صديقاً روحياً وإن لم يلتقيا إلا على صفحات الصحف — كذلك كل صحفي يعمل للخدمة العامة يشعر بأن له في القراء أصدقاء يحبهم ويحبونه ، ولعل للثل الخي على صداقة القراء للصحفيين يتمثل الآن في الصديق الأستاذ عيسى بنو لي أمين مكتبة بنك مصر سابقاً الذي يسميه

للصحفيون « أشهر قارىء صحف » وإن كنت أعتقد أن لنا في القراء
أصدقاء كثيرين لا يقولون ، إن لم يقولوا ، هذا الصديق .

حرف القاف

قضايا الجرمية :

وحيث تدخل في قافات المهنة نجد أن أول قافاتها قاف كلمة
« قضايا » . . فالقضايا لازمة من لوازم العمل الصحفي . . أن اهتمامات
الرأى للعالم تسمى في لغة الصحافة « قضايا الرأى العام » . . والواقع أن
بعض القضايا التي تعرض على القضاء تثير اهتمام الرأى للعالم كله بالرغم
من أن تكوينها لا يختلف في التنكيف للقانونى عن مثيلاتها من
القضايا الأخرى إلا أن آثارها النفسية تنعكس على عدد أكبر
من الناس .

وأشهر هذه القضايا قديماً ، وخلال سنى العشرينات للقضية التي
عرفت باسم قضية « ريا وسكينة » بمدينة الاسكندرية . . كانت هاتان
للرأتان « ريا وسكينة » قد ألفتا عصاية منهما ومن بعض الشباب
والشابات من متحدى الإجماع . . وكان نشاط هذه العصاية غريباً جداً
في العشرينيات على المجتمع المصرى . . كان هذا النشاط يدور حول
اصطياد بعض الفتيات للراعقات الجيلات الفقيرات بواسطة شباب العصاية
وإغراء بعض العضوات فيها فإذا ما وقعت الصغيرة تحت تأثير المراهقة
في مهاوى السقوط قدمت بالثمن الغالى للأثرياء الشبان الفاسدين وكانت
العصاية تحول رصيد أولئك المراهقات إلى مصاغات لإيهامهن بأن الجماعة

تعمل لحسابهن ، فإذا تضخم حجم المصاغ تولت المرأتان « ربا وسكينة » قتل الفتاة صاحبة هذا المصاغ وتقطيع أوصالها بواسطة بعض اللعاونين ، ودفن هذه الجسوم المتقطعة تحت أرضية بيتها .. وظل هذا للدفن يتضخم حتى ضاقت أرضية هذا للزل ، واسبب أو لآخر ظهرت بعض الأجزاء المدفونة في أفواه الكلاب .. فكشفت عن مكان الجريحة التي هزت وقائعها المجتمع كله .

كانت التفاصيل التي تنشرها الصحف عن هذه القضية حديث كل الناس لغرائبها على خيال المجتمع المصري إذ ذاك ، وقد حققت هذه التفاصيل رواجاً ضخماً للصحف التي كانت تتسابق في نشر هذه التفاصيل التي انتهت إلى أول حكم بالإعدام على امرأة مصرية حيث كانت تقاليد القضاء للمصري حتى ذلك الحين ، توجب إستبدال حكم الإعدام على النساء بالأشغال الشاقة المؤبدة .

على أن أعجب هذه التفاصيل كان يرجع إلى الصحافة ذاتها .. فقد كانت الصحف في هذه الأثناء تنشر تفاصيل قضية سفاح البنات في ألمانيا .. كان هذا السفاح شاباً شاذاً يتصيد الفتيات للزاهقات في الغابات ويغريهن بمختلف وسائل الإغراء ، حتى إذا ما قضى معهن وطره قتلهن وترك جثثهن في مجاهل غابات ألمانيا الصناعية .. وقد ظل البوليس الألماني يبحث عن صاحب هذه القفلة أكثر من سنة ، حتى سقط في أيدي رجال الأمن بعد أن بلغ عدد ضحاياه العشرات ، وبعد أن أصبح حديث الصحافة العالمية كلها ..

قضايا الصحافة :

أما من ناحية التاريخ المهي — فهناك القضايا التي كان الصحفيون أنفسهم يقفون بها في قفص الاتهام .. هذا النوع من القضايا يعد بالعشرات بين سن ١٩١٠ و ١٩٥٠ .. لكن أشهر هذه القضايا ثلاث :

قضية الشيخ عبد العزيز جابوش في سنة ١٩١١ بوصفه رئيساً لتحرير جريدة « اللواء » جريدة الحزب الوطني ، وقد حكم عليه بالسجن لاتهامه بالقذف في حق الخديو .. لكنه في يوم الإفراج بعد انقضاء أشهر العقوبة وجد على باب السجن آلافاً من الشباب في انتظاره خلف العربة التي كانت تستعد لنقله إلى بيته ، وما أن ركب الشيخ جابوش هذه العربة حتى فلك الشباب رباط خيولها وتولوا بأنفسهم جر العربة التي اتجهت به إلى دار جريدة اللواء .. وهناك قدم له الجمهور وساماً من الذهب هدية له باسم الشعب ومن الشعب ..

قضية الدكتور محمود عزمي في سنة ١٩٢٧ بوصفه نائباً لرئيس تحرير جريدة « السياسة » . وكان أيضاً متهماً بالقذف في حق الملك ، بعد أن أخذت هذه التهمة طابعاً قانونياً جديداً وصف في التشريع الملكي إذ ذاك باسم « العيب في الذات الملكية » .. وكانت أبرز نقطة في هذه القضية أن القصر الملكي عرض على التهم ، بمختلف الطرق ومنها طريق المحسكة ذاتها أن يعتذر ويعفى عنه ، لكن عزمي رفض صيغة الاعتذار التي اقترحتها القصر الملكي فحكم عليه .

قضية رؤساء تحرير جريدة « السياسة » في سنة ١٩٣٤ التي
اشتهرت باسم « قضية نزاهة الحكم » .. أقول قضية « رؤساء
التحرير » بالجمع لأن الحكومة كانت قد أصدرت قانوناً لم يش
طويلاً ، منع أى صحفى من تولى رئاسة تحرير أية جريدة إذا سئل
بمجرد مسائلة أمام القضاء ولو لم يحكم عليه .. وقد منع هذا القانون
الدكتور محمد حسين هيكل من ممارسة وظيفته كرئيس لتحرير
السياسة — إذ ذاك ، فتولاها الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني .
ثم تولاها الأستاذ صفى محمود الذى صار فيما بعد « باشا » ووزيراً
وكان الفرق بين سنة ١٩٣٤ ، سنة هذه القضية وما قبلها ، أن الحكم
في هذه القضية قد صدر بالبراءة ، وقد ترتب على هذه البراءة سقوط
الوزارة .

قطار :

قد تبدو كلمة « قطار » أبعد ما تكون عن العمل الصحفى ،
لكن الواقع يختلف عن ذلك .. كانت صحف الصباح إلى ما قبل
خمس وعشرين عاماً لا تظهر فى اسكندرية وسائر الأقاليم إلا فى ساعات
الضحى أو الظهر حسب . ووقيت للقطارات التي تحمل أعداد الصحف
إلى هذه المناطق .. لكن تقدم الحركة الصحفية قد ألجأ هيئة السكة
الحديدية إلى تسير قطار خاص بعد منتصف الليل ، وبالذات فى الساعة
لثلاثة صباحاً لجل أعداد الصحف إلى الاسكندرية والأقاليم الأخرى ،
وسمى هذا القطار باسم « قطار الصحافة » .. وأصبحت لهذا القطار
ميزتان : الأولى أن صحف الصباح تقرأ الآن فى اسكندرية والأقاليم

— فيما عدا جنوب الصعيد — في نفس الوقت الذى تباع به هذه الصحف فى القاهرة .. والثانية أن هذا القطار قد حل مشاكل المسافرين الذين يضطرون لأن يكونوا فى الاسكندرية أو غيرها قبل الشروق .

قلم :

ولا أستطيع أن أترك قافات الصحافة دون الإشارة إلى كلمة « قلم » فالقلم هو العدة الوحيدة فى يد الصحفي بل هو السلاح الوحيد الذى يدخل به كل للمارك ، فهذا « القلم » الذى قد لا يساوى من الناحية المادية ، إلا بضعة قروش أو بضعة ملاليم ، قد يساوى فرقة من المشتركين فى بعض المعارك .. وفى سنة ١٩٥٦ ظهر تعبير جديد فى قاموس الصحافة هو « سلاح القلم » .. وقد حرصت بعض البلاد على أن تضم إلى متاحفها الأقلام التى كان يكتب بها بعض عظماء الكتاب ، وهو تقليد أرخى أن يكون له فى مستقبلنا نصيب ..

حرف الكاف

أول حروف الكاف فى أرشيفنا المهنى الكاف التى تبدأ بها كلمة « كارتون » والسكراتون فى صناعة الصحافة إيمان : السكراتون الذى تنصب فيه صفحات الجريدة صفحة صفحة ثم توضع هذه السكراتونات على صينية المطبعة فيخرج منها ألوف وعشرات الألوف ومئات الألوف من نسخ الجريدة .. أما السكراتون الثانى فهو كارتون الرسم ..

والرسوم التي يرسمها الرسامون الصحفيون ، وغيرهم ، تسمى في لغة الصحافة الدولية باسم « كارتون » .. وهي الرسوم التي ترسم عادة على ورق يسميه الوراقون باسم ورق للسكرتون ..

كاريكاتور :

ومن المعروف أن رسوم السكرتون أنواع ، لكن أخص هذه الأنواع عند الصحفيين هي رسوم « الكاريكاتير » .. ولقد كانت للكاريكاتير إلى سنة ١٩٣٠ صحفه الأسبوعية للنخضة ، وكان أبرز هذه الصحف جريدتي الكشكول وروز اليوسف .. لكن الصحف اليومية بدأت تفتح صدرها للكاريكاتير بعد هذا .. بعد أن ثبت أنه سلاح صحفي ناجح في المعارك السياسية الصحفية ، وقد أخذت هذه الظاهرة الفنية صفة التعميم بعد اشتداد معارك الحرب العالمية الثانية في أوائل الأربعينات .. ومنذ ذلك الحين دخل قاموس الصحافة تعبير جديد هو تعبير « الوجوه الكاريكاتيرية » أي الوجوه التي لها بطبيعتها قوة التعبير الكاريكاتيري لوجود ميزة خاصة في تقاسيمها الطبيعية ، وكان أبرز هذه الوجوه في الحرب العالمية الثانية من الناحية الفنية الكاريكاتيرية وجه الجنرال دييجول الذي صار فيما بعد رئيساً للجمهورية فرنسا .. وكانت هذه الميزة في أنف دييجول .. لقد بلغ من تفنن الكاريكاتيريين أن كانوا يكتفون برسم أنف دييجول ليعلم القراء أنه دييجول ..

كتب :

ولا أستطيع أن أخرج خاتمة « الكاف » دون أن أشير إلى مادة

« كتب » .. فالكتب التي تهدي إلى الصحف والصحفيين تعد بالآلاف .. كل مؤلف يتجه ذهنه إلى أصدقائه من الصحفيين ليكتبوا شيئاً عن كتابه .. وقد كانت الصحف في الماضي تعنى بالكتب عناية خاصة .. كل جريدة فيها باب مخصص لنقد المؤلفات الجديدة .. اختفت هذه الظاهرة إلا قليلاً ، لسببين : الأول أن مطابع الكتب أصبحت تخرج عدداً من المؤلفات فوق طاقة أي صحفي أن يتابعه .. والثاني أن النقد الأدبي لم يعد مشاعاً بين الصحفيين كما كان في الماضي .. أصبح للنقد الأدبي محررون مختصون يخضع للنقد لما يعجبهم وما لا يعجبهم .

ومع هذا السيل من المؤلفات فإن مكتبات المؤسسات الصحفية تكاد لا تضم إلا ما يهم الصحفيين .. وفجأة يكشف الصحفي أنه بحاجة إلى كتب فلا يجد .. تماماً كما حدث في سنة ١٩٧٠ بمناسبة العيد الذهبي لبنيك مصر .. لقد بحث عدد من الزملاء عن نسخة من كتاب اشتركت في تأليفه منذ أكثر من ثلاثين عاماً عن « طلعت حرب » فلم يجدوا منه حتى عندى — ولا نسخة فاستعانوا بالنسخة الوحيدة المحفوظة في دار الكتب .

الاشتات لنايحية العشرة

لقد اكتشفت وأنا أبحث في أرشيف مهنة الصحافة أن هناك حروفاً يكون بعضها مع بعض أسرة قائمة بذاتها .. ومن هذه الحروف الأسروية حروف اللام والليم والتون .. أنها بتشابهها الطبيعي تشكل كلمة مستقلة هي كلمة « لمن » .. وكأي أسرة فيها من هو ميسور الحال وفيها من هو محدود الدخل .. وفي أسرة هذه الأحرف الثلاثة نجد أن حرف الوسط ، وهو حرف الليم ، ميسور جداً .. أن ثمانى وظائف من وظائف الصحافة وسبعة مصطلحات من مصطلحاتها تبدأ بحرف الليم .. الوظائف هي : محرر ، مدير تحرير ، مترجم ، مراجع مصصح ، مراسل ، مصور ، مندوب .. والمصطلحات هي : مانشت .. مراجع « بفتح الليم » مصادر ، معلومات ، مكتبة ، مجلة منافسة .. ولعلنى أستطيع تغطية بعض هذه الليات بعد أن نتحدث عن حرف اللام .

حرف اللام

لسان :

أشهر لام في لامات الصحافة هي اللام التي تبدأ بها كلمة « لسان حال » .. ربما كانت هذه الكلمة قليلة الاستعمال الآن .. لكنها

كانت متداولة جدا في النصف الأول من القرن العشرين . ويرجع سبب كثرة تداولها إلى ظهور عدد كبير من صحف الأحزاب ، حيث كانت جريدة الحزب تسمى « لسان حاله » .. كانت في بداية الأمر تسمية عرقية لكنها بمرور الوقت أصبحت جزءا من شعار كل جريدة حزبية ، فكان من المؤلف أن تقرأ تحت اسم الجريدة كلمة « لسان حال حزب كذا » ومع التطور اللغوي في الصحافة حذفت كلمة « حال » وأصبحت تكتب « لسان حزب كذا »

ولقد تعددت هذه « الألسن » بتعدد الأحزاب في الماضي ، حتى بلغت في بعض الأوقات عشرة ألسنة تشير إلى الخلافات المتعددة في وجهات النظر السياسية في سنى ١٩٢٠ ، ١٩٥٠ وهذه الألسنة العشرة هي ألسنة الأحزاب الآتية : الحزب الوطنى .. الوفد .. الأحرار الدستوريين .. حزب الاتحاد .. حزب الشعب .. حزب السعديين .. العمال .. مصر الفتاة .. الكتلة .. الإخوان .. وهذا كله عدا تشكيلات أخرى كانت لها « ألسنة » لم تكتب لها الشهرة .

حرف الميم

هانشيت :

الأمانة تقتضى أن أصرح بأن تقليد « للشانشيت » لم يكن إلا نتيجة الحاجة .. وقد ظهرت هذه الحاجة بالحاج ابتداء من سنة ١٩٣٦ سنة انطلاق للنافسة العنيفة بين الصحف المصرية ، حيث كانت كل

صحيفة تحاول أن تلفت إليها الأنظار . . وليس معنى هذا أن صحافتنا لم تعرف « للسانشيت » من قبل . . لسكنه لم يكن تقليدا يوميا . .
أذكر أن سكرتير تحرير الأهرام قبل هذا التاريخ قدم إلى رئيس تحريريه مشروع مانشيت كعنوان لخبر للصفحة الأولى يومئذ ، وكان خيرا هاما — فإذا برئيس التحرير يقول لسكرتير تحريريه « وحينما تقوم الحرب غدا ، أو في أي وقت — ماذا يكون حجم عنوان خبر الصفحة الأولى إذا جعلنا عنوان خبر اليوم مرض للصفحة كلها ١٩ . . وعدل سكرتير التحرير عن المانشيت .

لكن . . حين قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ وفرضت ظروف الحرب الرقابة على الصحف ، وأصبحت كل صحيفة تشعر بحاجة إلى ما يشد القراء إليها — بدأت تنتشر فكرة المانشيت حتى أصبحت تقليدا صحفيا له تاريخ . . وفي هذا التاريخ لا نجد في العشرين سنة الأخيرة مانشيتا أكثر أهمية من اللسانشيت الآتية :
(ثورة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢) . . « إعلان الجمهورية »
في ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ . . « جلاء القوات البريطانية » في ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ . . « العدوان الثلاثي » في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٦ . .
« عيد النصر » في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ . . « إعلان الوحدة بين مصر وسورية » في ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ . . « تنظيم الصحافة » في ٢٤ مايو سنة ١٩٦٠ . . « القرارات الاشتراكية » في ٢١ يوليو سنة ١٩٦١ . . « الحرب بين العرب وإسرائيل » في ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، ثم « تحطيم خط بارليف » في ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وكل

ما عدا هذه الأحداث التاريخية المحلية العشرة في العشرين سنة الأخيرة
كان من الممكن أن تكون لها عناوين كبيرة ضخمة ، لكنها
لا ترتفع إلى مستوى هذه المانشئات في تاريخ الصحافة وأرشيفها .

مدير تحرير :

لا حاجة بي للكلام عن وظيفة « المحرر » فكل صحفي في عرف
القانون « محرر » ، ثم تضاف إليه صفة اختصاصه ، كان يكون محرراً
مسئولاً ... أي رئيس تحرير ... أو محرراً متجماً أو محرراً رساماً... الخ .
لكن الجديد في وظيفة المحرر هي وظيفة « مدير التحرير » .. لقد
كان المؤلف في جيل الصحافة الأسبق أن يكون هناك مسئول يسمى
« مدير التحرير والسياسة » أو « مدير التحرير والإدارة » ..
التسمية الأولى للمسؤولين السياسيين عن الصحف الحزبية ، والتسمية
الثانية للمسؤولين اقتصادياً عن الدنيا للتجارية - ثم تغيرت الدنيا ،
مع التطور الصحفي ، وأصبح لابد من وجود مسئول فوق متوسط دائرة
العمل بين رئيس التحرير وسائر المحررين ، وسمى هذا المسئول
« كدير التحرير » وكان أول من تولى هذه المهمة بهذا الوصف هو
الدكتور محمود عزمي في جريدة السياسة منذ خمسين سنة ، وإن كان
الصحفي إذ ذاك لا يعرف إلا باسمه لا بوظيفته كما تفعل الآن .

مصدر :

كل صحفي له مصدر يستقى منه أخباره ، ويرتفع شأن الصحفي في
عمله كلما كان مصدره « عليا يواطن الأمور » .. فمن كان الرؤساء

مصادره فهو من رجال الصف الأول في الصحافة .. ويعتبر الوزراء لحكم مناصبهم ومسئولياتهم ، هو المصدر الطبيعية للصحفيين ، وأشهر « مصدر » من الوزراء للصحفيين في الأربعينيات هو المرحوم دسوقي أباطة « باشا » .. لقد كانت صداقاته المتعددة للصحفيين مصدرا من مصادر سخائه معهم .

لقد بلغ من هذا السخاء أنني قلت لدسوقي أباطة « باشا » ذات يوم أن زميلنا فلانا المحرر بجريدة من الصحف الوفدية المعارضة للحكومة التي كان دسوقي أحد وزرائها قلت له أن الزميل سيفقد وظيفته إن لم يستطع مد جريدته بأخبار الحكومة التي كانت تناقضها معارضة تجمع الوزراء من الإدلاء بحريتها بالبيانات .. فإذا بهذا الوزير « الشرفاوى » الكريم يختص الزميل محرر الصحيفة المعارضة بضعف ما كان يدلي به للآخرين ..

مكنة :

لا تكاد تسمع في أروقة الصحف بعد كلمات التحرير أكثر من كلمة « مكنة .. و « والمكينات » ومحتها باللغة للمرية « الآلات » أولها « مكنة التيسر » وهي جهاز استقبال البرقيات الخارجية التي تتألف منها في الصحافة مادة الأنباء الخارجية .
ثانيها « مكنة التبريد » وهي المعروفة باسم « الآلة السكانية »

التي يعاد بواسطتها تدوين مقالات المحررين ، والكتاب ذوى الخطوط
الرديئة وأنا منهم .

ثالثها « مكنة الزنكغراف » وهي « آلة الحفر » التي تدخلها
الصور والعاوين لتتحول إلى « كليشيات » يمكن إدخالها على
أدوات الطبع .

رابعها « مكنة اللونوتيب » وهي آلة صف الحروف .

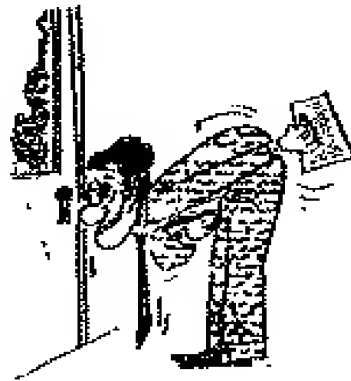
خامسها « مكنة الروتاتيف » وهي آلة الطباعة .

وليس شك أن آلة الطباعة هي أهم وأخطر وأغلى هذه الآلات ..
حيثما نحن بعضها يزيد الآن على مائة ألف جنيه .. وطرأز آلة الطباعة
هو الذي يحدد مستوى التقدم الفنى والاقتصادى لكل جريدة وهي
فى نفس الوقت أكبر ركن من أركان أعمال أية مؤسسة صحفية .

لئن أول تنافس فى تاريخ الصحافة المصرية بآلات الطباعة ظهر
فى بداية القرن العشرين .. ذلك أن الزعيم مصطفى كامل صاحب
جريدة اللواء فى تجواله ييلاد أوروبا وزياراته لدور الصحف بها -
كان قد شاهد بنفسه الانقلاب الفنى الكبير الذى أحدثته آلة
« الروتاتيف » على النشاط الصحفى فى الخارج ، فبادر إلى التعاقد
على شراء أول مكنة روتاتيف كي تستخدمها جريدة « اللواء
المصرية » . ولم يكن الحصول على مثل هذه الآلة إذ ذاك بالأمر اليسير ..
لئن آلة الروتاتيف التى يتعاقد الشارى على شرائها تبقى كما تبقى للعالم

أو البواخر لضخامتها ، وهذا البناء يحتاج إلى وقت قد يمتد إلى سنة أو سنتين .. وفي هذه الفترة تنبه الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد المنافسة لجريدة اللواء سخطورة التطور الطباعي الذي سيدخل على الجريدة المنافسة ، فاستخدم كل وسائل النفوذ التي يملكها للتعاقد على شراء آلة « روتاتيف » أخرى بشروط منها إنجاز تصنيعها في أسرع وقت ممكن .. وتم تصنيع الآتين معا . . . وبقي السباق على شحن أجزائهما وتركيبهما في القاهرة ، أيهما يتم تركيبها وتشغيلها قبل الأخرى . .

وكانت هذه أول منافسة من نوعها بين صحف القاهرة .



ورق الصحف في الحرب

لست أدري هل هي الصدفة وحدها ، أم أن هناك سرّاً لا نعلمه وراء الحروف .. فالحروف الأربعة الباقية في هذه السلسلة من حلقات هذا (الأرشيف الصحفي) وهي حروف اللون والهاء والواو والياء — حروف تتألف منها كلمة عجيبة ، هي كلمة (يهون) .. فإذا نحن راجعنا تفاصيل الحياة بالنسبة لأي صحفي أو صحفية وجدنا أن كل شيء (يهون) في سبيل هذه المهنة العظيمة .

ولست مهنة الصحافة عظيمة في نظري ، أو في نظر كل الصحفيين لأنها مهنتنا .. إن كل مهنة في نظر أهلها أعظم للهن — إنما هي مهنة عظيمة لالتصاقها للباشر بالرأي العام فما من مهنة تتفاعل مع الرأي العام كهنة للصحافة .. إن الرأي العام الذي يصنعها ، وهي تصنعه أيضاً .. إن الصحافة توجد حيث يوجد الرأي العام فلو لم يكن لنا رأي عام لما كانت لنا صحافة ، لكن الصحافة في الطرف الآخر من هذه النظرية هي القوة الدافعة التي تحرك الرأي العام مع أنها تستمد منه قوتها التي تدفع بها إلى ما يريد .. ومن هنا يشعر كل صحفي حر بأن كل شيء يهون في سبيل هذه المهنة التي تتصل أنفاسها بأفئاس شعبه اتصالاً مباشراً .. وفي هذه الحلقة من سلسلة هذا الأرشيف سأحاول استعراض بعض جوانب الحروف الأربعة التي تتألف منها هذه الكلمة .

حرف النون

نقابة :

إن نون الصحافة تتمثل اول ما تتمثل في نون كلمة (نقابة) ..
كانت الصحافة المصرية منذ فجر القرن العشرين هي الداعية إلى تشكيل
كل النقابات في كل المهنة .. ولقد كانت كلمة (نقابة) تعنى في أواخر
القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نقابات العمال ، ولا يزال
هذا المعنى قائماً حتى اليوم .. فالعمال هم سراكز التجمع التي تحتاج إلى
تنظيمات ورحايات نهاية ، لسكن فئات للثقفين في أوائل القرن العشرين
بمصر وغيرها بدعوا يشعرون بأنهم هم الآخرون بحاجة إلى تنظيم ،
ولم يجدوا لهذا التنظيم إسماء خيراً من كلمة (نقابة) .

على هذا الأساس ظهرت أول نقابة من نقابات المثقفين في مصر
سنة ١٩١٢ وهي نقابة المحامين ، ومع أن الدعوة لإنشاء نقابة للصحفيين
ظهرت في وقت واحد مع الدعوة لإنشاء نقابة للمحامين ، إلا أن تنظيم
مهنة المحاماة بقوانين قديمة ترجع إلى تنظيم هيئة للقضاء ذاتها قد جعل
من إنشاء نقابة المحامين أمراً سهلاً في هذا الماضي الذي أصبح بعيداً ..
أما الصحفيون فقد ظلوا يكافحون للوصول إلى تنظيم مهنتهم بقانون ،
غير قانون للطبوعات حوالى ثلث قرن حتى تحقق لهم صدور هذا
القانون في ٣١ مارس سنة ١٩٤١ .. ومع هذا فقد كانت نقاباتهم ،
من الناحية التاريخية ، ثانی نقابات للثقفين في مصر .. وكان إنشاء نقابة

لصحفيين إيداعاً بإنشاء سائر نقابات المثقفين التي بدأ ظهورها يتوالى منذ سنة ١٩٤١ حتى بلغت الآن إحدى عشرة نقابة وهي نقابات المحامين .. الصحفيين .. الأطباء البشريين .. الأطباء البيطريين .. أطباء الأسنان .. الصيادلة .. المهندسين .. المهندسين الزراعيين .. المعلمين .. التجاريين .. وقد شاركت الصحافة في الدعوة لإنشاء كل هذه النقابات .. فضلاً عن أنها كانت للنبر العام لعشرات من نقابات العمال والفنيين .. وتعتبر نقابة الصحفيين هي النقابة الوسط بين كل ألوان هذه النقابات .. ذلك أن الصحفيين بطبيعتهم ثقافتهم صف من صفوف المثقفين .. ثم هم بطبيعة سير العمل في حياتهم اليومية صف من صفوف العمال .. ثم هم في أكثر من تخصص من تخصصاتهم شركاء للفنانين ..

ولهذا كانت نقاباتهم منذ إنشائها في سنة ١٩٤١ حتى الآن مركزاً من مراكز الإشعاع في مجتمع المثقفين ، ومركزاً من مراكز الإشعاع في مجتمع العمال ، ومركزاً من مراكز الإشعاع في مجتمع الفنانين .. هذا بالإضافة إلى أن نقابة الصحفيين كانت أول نقابة فتحت أبواب مجلسها للمرأة في مصر .. فبعد عشرين عاماً دخلت أول سيدة في عضوية مجلس النقابة في نقابة الصحفيين ، وهذه السيدة هي الزميلة الأستاذة أمينة السعيد التي انتخبت عدة مرات وكيلة للنقابة .

نقد :

وإذا كانت نون (النذابة) تخص الصحفيين أنفسهم فهناك نون

أخرى تهم الرأي للعام كله ، وهى تون (النقد) .. إن نصف العمل فى الصحافة يقوم على النقد .. ولقد استطاعت الصحافة أن ترفع بكلمة (نقد) إلى مستوى اللوائح القومية .. والدليل على هذا ما ورد فى ليثاق الوطنى الصادر فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ عن النقد البناء والنقد الذاتى باعتبارها ضلعين من أضلاع حرية الصحافة .

ولشدة الصلة بين مفاهيم الصحافة ومفاهيم النقد نجد صعوبة كبيرة فى تحديد العالم التاريخى لحركة (النقد) فى صحافتنا .. على أننى أعتقد أن أول نقد فى قدمته الصحافة لقراءتها يتنثل فى (حديث الأرباء) الذى كان يكتبه أستاذنا الدكتور طه حسين فى الصفحة الأدبية بجريدة (السياسة) منذ أكثر من خمسين عاماً ثم أخرجه فى كتاب .. وطبيعى أن تكون الصحافة قد عرفت للنقد قبل هذا التاريخ أصلته بطبيعة عملها .. لكن نقدات الأستاذ الدكتور طه حسين التى بدأت منذ ذلك التاريخ تعتبر فى نظرى القاعدة الفنية الأولى للنقد الفنى بمفهومه العلمى الحديث .

نباية :

ولما كان النقد فى صحافتنا غير مقتصر على النقد الفنى .. بل أنه قد بدأ بالنقد السياسى فإن طبيعة الأشياء فى الماضى قد خلقت جهازاً مضاداً للنقد السياسى ، وكان هذا الجهاز يسمى (نباية للصحافة) .

ذلك أن التحقيق مع الصحفيين فيما كانوا يكتبونه بين الثلاثينيات .

والأرمينيات حينما تزايد حجمه رأى أن يوكل هذا التحقيق ، مبدئياً ، إلى نيابة متخصصة في قضايا الصحفيين .. ولست أذكر أول تحقيق أجرته هذه النيابة ، لكنني أذكر آخر تحقيق هام . . لأنه كان معي .. وكان مواعده قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بقليل .

كان موضوع هذا التحقيق خطبة نشرتها لأحد السياسيين تناول فيها بالمرح ما كانت المعارضة قد تناولته في عريضتها للقدمة إلى الملك السابق عن تدخل حاشيته في شؤون الحكم بغير وجه حق .

كانت التهمة من وجهة نظر النيابة واضحة لأن المادة التي نشرتها كانت في عداد اللواد للمنوعة من النشر .. وكان أعمى في هذا التحقيق أحد أمرين إما أن أؤيد ما نشرته ، وهو ما لا سييل إلى إنكاره .. ومعنى هذا أنني أؤيد الاتهام .. وإما أن أمتنع عن الإجابة إلى أن يقضى الله أمراً ، وقد اخترت هذا الأمر .

وكان رئيس النيابة الذي يحقق معي للرحوم المستشار البيطاش رجلاً لبقاً ذكياً .. فلما أن لاحظت إصراري على عدم الإجابة حتى صرف كاتب الجلسة وتظاهر بأنه قد قفل المحضر ، وأنه يريد أن يتناول معي قهوجاً من القهوة .. ثم أخذ يتحدث إلى حديثاً خاصاً يبدو خارج للموضوع وإن كان في صميمه .. وفي هذا الحديث قلت له (وماذا تنشر نحن الآن أكثر مما قاله شيخ القضاة وعميدهم عبد العزيز فهمي) (باشا)

في خطابه حين كان رئيساً لحرب الأحرار الدستوريين في سنة ١٩٢٣ وهو يهاجم تدخل الحاشية للملكية في شئون الحكم ؟

.. وتهد رئيس النيابة وهو يقول لي : ولماذا لم تقل هذه العبارة منذ البداية .. انتهى لا أريد أكثر منها لإقفال المحضر .. وإنهاء التحقيق الذي انتهى فعلاً بتسجيل هذه العبارة ..

حرف الهاء

هواية :

لا تكاد توجد مهنة في الدنيا بأسرها لها طبيعة الهواية كهنة الصحافة ثما من صحفي إلا وقد بدأ صلته بالصحافة هاوياً .. ومن المعروف في الأوساط الصحفية أن انتشار هذه الهواية يشكل نصف متاعب المحررين المسئولين ، فكل عشرة هواة عن يرون في أنفسهم كفاءة المحررين لا يكاد يوفق منهم أكثر من واحد في الانضمام إلى (بلاط صاحبة الجلالة الصحافة) وهذه النتيجة هي التي تشكل المحلات للتياغة التي يتلقاها المحررون المسئولون من الهواة ، وإن كانت هذه المحلات قد خفت منذ أصبحت الصحافة دراسة يخرج فيها للشباب من الجامعة فضلاً عن التنفس الكبير للهواة الناشئين في الصحافة المدرسية والجامعية .

لكن غير المعروف أن هذه الهواية تسبب لأصحابها كثيراً من المتاعب

أيضاً .. أليست الصحافة مهنة للبحث عن التلاعب ؟ .. لقد جاءني أحد
الهاوية ذات يوم من أيام فبراير سنة ١٩٤٥ يقترح أن أجربه كسابق
برلمانى .. وتحت تأثير احترامى لثقافته العالية وإيمانه بقبول أن يقوم
بهذه التجربة .. وذهب الشاب إلى جلسة مجلس النواب ، واستطاع
أن يدخل المجلس بصحبة بعض أصدقائه من النواب .. وانشاء حظه
أن يقتل في هذه الليلة ، ودخل دار البرلمان رئيس الوزراء أحمد ماهر
.. وأن يفتش المحققون عن دخولوا هذه الدار بغير ترخيص . فإذا
بهذا (الهاوى) في مقدمتهم . وقبض عليه أربعة أيام تحت التحقيق
واقضى الإفراج عنه جهداً غير عادى إذ لم يكن هناك سبب قبله القانون
لدخوله المجلس بغير الترخيص .. وطلق هذا الصديق هذه الهاوية
طلاقة بائماً لا رجعة فيه ..

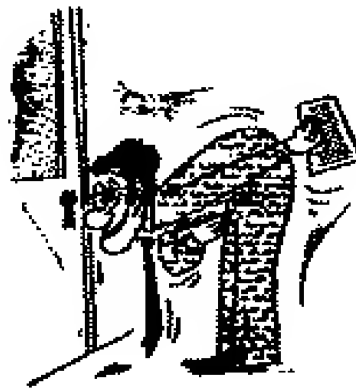
حرف الواو

ورق :

إن للصحافة في مناجيا الأولية تعتبر طوراً من أطوار الوراقين ..
صناعة الذين يقدمون إنتاجهم على صحائف من الورق .. إن اسم
(الصحافة) ذاته له صلة لغوية تاريخية بكلمات صحفية وصحائف وصحف
.. فالورق هو عصب الصحافة الذى لا يمكن أن تظهر أو تعيش
بدونه .. إنه أشبه الأشياء بعجينة الخبز الذى يقدمه الخبازون كل يوم
إلى الناس .. ولقد أصبح من أصول صناعة الصحافة أن إنشاء صحيفة
يقتضى أولاً إنشاء مخزن متجدد من الورق .

لكن هذا الورق قد أخذ في الحرب العالمية الثانية سمة أخرى ..
لقد أصبح من (الذخائر) التي تتولى البوارج الحربية نقلها لتزويد
(سلاح القلم) الذي يشترك مع أسلحة الحرب الأخرى بهذه الذخائر
الورقية .

وبالفعل أصبح الورق في الحرب العالمية الثانية (ذخيرة) لا من
الناحية الحربية فقط ، بل من الناحية الاقتصادية أيضاً .. فالصحف
التي تحصل على ورق أكثر هي الصحف التي كانت تحصل على مكاسب
أكثر .. يكتفى للإشارة إلى هذه المكاسب أن طن الورق كان داخل
للتسمية بمبلغ خمسة وثلاثين جنيهاً ، وخارج التسمية بمئة وخمسة جنيه ..
والفرق بين هذين الرقين هو الذي يفسر لنا كيف أصبح بعض الصحفيين
في الأضي من أغنياء الحرب ..



يَاءَاتُ لَصَحَافَةِ الْعَشْرِ

.. وأخيراً وصلنا إلى حرف « التماعه » أى الحرف الذى نستطيع أن نضع فوقه كل أخطائنا وكل ما سهونا عنه .. أنه حرف الياء الذى يمكن أن يبدأ به أى فعل مضارع لوصف أى معنى من معنيات هذا الأرشيف .. ومع أن حرف الياء هو آخر حروف الأبجدية .. إلا أنه يتحدى ويتغنى لقول الشاعر :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطع الأوائل

إن ياءات الصحافة كثيرة جداً ، لكن أهمها هذه الياءات العشر :

يحرق .. يختصر .. يشيل .. يطبخ .. يعلق .. ينطلي .. يهزك ..
يغرق .. ينافس .. يوضب .. وفى هذه الياءات العشر ياءات فنية
وياءات ذات تاريخ .

الياءات الفنية :

أول ياء فنية فى دنيا الصحافة هى ياء كلمة « يحرق » .. بمعنى أن يسبق محرر زملاؤه فى الصحف الأخرى بنشر خبر ، فيقال أن هذا المحرر قد حرق الخبر على زملائه ..

والياء الثانية هى ياء « يختصر » والاختصار فى المؤسسات الصحفية

محررون متخصصون يسميهم بعض الزملاء باسم « للقص » فالمحرر المختصر هو الذي يمسك مقصداً يقص به بعض فقرات أى مقال أو خبر حسب المساحة التى تحددها إدارة التحرير لهذا الموضوع .

والثالثة هى ياء « يشيل » وهى كلمة يختلف معناها العامى للأمدى عن معناها فى دور الصحف .. فيشيل فى العمل الصحفى تبنى أن الساعة إذا بلغت منتصف الليل فما على سكرتير التحرير إلا أن « يشيل » الصحائف للصبوبة أمامه ، أى يأمر بإدخالها للطبعة مهما كانت هناك أسباب للاعتظار .. أن نلوا عيد فى العمل الصحفى شىء مقدس ..

والياء الرابعة ياء « يطبخ » والطبخ فى العمل الصحفى شىء مختلف عن مفهومه عند الناس .. إن الطبخ فى الصفحة يعنى تغيير معالم المادة الصحفية من أخبار إلى مواضع على النحو الذى يراه القارىء ، وهو لا يدري أن هذه المواضع إنما جاءت طبخة يشترك فيها كل من يطبخون المادة الصحفية .

أما الخامسة فهى ياء « يغطى » ويغطى أيضاً لها معنى آخر فى الصحافة .. أنها تعنى أن المحرر يستجمع كل أركان الخبر أو الموضوع الصغير الذى أمامه كي يقدمه للقارىء عملاً صحفياً متكاملًا لا ينقصه شىء يسأل القارىء عنه ..

والياء السادسة هى ياء « يوضب » والتوضيب فى العمل الصحفى هو هذا التنسيق الذى تراه بين مواد الجريدة . إن المحرر الذى يوضب

الصفحات هو للمهندس الصحفي الذي يقدم لك هذا البناء للتاسق في الصحيفة التي تقرأها .

الياءات ذات التاريخ :

بقيت الياءات الأربع ذات القصص للطريقة في تاريخ الصحافة ، وأولى هذه الياءات ياء « يبرك » .. لقد كانت « القبركة » غناً صحفياً مشهوراً في حيل الصحافة الأسبق ، وقد اختفى هذا الفن في حيلنا بعد ظهور آداب المهنة والالتزام بها .. كانت القبركة هي التي خلقت العبارة التي كانت مألوفة في الماضي عبارة « دا كلام جرائد » .. ولعل أشهر قصص القبركة الصحفية في حيل للصحافة الأسبق قصة محرر للقطم الذي جاءه رئيس المطبعة ليقول له أن للصفحة الأخيرة ينقصها طموذ كامل .. فجلس المحرر للنشيط وألف من خياله قصة حريق هائل وقع بمدينة استاقبول وأحدث كذا وكذا من الحوادث التي لا أصل لها .. ودفع المحرر بهذا الخبر « الخطير » إلى المطبعة ، لكن رئيس المطبعة وجد أن مادة الخبر تغطي ثلاثة أرباع العمود ، فلقباً إلى رئيس التحرير ، وقص عليه القصة كاملة فنادى رئيس التحرير المحرر كاتب الخبر للصنوع وقال له : أكتب تكذيباً لهذا الخبر فيما لا يزيد عن عشرة سطور لتسكلة العامود !

وتأتى بعد ياء « يبرك » ياء « يفرقع » وهي أيضاً من الاصطلاحات للصحفية القديمة .. واصطلاح « يفرقع » له ناحيتان : ناحية للوضوح الذي يكتبه الصحفي ليحدث به ضجة ثم يقين أن هذه الضجة « زوينة في قنجان » .. وناحية لفرقة للغزير في آلات التصوير القديمة .

كان مصورو الصحف القديمة لا يستطيعون ضبط الصورة إلا بواسطة التور للتبعث من لمبات المغزيوم للحققة بآلة التصوير . . . وذات مرة كان أحد للصوريين الصحفيين يلتقط صورة لمجلس وزراء جديد من مجالس الوزراء القديمة التي لم تسكن على وفاق مع الشعب ، فإين « فرقع » للمغزيوم حتى أغشى على رئيس مجلس الوزراء لأنه توهم أن ثوار زمان قد استطاعوا اقتحام مجلس الوزراء برصاصهم . . . وكانت أفكوهة تفككت بها الأوساط الصحفية والسياسية لمدة أيام . . . ولياء كلة « ينافس » قصة . . . ففي سنة ١٩٤٥ كانت هناك صحيفتان قد اشتدت المنافسة بينهما . فإذا نشرت إحداها خبراً أو موضوعاً لا يجده صاحب الصحيفة الأخرى في جريدته ينهال ذمماً على سكرتير التحرير . . . وقرر سكرتير التحرير أن « ينافس » بطريقة لم تخاطر يال أى صحفى من قبل ولا من بعد . . .

كان مسوحاً في سنة ١٩٤٥ أن تجري مراقبة للصحف في دار الرقابة نفسها ، وكان هذا يتطلب أن يذهب مندوب خاص من الجريدة بصفحاتها قبل الطبع إلى دار الرقابة . . . فاتفق سكرتير التحرير الجريدة للنافسة مع هذا المندوب على أنه في طريق العودة يمر به فيلتقيان وراء نافذة تطل على طريق مظلم مسدود . . . وفي دقائق يكون سكرتير التحرير قد اطلع على صفحات الجريدة المنافسة قبل طبع الجريدتين فيلتقط منها ما ينقصه من أخبار .

وخل هذا اللون للقيح من المنافسة غير المشروعة قائماً حتى صدرت لائحة بآداب المهنة فقصت على هذا اللون نهائياً .

بقيت للياء الأخيرة وهي ياء « يعلق » . . وأكثر التعليقات حساسية هي التي تكتب فور الساعة . . أحياناً تكتب هذه التعليقات عند الضرورة بينما تكون إجراءات الطبع قد بدأت . . وقد ارتفع منسوب هذه التعليقات ، وكانت غالبية هذه التعليقات على خطاب السيد الرئيس التي يلقيها في المناسبات القومية الهامة .

ذات مرة كان خطاب الرئيس أنور السادات سيبدأ بعد التاسعة مساءً وينتهي قراءة منتصف الليل ، أي عند وقت بداية الطبع . . فكان علي أن أستمع إلى الخطاب من المذياع . . وكلا وصل الخطاب إلى نقطة حساسة التقطت منها مادة التعليق — فما أن فرغ السيد الرئيس من إلقاء خطابه حتى كان التعليق ينتقل من يدي إلى أيدي عمال المطبعة . .

يوميّات :

هذه المصطلحات الفنية التي تتصل بحرف الياء من أرشيف مهنة الصحافة ينقصها مصطلح هام .. المصطلح الذي نسميه « اليوميّات » . فاليوميّات في الصحف هي مقال للصفحة الأخيرة . . كانت الصفحة الأخيرة في جيل الصحافة الأسبق إما أن تكون صفحة قصة ، وإما أن تكون صفحة « شذرات » وهي مجموع كبيرة من الأخبار للطريقة التي لا نجد لها مكاناً بين الأخبار « المحلية » ذات الطابع السياسي .

ودع هذا فإن باب اليوميّات ليس جديداً كما قد يظن بعض الزملاء أو القراء المحدثين . . الجديد فيه هو الأسلوب فقط . . فقد كان

حافظ عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » يكتب يوميات جريدته في العشرينات والثلاثينات تحت عنوان « حديث المجالس » .. وكان توفيق حبيب المحرر بالأهرام يكتب يومياته في الثلاثينات تحت عنوان « الهامش » فقد كانت هذه اليوميات تحتل هامش للصفحة الوسطى إلى اليسار .. ولعل أول من كتب اليوميات بأسلوبها الحديث الذي نعرفها به الآن هو الصحفي الكبير الراحل توفيق دياب ، فقد كان يكتب مقالاته ابتداء من سنة ١٩٢٦ على صفحات « السياسة الأسبوعية » بأسلوب اليوميات الذي نعرفه الآن .. وكانت أولى هذه المقالات مقالة بعنوان « حر و تراب و طرايش » وقد تناول في هذا المقال .. هذا المقال القديم مشكلة لبس الطرايش في فصل الصيف إلى جانب معالجة طريقة لمشكلة النظافة في القاهرة .

يعين ويسار :

وفي خاتمة أبجدية هذا الأرشيف الصحفي لا بد أن أسجل ظاهرة وثيقة الصلة بحرف ليا . . ظاهرة تقسيم الفكر الصحفي إلى « يعين » وإلى « يسار » . . أن هذه الظاهرة لم تظهر بوضوح إلا خلال الحرب العالمية الثانية .. وبالذات بعد اشتراك الاتحاد السوفيتي فيها . . على وجه التقريب في سنة ١٩٤٣ .

كان الكتاب الصحفيون قبل هذا التاريخ على الأغلب كتاب « يعين » إلا أن تطور الأحداث العالمية قد خلق أفكاراً جديدة شابة تبناها بعض أعلام الصحافة الجدد .. وكانت هذه الأفكار بطبيعة تطور هذه الأحداث أفكاراً إلى « اليسار » .

وكان أول من تصدى لنشر هذه الأفكار من خلال الظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد ثلاثة زملاء هم : المرحوم الدكتور عزيز فهمي الذي يرجح الكثيرون أنه مات فعلاً بتدبير من القصر الملكي .. والمرحوم الدكتور محمد مندور الذي عاش حتى شهد فجر الثورة ومسارها في المحسنات وشارك في المقاميم الفكرية الجديدة إلى أن توفي منذ سنوات .. والدكتور رياض شمس المحامي الذي اشتغل بالصحافة الوفدية في الماضي ليبت فيها جانباً من الفكر اليساري الحديث ، وما زال الاضطهاد يلاحقه حتى ترك الصحافة إلى مهنته الأصلية بين المحامين ..



الباب الثالث

المذاهب الصغرى في مصر

المذاهب الصحفية في مصر

سأحاول في هذه الحلقة من الأرشيف محاولة قد تكون محاولة جريئة من الناحية العلمية . . سأحاول أرشفة تاريخ الصحافة المصرية ذاته في فصل واحد ، وقد تكون هذه المحاولة مجنباً على (العالم) لكنها أفضل من التنجي على (المعرفة) فللعلم بحوثه المستفيضة ، والمعرفة خلاصاتها الخاطفة التي تمتشئ مع طبيعة العصر ذلك أنا كلما تحدثنا عن نهضة الصحافة المصرية ذهب الحديث ، أو ذهب للتفسير فيه إلى ثورة سنة ١٩١٩ أو إلى مقدماتها ونتائجها فحسب ، وهذا ظلم أعتقد أن الأرشيفات الصحفية مسئولة عن إصلاحه . . وقد تكون أرشفة تاريخ الصحافة موضع اهتمام للصحفيين فقط . . لكن التقسيم الجديد الذي سأورد هذا التاريخ إليه يحمل أبعاداً أخرى قد تهم للناس جميعاً . . أننى أقسم منابت تاريخ الصحافة المصرية إلى ثمانية أبواب على النحو الآتى :

الباب الأول

صحف محمد علي :

كان محمد علي يعتمد في دعم سلطانه أحياناً ، وطمعانه أحياناً على مفهوم من مفاهيم السيطرة الإعلامية . ، فلم يكن مباحاً في عهده لغير (الوالى) أى لغيره شخصياً أن يصدر صحفاً . . وكانت صحف محمد علي مجرد نشرات تحمل أوامره ونواهيه لعمالة وأركان حربه في كل ناحية

دون أن تكون للشعب أية صلة بهذه النشرات وفي ظل هذا المعنى
أنشأ محمد علي الصحف — أو على الأصح النشرات الآتية : —

١ — جورنال الخديوى :

وقد ظهر هذا (الجورنال) سنة ١٨١٣ ولما كانت للطباعة
لم تظهر بالقدر الكافي عند ظهور هذه النشرة فقد ظلت تكتب — على
السكربون أو ما أشبهه — بخط اليد إلى سنة ١٨٢١ حيث بدأت تطبع
بمطبعة القلعة الجديدة ، وكانت لغة هذه النشرة في البداية هي اللغة
التركية التي كانت سائدة على عصر محمد علي في مصر الرسمية .

٢ — الوقائع المصرية :

وقد تطور (جورنال الخديوى) في سنة ١٨٢٢ إلى جريدة
(الوقائع المصرية) وكان هذا التطور أترأ من آثار الطباعة العربية
الحديثة بالنسبة لما كان ، ولهذا كانت الوقائع هي أول جريدة رسمية
تظهر باللغة العربية إلى جانب ما كان ينشر فيها أصلا باللغة التركية
من قبل .

٣ — وقائع كريدية :

وهي جريدة ، أو نشرة تركية أصدرها محمد علي في جزيرة كريت
لدعم سلطانه على هذه الجزيرة وإن كانت لم تعش ، كما لم يشن سلطانه
فيها إلا قليلا .

٤ - الجريدة العسكرية :

أصدرها محمد علي سنة ١٨٣٣ لتحمل ما يصدره من (فرامانات)
تركية وتعايانت إلى الترترقة من ضباطه وجنوده الذين بنى على أكتافهم ،
أو على الأصح على أكتاف الجيش المصرى ، ما بناء .

٥ - لامنتيو أجيبسيان :

لقد أنشأ محمد علي هذه الجريدة باللغة الفرنسية في مدينة اسكندرية
حيث كانت تقيم غالبية الجاليات الأجنبية ، للرد على جريدة
(لامنتيو أوتومان) التي صدرت بمدينة اسكندرية أيضاً لحساب
السلطان العثماني . . . وذلك في سنة ١٨٣٣ . . وهاتان الصحيفتان كانتا
تحملان معنى للصراع الذي كان قائماً حول النفوذ بين السلطان العثماني
وبين الوالى محمد علي .

الباب الثانى

صحف عرابي :

عرف عرابي طريق الصحافة في ثورته . . ومع أنه لم ينشئ
صحفاً إلا أن ثورته كانت تحتضن الصحف الآتية :

١ - مجلة التنكيت والتبكيت :

وقد أصدرها عبد الله النديم سنة ١٨٨١ مع مقدمات الثورة . .
وكان يعمد في حملته الدطائية بها على التنكيت والنقد اللاذع لأعداء الشعب .

٢ - مجلة المفيد :

وقد أصدرها في نفس الوقت حسن الشيمى . . وكانت تعتمد على الأسلوب الجاد الرصين .

٣ - مجلة الطائف :

وقد أصدرها عبد الله التديم بمشورة عرابي عندما اشتد لهيب الثورة سنة ١٨٨٢ فقد أشار عرابي على داعيته الأول عبد الله التديم أن ينشئ صحيفة تجمع أسلوبى الصحيفتين السابقتين لتقف وراء الفسوات المحاربة .

الباب الثالث

صحف الأفغانى :

حينما قدم جمال الدين الأفغانى بدعوته إلى مصر سنة ١٨٧١م شجع عدداً من حملة الأقلام الوافدين على مصر لإخراج عدد من الصحف التى تدعوه ولأفكاره ولعله بما يعكس ناحية من هذه الأفكار أن يخرجى هذه الصحف لم يكونوا كلهم مصريين ولا مسلمين أول الأمر مما يدل على أبعاد الآفاق التى كان يتجه إليها السيد جمال الدين .
وهذه الصحف هى :

١ - جريدة (مصر) :

وقد أنشأها أديب أسحق سنة ١٨٧٧ وقد اشترك سليم النقاش مع أديب أسحق في حركته الصحفية من بعد . .

٢ - جريدة أبو نظارة :

لحق أصدرها يعقوب بن صنوع سنة ١٨٧٧ .

٣ - جريدة (مرآة الشرق) :

لحق أصدرها سليم عنجورى سنة ١٨٧٩ ووكّل تحريرها إلى الكاتب المصرى المسلم إبراهيم الأفتانى .

وكانت هذه الصحف الثلاث تلتقى عند نقطة هامة ، وهى الحلة على الحاكم المصرى أو المتعصر بمعنى آخر .

وكان بعضها يحتّمى فى حملته بتأييد سياسة السلطان العثمانى . . وقد يكون فى مقدمة معالمها أنها كانت إمتداداً لحركة جمال الدين الأفتانى بعد نفيه عن مصر .

الباب الرابع

صحف عربية فى الخارج :

بعد خروج جمال الدين الأفتانى من مصر أخذ يقود حركة إعلامية شرقية فى الخارج ، وقد تمثلت هذه الحركة منه ومن غيره فى :

١ — جريدة (مصر القاهرة) :

التي أنشأها أديب إسحق لحساب الأفغانى فى باريس سنة ١٨٨٠.

٢ — جريدة (العروة الوثقى) :

التي أنشأها فى باريس جمال الدين الأفغانى نفسه سنة ١٨٨٤
بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده الذى نفي هو الآخر عن مصر عقب
الاحتلال البريطانى .

٣ — جريدة (منبر الشرق) :

التي أصدرها الشيخ على الغاياتى فى لوزان بعد قيام ثورة ١٩١٩
فى مصر لتكون لسان حال المجاهدين الشرقيين فى الخارج . . وكانت
هذه للصحف كلها تصدر باللغة العربية .

الباب الخامس

صحف الثقافة :

كانت لثقافة تسير جنباً إلى جنب مع السياسة فى تاريخ صحافتنا . .
وعلى هذه السيرة ظهرت صحف ثقافية متعددة الألوان فى بواكير
هذا التاريخ وفى مقدمتها المجلات الآتية :

١ - مجلة (يعسوب الطب) :

وظاهر من اسمها أنها كانت مجلة متخصصة في الطب . . . وهي ظاهرة تستحق التسجيل أن تكون أول « مجلة » عربية تظهر في الوجود مجلة متخصصة وقد أصدرها في سنة ١٨٦٥ الدكتور محمد علي « باشا » وقد اشتركت بعض الحكيمات في تحريرها .

٢ - نزهة الأفكار :

وتعتبر هذه المجلة أول صحيفة مصرية حملت لواء الثورة الفكرية في جنورها الأولى ، وقد أصدرها المفكران الرائدان إبراهيم المويلحي وعثمان جلال سنة ١٨٦٩ ، ولهذا لم — يحتمل الحكام الطغاة — بقاؤها أكثر من شهرين .

٣ - روضة المدارس :

التي أصدرها المعلم الأول رفاعة الطهطاوى سنة ١٨٧٠ في أواخر حياته فكانت أول صحيفة من نوعها . . . صحيفة مدرسية . . . ولهذا فقد اقترحت على وزارة التربية والتعليم أن تحتفل في سنة ١٩٧٠ بالعيد المئوي للصحافة المدرسية بمناسبة مرور مائة سنة على ظهور مجلة روضة المدارس . . . وقد نفذ هذا الاقتراح .

٤ - مجلة المقتطف :

وقد أصدرها الدكتور يعقوب صروف في بيروت سنة ١٨٧٦

ثم انتقل بها إلى القاهرة سنة ١٨٨٥ . . وكانت متخصصة في البحوث العلمية .

٥ — مجلة الهلال :

وقد أنشأها جورجى زيدان في القاهرة سنة ١٨٩٢ . . وكانت متخصصة في البحوث الأدبية والتاريخية العربى والإسلامى .



نشأة الصحافة الحزبية

الباب السادس

بينما كانت أستار الحجاب معدلة على وجه المرأة المصرية تخفى جمالها البدنى كانت هناك ثورة فكرية يضاء ترفع هذا الحجاب عن روح هذه المرأة . . . وكان الفضل فى هذه الثورة لثلاث سيدات دخلن ميدان الصحافة مبكرات : الأولى هى السيدة هند نوفل التى أنشأت مجلة (الفتاة) بالإسكندرية سنة ١٨٩٢ والثانية هى السيدة الإسكندرية افريزو التى أنشأت مجلة (أنيس الجليس) بالإسكندرية أيضاً سنة ١٨٩٨ . . . والثالثة هى السيدة ليبة هاشم التى أنشأت مجلة (فتاة الشرق) بالقاهرة سنة ١٩٠٦ . . . أن هؤلاء الثلاث قد أرسين قواعد الصحافة للمرأة النسائية فى مصر فسبقن نهضتين الصحفية جميع النهضات النسائية الأخرى ، وقد كتبن بهذه النهضة فصلا جديدا فى تاريخنا الصحفى هو الفصل السادس فى هذا الأرشيف .

الباب السابع

أما الباب السابع فى تاريخنا الصحفى فهو باب الصحف السياسية للمستقلة التى بدأ ظهورها بظهور فكرة الحياة النيابية فى سنة ١٨٦٦

يومئذ بدأ يتوالى ظهور الصحف السياسية التى يملكها الأفراد على النحو التالى :

١ — جريدة (وادى النيل) التى اقترن التصريح بإصدارها مع قيام مجلس شورى القوانين فى سنة ١٨٦٦ وإن كانت لم تتمكن من الظهور إلا فى يوليو سنة ١٨٦٧ .. وقد أنشأها عبد الله أبو السعود بمدينة إسكندرية .

٢ — جريدة (الأهرام) التى أصدرها بإسكندرية فى سنة ١٨٧٥ الإخوان سليم وبشارة قهلا .. كانت أسبوعية ثم تحولت إلى جريدة يومية وكانت سكندرية ثم تحولت إلى قاهرية فى أوائل القرن العشرين .

٣ — جريدة (الوطن) التى أصدرها ميخائيل عبد السيد بالقاهرة سنة ١٨٧٧ .. بدأت قبطية السمات ، ثم أخذت الطابع القومى الكامل .

٤ — جريدة (للعلم) التى أنشأها بالقاهرة سنة ١٨٨٨ المدرسون اللبنانيون الدكتور الثلاثة فارس نمر ، وميقوب صروف ، وشاهين مكاريوس ، وكانت ميوها انجليزية صريحة ، ثم عدلت عن هذه الصراحة بعد قيام ثورة سنة ١٩١٩ .

الباب الثامن

صحف الأحزاب

لقد ظهرت الأحزاب للصربية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من داخل الصحف على النحو التالي :

١ — جريدة (التوحيد) التي أنشأها الشيخ علي يوسف بالقاهرة سنة ١٨٨٩ وانبثق عنها حزب « الإصلاح على للبأدى » الدستورية .

٢ — جريدة (اللواء) التي أنشأها مصطفى كامل بالقاهرة سنة ١٩٠٠ وانبثق عنها الحزب الوطنى .

٣ — جريدة (الجريدة) التي أنشأها لطفى السيد بالقاهرة سنة ١٩٠٧ . وانبثق عنها حزب الأمة .

بعد سنة ١٩١٩

تغيرت الصورة بعد قيام ثورة سنة ١٩١٩ فبعد أن كانت الأحزاب تنبثق من الصحف أصبحت الصحف تصدر عن الأحزاب . وفيما يلي تسجيل سريع لهذا التطور .

سنة ١٩٢٠

لقد بدأت جريدة (الأهالى) لصاحبها عبد القادر حمزة هذا التطور في سنة ١٩٢٠ . . كانت (الأهالى) تصدر بإسكندرية منذ

سنة ١٩١٠ كإحدى الصحف المستقلة ، لسكن اللقاء بين عبد القادر حمزة وبين زعيم الثورة سعد زغلول قد تحولت بها إلى لسان من السنة حزبه وأن ظل محتفظاً باستقلاله في الرأي .. لأن موقف عبد القادر حمزة يشبه في نفس الوقت موقف أمين الرافعي .. ففي سنة ١٩٢١ أصدر أمين الرافعي جريدة (الأخبار) وأمين الرافعي كان قطبا من أقطاب الحزب الوطنى لكنه آثر أن يكون في صحيفته مستقل الرأى وأن يلتزم نزعات الحزب الوطنى واضحة للعالم على سياسة صحيفته .

سنة ١٩٢١

وإزاء موقف أمين الرافعي أصدر الحزب الوطنى في سنة ١٩٢١ جريدة (اللواء الجديد) ووكل تحريرها إلى أحمد وفيق .. وفى سنة ١٩٢١ ظهرت مجلة (الكشكول) - لصاحبها سليمان فوزى وهى أول مجلة تعتمد فى الممارك الصحفية على رسوم الكاريكاتير .. لقد كان وراء هذه المجلة السياسى الداهية إسماعيل صدقى الذى كان قد انشق على سعد زغلول .. وهناك شائعة تقول إن هذه المجلة كانت تصدر لحساب حزب الأحرار الدستوريين . وهو خطأ تاريخى ، فحزب الأحرار الدستوريين لم يظهر إلا فى أخريات سنة ١٩٢٢ ، وكل ما هنالك أن رابطة قوية كانت تربط بين إسماعيل صدقى وبين عدلى يكن أول تولى من رئاسة حزب الدستوريين فكان إتمام صدقى (باشا) بمول مجلة الكشكول إلى الأحرار الدستوريين مجرد إتمام إلى شخص عدلى يكن الذى لم تدم رياسته لهذا الحزب إلا شهوراً .

سنة ١٩٢٢ :

أما الجريدة (الرسمية) لحزب الأحرار الدستوريين ، وهي جريدة (السياسة) فقد ظهرت مع الحزب في آخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ وقد أسندت رئاسة تحريرها إلى الدكتور محمد حسين هيكل أستاذ القانون الدستوري في الجامعة المصرية القديمة .

وكانت جريدة (السياسة) أول جريدة تقوم على نظام الشركات فقد كانت شركة يرأس مجلس إدارتها مدحت يكن (باشا) رئيس مجلس إدارة بنك مصر ، ويتولى شئونها الإدارية الدكتور سيد كامل أحد مديري البنك .

سنة ١٩٢٣ :

نستطيع أن نسمي سنة ١٩٢٣ سنة التصفية في الأساليب التي خلقتها ثورة سنة ١٩١٩ . . وكانت هذه للتصفية نتيجة لصدور الدستور في ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ وتحول للمارك الصحفية من الشئون الخارجية البحتة إلى الشئون الداخلية التي خلقتها للمارك الانتخابية .

في هذا الجو حلت جريدة (البلاغ) محل جريدة (الأمل) لصاحبها عبد القادر حمزة . . وكانت جريدة (البلاغ) بحكمة هذا الصحفي العظيم أقدر الصحف الحزبية ، أو التي كانت حزبية ، على البقاء . . لقد امتد بقاءها من جيل ثورة سنة ١٩١٩ إلى جيل ثورة سنة ١٩٥٢ .

سنة ١٩٢٤ :

إن النجاح الذي حققته جريدة (البلاغ) في تاريخ الصحافة النسائية قد أغرى أحد حافظ عوض بأن يصدر صحيفة نسائية أخرى هي جريدة (كوكب الشرق) التي ظهرت في سنة ١٩٢٣ مع تولى سعد زغلول الحكم . . وقد أضافت (كوكب الشرق) إلى حركة الإعلام الوفدية عنصرا جديدا .

سنة ١٩٢٥ :

وفي هذه السنة ، سنة ١٩٢٥ حاولت بعض القوى المعارضة للوقد التي ظهرت ثم اختفت ثم عادت من سنة ١٩٢٢ إلى نهاية سنة ١٩٢٧ أن تقوم بحركة إعلامية جديدة ، فأنشأ هذا البعض جريدة (الاتحاد) ووكل رئاسة تحريرها إلى طه حسين للاستفادة بمجازيته عند القراء . . لكن إدراك الشعب لمن كانوا وراء هذه الجريدة ، وهم رجال القصر للشيء قد جعل هذه الجريدة تموت بالسكينة منذ نشأتها وخاصة بعد أن انصرف عنها كبار الكتاب كطه حسين وللازني .

لكن هذه السنة سنة ١٩٢٥ ، كانت ميلادا جديدا للون جديد في الصحافة الأسبوعية بظهور مجلة (روز اليوسف) . . كانت (روز اليوسف) أول نشأتها مجلة أدبية في خدمة للشرح ، لكن قوة الإعلام الوفدية قد احتوتها وجعلت منها المجلة السياسية الكاريكاتورية التي تنافس مجلة الكشكول . . وقد أثبتت هذه المجلة جدارتها بدليل بقائها حتى الآن .

سنة ١٩٢٦ :

وإذا قلنا أن سنة ١٩٢٥ كانت بداية الانطلاقة الجديدة في الصحافة
الأسبوعية — فإن هذه الانطلاقة قد بلغت قمتها في سنة ١٩٢٦ بظهور
جريدة (السياسة الأسبوعية) وقد أغرى نجاح (السياسة الأسبوعية)
عبد القادر حمزة بإصدار (البلاغ الأسبوعي) في نفس السنة .
إن تاريخ الصحافة الحزبية مليء بالأسرار ، وسأحاول كشف
بعض هذه الأسرار في الحلقة القادمة .



أسرار الصحافة الحزبية

رأينا في الحلقة السابقة أن الصحف الحزبية في العشرينيات قد بلغت عتقاً ، نبت صحف يومية ، وأرجع صحف أسبوعية ، وأن هذه الصحف للمثيرة قد أدخلت على تاريخ الصحافة المصرية مفاهيم غير حزبية .. مفاهيم ينصل بعضها بالعروبة وبعضها بالثقافة العامة .

وقبل أن تنتقل إلى الثلاثينيات وما بعدها ينبغي أن نذكر أن هذه الحلقة من الزمن كانت بداية مرحلة خطيرة في تاريخ الصحافة ، مرحلة الإخضاب الصحفي غير المنتظم . فإن قيام الأحزاب وتمدها في هذه المرحلة قد شجع عشرات ، وربما مئات ، ممن اتخذوا الصحافة حرفة لهم ، بكفاءة أو بغير كفاءة ، أن يستصدروا تصريحات بإصدار مجلات أو جرائد لحسابهم . والواقع أن حسابهم هذا لم يكن مستقلاً ، فقد كانت هذه الصحف « الفردية » بمثابة « البديل » للصحف الحزبية المعروفة في حالة مصادرتها ، فإتسكاد صحيفة منها تصدر في المساء حتى تصدر في الصباح بكامل مواصفاتها لكن تحت أسماء أخرى ، من أسماء الصحف المجهولة التي كان يدها أصحابها للإيجار ..

سنة ١٩٣١ :

وعلى أية حال فقد توقف سيل إصدار الصحف حوالي خمس

سنوات فيما بين سنتي ١٩٢٦ و ١٩٣١ ، ويرجع للسبب الأكبر لهذا التوقف إلى أن الحكومة قد أخذت فيما بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ في مقاومة هذه (السوق الحرة) لاستصدار للصحف ، وذلك بمراجعة جميع التراخيص الممنوحة للأفراد العاديين بإصدار صحف وإلغاء الكثير منها ممن لم ينتظم صدورها . وكان قانون العلبومات ، لا يزال ، يحدد مدة ستة أشهر لظهور للصحيفة بانتظام أو يسقط التصريح بصدورها .

وإزاء هذه للمقاومة الحكومية ظهرت مقاومة حزبية بإصدار صحف قوية مساندة للصحافة الحزبية وكان نصيب سنة ١٩٣١ من هذه الحركة صحيفتين يوميتين شهيرتين .

الأولى : هي جريدة (للجهاد) التي أصدرها محمد توفيق دياب على للبأديء الوفدية . . والثانية هي جريدة (الشعب) التي أصدرها رئيس الوزراء سنة ١٩٣١ ، وهو إسماعيل صدقي باشا ، واختار لها اسم صحيفة ملغاة من صحف الحزب الوطني التي كانت تصدر من قبل في سنة ١٩١٣ ثم جرفتها الأحداث في الحرب العالمية الأولى .

وإذا كانت جريدة (الشعب) للصدقية لا تستوقف النظر من الناحيتين التاريخية والفنية أكثر من أنها كانت صحيفة من صحف للنسبات السياسية العابرة — فإن جريدة (الجهاد) تعتبر شيئاً آخر ..

إن جريدة (الجهاد) تعتبر من للصحف الثورية . . يكفي في

التدليل على هذا للمعنى أسلوبها الدافق الذي كانت تعالج به أحداث سنة ١٩٣٥ ومن هذا الأسلوب أنها كانت تنشر أسماء الطلبة الذين تقع عليهم اعتداءات السلطات إسماء إسماء ، وكان من هذه الأسماء إسم الطالب جمال عبد الناصر الذي صار زعيماً ابتداء من سنة ١٩٥٢ .

وجريدة (الجهاد) هي أول صحيفة أدخلت الألوان كجزء يومي من جزئيات الإخراج الصحفي . وأول جريدة حملت شعارها بيتاً من الشعر . .

لقد كان شعار جريدة (البلاغ) كلمة من كلمات سعد زغلول هي (الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة) أما شعار (الجهاد) فكان قول شوقي :

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً

إن الحياة عقيدة وجهاد

سنة ١٩٣٤ :

وفي سنة ١٩٣٤ ظهر أسلوب جديد في الصحافة الحزبية الأسبوعية بظهور مجلة (آخر ساعة) لصاحبها محمد النابعي . . كان النابعي إلى ذلك الوقت المحرر الأول لمجلة روز اليوسف . . وقد لاحظ في ذلك الوقت أن السيدة روز اليوسف صاحبة هذه المجلة بدأت تتحرر من النزعة الحزبية ، فأنشأ مجلة (آخر ساعة) ليستقل عن سياسة روز اليوسف ، ولبعض أن مجلة (آخر ساعة) مجلة (مستقلة) لكن هذا الاستقلال كان أسلوباً جديداً ماهراً في تأييد حزب الوفد . .

سنة ١٩٣٥ :

وقامت السيدة روز اليوسف بحركة جزئية في هذا الموقف ،
فأنشأت في سنة ١٩٣٥ جريدة (روز اليوسف اليومية) وهي أول
وآخر جريدة يعقد حزب الأغلبية ، حزب الوفد ، اجتماعاً طارئاً
وبكامل هيئته ، ليقرر أنها لا تنطق باسمه ..

سنة ١٩٣٦ :

ولقد تفشى في سنة ١٩٣٦ أسلوبان من الأساليب الصحفية ..
أسلوب للتابعي في أن تكون هناك صحافة وفدية (مستقلة) . وذلك
بظهور جريدة (للمصري) اليومية التي اشترك التابعي نفسه في تأسيسها
مع صاحبها محمود أبو الفتح .. وأسلوب جريدة (السياسة) بأن تستند
الجريدة إلى شركة .. ففي سنة ١٩٣٦ تحولت جريدة (الأهرام)
نفسها إلى شركة ، ومع أن هذه الشركة قد تألفت من أسرة تقلا ومن
إليها فقط ... إلا أنها كانت حركة ظاهرة من حركات المقاومة لانتشار
للصحافة الحزبية .

كانت (الأهرام) لا تهتز لوجود صحيفة صباحية منافسة ، لكن
حينما تسكثرت هذه الصحف .. هذه الصحف الوفدية .. ففكر تقلا
(باشا) صاحب الأهرام في أن يقاومها بنفس السلاح الحزبي ، فعرض
على الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير (السياسة) بمد توقفها
أن يعيد إصدارها على حساب (الأهرام) لتقف في مواجهة الصحف

الأخرى ، لكن هيكل رفض هذا العرض ، فلم يسكن أمام تقلا إلا أن
ينشئ شركة تمسك بزمam للتوزيع في الأسواق .

سنة ١٩٣٧ :

ويبدو أن زحرف الفكرة الصحفية فكرة ظهور صحف حزب
الغالبية حزب الوفد ، وهي مستقلة — لم تعجب للقياده الوفدية في كل
الأحوال ، فسكف الحزب في سنة ١٩٣٧ أحد رجاله بإصدار جريدة
وفدية لحماً ودماً لتقف على الأقل في مواجبة جريدة (البلاغ) التي
تحولت في هذه السنة إلى المعارضة وكانت هذه الجريدة الجديدة هي
جريدة (الوفد المصري) .

سنة ١٩٣٨ :

لكن جريدة (البلاغ) التي كانت في سنة ١٩٣٨ قد تحولت إلى
معارضة الوفد لم يوافق صاحبها عبد القادر حزة على أن تكون لساناً
للمعارضين .. ومن هذا الموقف نبشت للفكرة عند الصحفي محمد خالد
الذي كان من كبار محرري (الأهرام) يومئذ أن يصدر جريدة
جديدة تنطق بلسان (الهيئة السعدية) التي انشقت على الوفد ..
واختار لها اسم جريدة (الدستور) .. ومع أن خالداً قد أخلص
للحزب السعدي الجديد .. ومع أن الحزب كان دائماً الصلة والرعاية
لهذه الجريدة إلا أنه لم يعطها صفة اللسان (الرسمي) له على عكس ما
كان يظن الكثيرون .

وفي سنة ١٩٣٨ ظهرت أيضاً جريدة جديدة أخرى ، هي جريدة (مصر الفتاة) لسان حزب الشباب الذي كان يحمل هذا الاسم . إلا أن هذه الجريدة كانت حلقة من سلسلة صحف الحزب التي كانت تنصب عليها مطاردة السلطات فتختفي واحده لتظهر غيرها ، وهي بترتيبها الزمني : الصرخة .. الضياء .. الثغر .. مصر الفتاة .. الاشتراكية .

سنة ١٩٤٤ :

وجاءت الحرب العالمية الثانية بكل ظروفها التي أوقفت مسيل إصدار صحف جديدة .. لكن ما كادت سحب الحرب تنحصر في أخريات سنة ١٩٤٤ حتى عادت الأحزاب إلى نشاطها الصحفي ، فأعاد حزب الأحرار الدستوريين إصدار جريدة السياسة اليومية .. وأصدر مكرم عبيد (باشا) رئيس حزب الكتلة المنشق على الوفد جريدة جديدة باسم (الكتلة) . وأخذ حزب الهيئة السعدية يستعد لإصدار جريدة (الأساس) التي ظهرت بعد عامين .

وكانت الظاهرة الجديدة في هذه الصحف على اختلاف نزعاتها الحزبية أن رياسات تحريرها قد وكلت إلى الشباب .. فرياسة تحرير (السياسة) قد وكلت إلى ، ورياسة تحرير (الكتلة) قد وكلت إلى الزميلين : جلال الحامصي والمرحوم قاسم جودة ، ورياسة تحرير

(الأساس) قد وكلت إلى الدكتور على الرجال ، وكان رؤساء التحرير هؤلاء جميعاً دون حدود الثلاثين من العمر .

وفي هذا الاتجاه إلى تجديد شباب الصحافة الحزبية — ظهرت صحيفة حزبية من لون يختلف عن هذه الصحف جديداً ، لون ثوري جديد تمثل في جريدة (اللواء الجديدة) التي أصدرها السياسي الشاب إذ ذاك فتحى رضوان بوصفه رئيس الحزب الوطنى (الجديد) الذى استقل به الشباب عن الشيوخ .

سنة ١٩٤٦ :

وفي سنة ١٩٤٦ كانت للعارك الحزبية قد بلغت الأعماق . . . وفي هذه الأعماق اختفت جريدة (الوفد للمصرى) التى ظهرت فى سنة ١٩٣٧ وحلت محلها جريدة يومية بديلة عنها هى جريدة (صوت الأمة) ولم تختلف هذه عن تلك إلا فى الإسم فقط . . . وعلى سياسة تجديد شباب الصحافة الحزبية وكلت رئاسة تحرير هذه الجريدة إلى الزميل المرحوم الدكتور محمد مندور صاحب سياسة (الطليعة) بين شباب حزب الأغلبية الوفدى . . .

وفي تلك السنة ظهرت الجريدة اليومية للأخوان المسلمين .

من هذا العرض السريع للصحافة الحزبية نجد أمامنا ترمومتراً دقيقاً لحركات الإعلام الحزبية فى الثلاثين سنة التى تقع بين سنة

١٩٢٠ وسنة ١٩٥٠ .. فقد بلغت صحف الوفد عشرين ثلاث منها صحف أسبوعية ، وبلغت صحف مصر الفتاة للتناجاة خمساً كلها صحف أسبوعية. وهي الصحف التي كان يصدرها أحمد حسين . وبلغت صحف الحزب الوطني ثلاثاً إحداها أسبوعية ، وبلغت صحف السعديين اثنتين إحداها رسمية والأخرى مناصرة . والباقي للتشكيلات الحزبية الأخرى : ومجموعها خمس وعشرين صحيفة في ربع قرن ..



جماعات المصاحفين

للمصاحفون ، ومفردتها مصاحف ، يضم لهم ، هم أنساب أسرة الصحافة وأصحابها . . هم للتضمون إلى أسرة الصحافة من غير الصحفيين . . هم المخالطون للصحفيين من أصحاب المهن الأخرى . . هم ذوو الاهتمامات الصحفية دون احتراف الصحافة . . إن الذي ابتكر كلمة (مصاحف) هو أستاذ للصحافة محمود عزمي حينما تولى إدارة معهد الصحافة العالي الذي سبق إنشاء قسم الصحافة بجامعة القاهرة وهو للمعهد الذي اقترح مشروعه الدكتور كمال الدين جلال . . وقد استخدم هذه الكلمة أستاذ الصحافة للرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة في وصف أصدقاء الصحافة ، واستخدمها زميلنا أنور الجندي للتعبير في كتبه عن الشخصيات التي كانت لأصحابها مسكنات في الصحف . .

رباعيات الملتزمين :

سأبدأ بمن كانت لمصاحفتهم طابع شبه رسمي ، وقد ظهر هذا الطابع بظهور الأحزاب عقب ثورة سنة ١٩١٩ واختيار كل حزب مصاحفا للتوجيه الحزبي في جريدته وأبرز أولئك المصاحفين ، أربعة وهم :

١ — الدكتور حافظ عفيفي :

الذي اختاره حزب الأحرار الدستوريين موجها في جريدة (السياسة) عند إنشائها في نهاية أكتوبر سنة ١٩٢٢ . . . وكانت طريقة حافظ عفيفي لا تمدو أكثر من تناول فنجان قهوة كل مساء بمكتب رئيس التحرير الدكتور هيكل ، وحول فنجان القهوة تناقش سياسة اليوم .

٢ — الدكتور أحمد ماهر :

الذي اختاره حزب الوفد في أوائل الثلاثينات موجها لإحدى صحفه ، وهي جريدة (كوكب الشرق) . وكانت طريقة الدكتور ماهر هي طريقة المشاركة في كل أعمال الجريدة سياسيا . . . طريقة مسئول له مكتب بدار الجريدة ويباح لكل العاملين فيها بالرجوع إليه .

٣ — مكرم عبيد باشا :

حينما شكل مكرم عبيد حزب الكتلة عشب انفصاله عن الوفد في سنة ١٩٤٣ أصدر جريدة (الكتلة) وكانت طريقته في التوجيه طريقة إيملائية — كان يلقى بنفسه الأخبار والمقالات بواسطة التليفون من منزله . . . وكان يلخص سياسة حزبه في جملة من سطرين تنشر كل يوم على رأس الجريدة بعنوان (حكمة اليوم) .

٤ — حامد جودة :

حينما شكل الماهريون حزبهم ، باسم الهيئة السعدية ، ثم أنشأوا له جريدة (الأساس) ١٩٤٧ اختاروا الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب موجها لجريدتهم . . وكان له بدار الجريدة مكتب يكفى فيه باستقبال رئيس تحرير الجريدة ومدير تحريرها ، ولا يستقبل غيرها إلا عند الاقتضاء .

للموجهين المتطوعون :

يقابل هؤلاء الأربعة أربعة آخرون من رجال الأحزاب قد انطلقوا للنشر في كل الصحف عن طريق صداقاتهم برجال هذه الصحف ، وهم :

١ — عبد الرحمن الراقى .

قطب الحزب الوطنى الذى كان يعمل متطوعا في صحف حزبه . منذ كان طالبا بالحقوق على عهد مصطفى كامل ، إلى أن أصبح شريكا في الراى لأخيه أمين الراقى في جريدة الأخبار .

٢ — عبد الرحمن عزام :

كان في صدر العشرينات من دماء الوفد في جميع الصحف . . إلى أن رأس محرير جريدة (الكشاف) لثى أصدرها صاحب الملايين أحمد عبود (باشا) سنة ١٩٢٦

٣ — نجيب الهلالي (باشا) :

كان في الثلاثينيات وزيرا من وزراء الوفد السابقين . . وكما كان خارج الوزارة اتخذ له مجلسا في جريدة (الجهاد) التي أنشأها توفيق دياب .

٤ — دسوقي أباطة (باشا) :

منذ استقال دسوقي أباطة من وظيفته الحكومية في سنة ١٩١٩ على أثر التحقيق الذي أجراه في حادث عدوان الانجليز ، على بلدي العزيزية والبدرشين وأدان فيه الانجليز ، انطلق إلى امبر الصحافة لينشر مقالاته السياسية للكتابة ، بتوقيع (الغزالي أباطة) نسبة ببلدته (غزالة) .

الموجهون الاقتصاديون :

شهدت العشرينيات والثلاثينيات طائفة من الصحفيين الذين نشروا لأول مرة الاهتمامات الاقتصادية على صفحات الصحف . . وكان في المقدمة منهم .

١ — كامل عبد الرحيم :

الذي كان أول سفير لمصر في موسكو ثم وكيلا لوزارة الخارجية . . لكنه كان من قبل المحرر الاقتصادي للتطوع لجريدة السياسة اليومية في النصف الأول من العشرينيات .

٢ — عباس شوقي :

الذي كان أحد مديري وزارة المالية . . لكن اهتماماته الصحفية قد جعلت منه المحرر الاقتصادي للتطوع لجريدة (السياسة الأسبوعية) في النصف الثاني من العشرينيات .

٣ — الدكتور محمد أبو طائلة :

الذي كان مفتشاً ثم مديراً للتعاون في وزارة الزراعة . . لكن اهتماماته الصحفية جعلت منه كاتب الصفحة الاقتصادية بجريدة (كوكب الشرق) .

٤ — محمد هلال :

الرجل الذي كان يجمع بين أسلوب الأديب وأسلوب الكاتب الاقتصادي . . وقد سبق هؤلاء جميعاً بمقالاته عن القطن . . . القطن فقط . . .

المُرشدون الدينيون :

شهدت العشرينيات والثلاثينيات طرازا من المصاحفين الذين يصدرن في توجيههم عن الإرشاد الديني ، وكان أبرزهم أربعة :

١ — الشيخ محمود أبو العيون :

وكان له مكان خاص على صفحات (الأهرام) يتحدث فيه عن

خطر البغاء . . وقد أثار الشيخ أبو العيون ضجة كبرى حين نشر إحصاء مفصلاً بالأرقام والعناوين عن بيوت الدعارة السرية .

٢ — الشيخ النفثازانى :

أول من كتب (حديث الصيام) يومياً على صفحات الأهرام . . لكن صلته بجريدة الأهرام كانت تسمح له باملاء ما شاء من الأخبار عليها .

٣ — الشيخ عبد المتعال الصعیدی :

وكانت له صفحة خاصة في جريدة (السياسة الأسبوعية) حينما كنت رئيساً لتحريرها منذ سنة ١٩٣٨

٤ — على عبد الرازق :

وليس شك أن أكبر وأشهر مصاحف من المرشدين الدينيين هو الأستاذ على عبد الرازق الذي فصل من الأزهر والتقضاء الشرعى بسبب كتابه (الإسلام وأصول الحكم) فى العشرىنيات فانطلق إلى كتابة المقالات الدينية ، لأول مرة بالمفهوم الحديث ، على صفحات جريدة (السياسة) .

المؤشرون الفلاسفة :

يقابل هذا الرباعى عن المصاحفين رباعى الفلاسفة ، وهم :

١ — مصطفى عبد الرازق :

الذى كان رئيساً لقسم الفلسفة بجامعة القاهرة قبل أن يصبح
وزيراً وشيخاً للأزهر . . وقد بدأت مصاحفة مصطفى عبد الرازق
منذ شبابه حينما أسهم بحاله ونلمه فى إنشاء جريدة (السقور)
سنة ١٩١٥

٢ — الدكتور منصور فهمى :

الفيلسوف الذى كان له مكان محدد فى بداية كل أسبوع إلى يسار
الصفحة الأولى فى جريدة الأهرام لينشر فيه تعليقاته الفلسفية تحت
عنوان (خطرات نفس) وكان أروع ما كتبه فى هذا الباب مقال
بشون (أنت أنت الله) على أثر وفاة أحد أبنائه .

٣ — أحمد أمين :

عميد الآداب الذى كانت له صفحات ثابتة من صفحات مجلة
الرسالة لى أنشأها الزيات ، وقبل يوم أنشأها أنها تعتمد على فلسف
الزيات وأحمد أمين . .

٤ — إسماعيل مظهر :

أحد أعمدة الفلسفة خارج أسوار الجامعة من العشرينيات إلى
الأربعينيات . . كان يملأ الصحف بمقالاته الفلسفية . . ثم كان له حيز
خاص به على صفحات مجلة (الجديد) .

جماعات المنقبين :

وأقصد بأولئك (للمنقبين) فريق المصاحفين الذين كانوا ينقبون عما وراء الأحداث والأخبار من جذور تاريخية . . . وكانت لأولئك للمصاحفين للمنقبين ، ولأن اختلفت بصائرهم الفكرية مدرستان : مدرسة العرويين ، أى الذين يردون كل شيء على مسرح الأحداث إلى أصله فى اللغة العربية أو للتاريخ العربى . . . ومدرسة الاجتماعيين الذين كانوا يلورون الأحداث بلورة تاريخية ذات صلات بالأسلوب الاجتماعى .

العرويون :

١ — أحمد زكى (باشا) :

وليس شك أن أحمد زكى (باشا) كان الأستاذ الأول فى مدرسة العرويين . . . لقد كان يلقب بلقب (شيخ العروبة) . . . وقد استقال من وظيفة سكرتير مجلس الوزراء فى العشرينيات كي يتفرغ للأبحاث العربية التى كان ينشرها بالتابع على صفحات (الأهرام) .

٢ — محمد مسعود :

الذى كان مديراً عاماً للطبوعات . . . لكنه كان على صفحات جريدة الأهرام التوأم الفكرى لأحمد زكى (باشا) . . . وكانت مساهلاتهما المنتظمة على صفحات الأهرام موضع الاهتمام .

٣ — وحيد الأيوبي :

وقد اشتهر بكتابة المقالات اللغوية على صفحات الأهرام . واشتهرت مقالاته باسم (الطقاطيق) لأنها لم تكن تتجاوز العشرين سطراً ، لكن الأهرام كانت تفرد لهذه (الطقاطيق) اللغوية مكاناً يكاد يكون ثابتاً في بعض الفصول على صفحاتها الأولى .

الاجتماعيون :

١ — الدكتور صبرى السوربوني :

وهو أستاذ هذه المدرسة بنير منازع . . فلا أحد قد تخصص في التاريخ الحديث من أبناء الجيل الأسبق كالدكتور صبرى ، وكانت كل غرف رؤساء التحرير تعرف صبرى السوربوني — نسبة إلى تخرجه من جامعة السوربون .

٢ — راشد رستم :

وهو منسل للصاحف المخلص للعروب . . فقد كان له مكان ثابت في سهرات جريدة الأهرام ، وكان في هذه السهرات يادل المحررين الرأى في كل شيء دون أن يكتب شيئاً إلا إذا لم يكن هناك من يحسن كتابته غيره .

٣ — لطفى جمعه :

كان محامياً فذاً حبت عليه الصحافة . فقد غلبت هوايته
للمصاحفة على قدراته الدفاعية كأحد أقطاب المحاماة . فبأن حجة
صحفية قامت للفسكر أو الفن أو التاريخ إلا وكان له بمقالاته فيها
النصيب الأوفى .



المذاهب الصحفية

هناك خطأ شائع في كتابة تاريخ الصحافة المصرية .. وهو خطأ
أيض لا يتجنى على الواقع ، ولكنه لا يمثل كل الحقيقة .. هذا الخطأ
الأيض هو أن كل من كتب في تاريخ الصحافة المصرية منذ ثورة سنة
١٩١٩ قد تناول تقسيم هذه الصحافة تقسيماً قائماً على المذاهب السياسية
وحدها .. وهو تقسيم صحيح ، لكنه تقسيم ناقص .. ناقص لأنه يربط
بين الصحف والصحفيين وبين أحزابها وأحزابهم فقط ، مع أن التطور
الصحفي ابتداء من هذا التاريخ كانت له معالم أخرى ، معالم يشترك
فيها الصحفيون على اختلاف أحزابها .. وهذه المعالم تشكل مذاهب
صحفية بخلاف النظر عن المذاهب الحزبية أو غير الحزبية التي
كانت تخدمها هذه الصحافة في الثلاثين عاماً التي تبدأ من سنة ١٩٢٠
إلى سنة ١٩٥٠ . وكما قسمت تاريخنا الصحفي في مراحله الأولى التي
تناولتها في حلقة سابقة إلى ثمانية أبواب .. فإنني أقسم للمذاهب الصحفية
التي ظهرت بعد ثورة سنة ١٩١٩ إلى ثمانية مذاهب أو على الأصح إلى
أربعة مذاهب تقابلها أربعة مذاهب أخرى .

١ - مذهب المتطرفين :

لا شك أن ثورة الشعب في سنة ١٩١٩ كان من أوليات انعكاساتها
على المفكرين وحملة الأقلام ظهور أصحاب الأفكار .. المتطرفة بالنسبة

لما سبق هذه الثورة ، وإن أصبحت هذه الأفكار هي التي تجارى
تحركات الشعب .. وكان أبرز للتطرفين في صحافة الحزب الوطنى هو
أمين الرافعى ، ويقابله فى صحف الوفد عباس محمود العقاد .

كان أمين الرافعى يرى ويكتب أن مجرد الاقتراب من الانجليز
فى سياسة البلاد خطيئة .. وكان العقاد يرى أن مجرد المعارضة للزعامة
السعدية خطيئة .. لقد بلغ من تطرف الرافعى أنه لم يكن يعارض
الزعامة فحسب ، بل لقد كان يعارض أحياناً ، أقطاب الحزب الوطنى
الذى كان يدين بمبادئه ، أما العقاد فقد بلغ من تطرفه أنه كان فى بعض
مقالاته يلغى الكثير مما كان فى صفحات التاريخ قبل قيام ثورة سنة
١٩١٩ ، فلما انشق على زعامة الوفد فى منتصف الثلاثينيات اعتبر أن
تشكيكه السياسى هو الأصل وأن الزعامة الوفدية للنحاسية هي التي
خرجت على هذا الأصل .

ومع تطور الزمن وتطور الأحداث خلال الحرب العالمية الثانية
وبعدها ظهرت مدرسة جديدة من للتطرفين تتمثل فى الصحفيين الشبان
لثلاثة : الدكتور عزيز فهمى ، والدكتور محمد مندور ، والأستاذ يوسف
حلمى عليهم رحمة الله ..

لقد كان الدكتور عزيز فهمى إماماً لرئيس مجلس النواب الوفدى
للرحوم عبد السلام فهمى حجة (باشا) ومع هذا فهو لم يتدد فى
معارضة أيه .. أما الدكتور محمد مندور فقد سلك طريقاً آخر ، فقد

شكل من بعض شباب حزبه تشكيلاً جديداً باسم (الطليعة الوفدية) .. وقد سكت حزب الوفد على هذا التشكيك لأنه كان يخيد من تطرفه في معارضة الآخرين .. أما يوسف حليمي فقد انفصل عن كل التشكيلات التي كانت قائمة متجهاً إلى الفاهيم اليسارية الجديدة التي كانت قبل سنة ١٩٥٢ تعتبر في قمة التطرف .

٢ — مذهب للمعتدلين :

يقابل مذهب للتطرفين مذهب المعتدلين .. وكان هذا للمذهب أنظهر ما يكون في الصحف غير الحزبية وبالذات في جريدتي الأهرام وللقطم .. ففي أحداث ثورة سنة ١٩١٩ كان داود بركات رئيس تحرير الأهرام يدعو إلى عدم المباينة .. فلما ثارت المظاهرات على هذه الدعوة وألقت الحجارة على نوافذ دار الأهرام — كتب داود مقاله للشهور بعنوان (آخر خدمة للزعزعة) ولما أحس بأن في هذا المقال شيئاً من التطرف للمضاد وضع على رأس الأهرام شعاراً جديداً هو (الأهرام جريدة مصرية للصريين) وقد خلفه على رئاسة تحرير الأهرام ، نحت هذا الشعار ، أنطون الجميل الذي اتخذ في الاعتدال أسلوباً أكثر عمقاً هو الامتناع عن الكتابة أصلاً إلا حينما تكون هناك أحداث يفقد الإجماع على الرأي فيها ..

أما جريده للقطم فكان على رأسها في التحرير خليل ثابت .. وكان خليل أبعد عمقاً .. فكان يبحث في الأعماق عن الأشياء التي

ثم رجل الشارع في غير السياسة .. فاشتهر بمقالاته الافتتاحية من
الأسعار والتموين وسائر نواحي العمران .

٣ — مذهب العاطفيين :

وليس شك أن الشعب المصري بين الحريين العالميتين الأولى
والثانية كان يعيش على عواطفه عيشة كان لها من يمثلها من حملة الأقلام
.. وأحسب أن خير من مثل هذه العواطف في صحف الجيل الأسبق
هو الشيخ مصطفى لطفى النفلوطى فى صحافة الوفد ، والشيخ عبدالعزيز
البشرى فى صحافة الدستورين .. لقد كانت مقالات هذين للكتابين
قصائد منشورة لا تحرك عواطف القراء فقط بل تحرك عواطف
الزعماء أنفسهم .. وقد بلغ من تأثير سعد زغلول بمقالات النفلوطى
أنه حين أشار بتعيينه فى وظيفة كبيرة وحين سمع من أحد مديرى
المستخدمين أن النفلوطى لا يحمل أية مؤهلات دراسية علياً أمسك سعد
زغلول بمجموعة من كتب ومقالات النفلوطى قائلاً مخاطبه : قل لى من
الذى يحمل شهادات كهذه للشهادات ؟

أما البشرى فكان عالماً أزهرياً (قاضياً شرعياً) .. فلم تكن
هناك غرابة فى تعيينه مديراً للطبوعات ، ثم مراقباً للمجمع اللغوى .

٤ — مذهب العقليين :

يقابل مذهب العاطفيين مذهب العقليين وقد ظهر هذا المذهب بين
سنتى ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ وبالذات بظهور جريدتى السياسة الدستورية
والبلاغ الوفدية .. كان على رأس (السياسة) الدكتور هيكل ..
وكان على رأس (البلاغ) عبد القادر حمزة .. وكان كلاهما على ثقافة

قانونية واسعة فكانت مقالاتهما الافتاحية قطعاً من للنطق الذي يحرك
القول والأفهام على الرغم من أن كلا منهما كان غارقاً في حزبته
فكان رد كل منهما على مقالات الآخر منة للشفقين في دنيا
السياسة ..

• — مذهب السفوريين :

ولقد شهد المجتمع المصري بين الحربين العالميتين الأولى والثانية
حركة من حركات التحرير سميت بحركة (السفور) وأنشئت لهذه
الحركة بالفعل جريدة باسم (السفور) في سنى الحرب العالمية الأولى
.. كان محرر هذه الجريدة ، عبد الحميد حدى ، يعنى بسفور المرأة
بعد حجابها الطويل فى الماضى .. لكن حركة السفور ما لبثت أن
تطورت فشملت الانحاء إلى السفور فى الفكر والفن والأدب والسياسة
وكان إعدام هذا التطور : محمود عزمى الذى كان ينادى بلبس البرانيط
وسلامة موسى الذى كان ينادى بالأدب السافر ومنيرة ثمابت التى كانت
تنادى بالاختلاط بين الجفسين فى كل التشكيلات الاجتماعية والسياسية.

مابقى من المذاهب الصحفية

تعمدت أن أختتم هذا « الأرشيف الصحفى » بالحديث عن « المذاهب الصحفية » بالنسبة لمرحلة من مراحل الصحافة قد أصبحت تاريخياً ، وهى مرحلة ما بين سنتى ١٩٢٠ — ١٩٥٠ . . تعمدت هذا لأرفع للظلم الذى وقع على هذه المرحلة بتقسيم الصحافة فيها تقسيماً حزبياً فقط . . إن التقسيم لابد أن يكون تقسيماً فنياً يبرز ما للصحفيين من أثر مستقل عن زحف السياسات الحزبية فى هذه المرحلة . . ولقد أشرت فى الحلقة السابقة إلى خمسة مذاهب صحفية ، وبقيت من هذه المذاهب ثلاثة هى :

مذاهب المحافظين :

لقد كان هذا المذهب هو الحركة المضادة لمذهب السفوريين الذين نادوا بالسفور فى حياة المرأة وحياة الأدب والثقافة والسياسة أيضاً . . كان المحافظون فى العشرينيات يتحدون بالطرفة فى السفور النسائى أو الأدبى أو السياسى . كانوا يقولون أن سفور المرأة لا ينبغى أن يتعدى المعالم الوسطى فى وجه المرأة وأن تعليمها لا ينبغى أن يتعدى للتدبير المنزلى والتدبير الصحى ليس غير . . كان من رأيهم أن الأدب ينبغى ألا يكشف عن سوءات الناس . . كفى أدباً فى رأيهم أن يكون

الإنتاج الأدبي متعلقاً بالعضات . مهما قيل في جود هذا الرأي في الأدب ، فهو على أية حال نداء ، أياً كان نوعه ، إلى الأدب المهادف . . . وكان من رأيهم في السياسة ألا تكون مشغلة للناس جميعاً . . . أن السياسة في رأيهم كانت فرض كفاية لا فرض عين ، أي لا ينبغي أن يعرض لها إلا الأكفاء فقط . . .

ولقد كان من صمالة هذا المذهب ، مذهب المحافظين للشيخ رشيد رضا منسوبة بحجة النار الذي كان دائم التحذير من خطر الاندفاع في التجديد على العقيدة الدينية . . . كان الشيخ رشيد رضا يرى أن يقف التجديد عند الحدود التي حددها الإمام الشيخ محمد عبده الذي أقام من نفسه خليفة له . . .

وكان في الصف الأول منهم محمد الميماوى الكاتب الصحفي الذي كانت مقالاته على صفحات مجلة الكشكول كالمسيط في ظهور دماء التجديد السياسى . . . كان الميماوى يرى أن التجديد السياسى لا ينبغي أن يخرج على تقاليد البلاد . . . وكان يناقش الميماوى في هذا الاتجاه محسن الشريف على ما بينهما من خلاف في الثقافات ، فالميماوى كان في قمة الثقافة الأزهرية وحسن الشريف كان في قمة الثقافة «العصرية» لكنه كان يسخر هذه الثقافة الحديثة الواسعة في مهاجمة الدين يحاولون الخروج على أصول الحكم باسم الديمقراطية . . . فكانت مقالاته على صفحات « السياسة » محل إعجاب أنصار الوسط . . .

مذهب الخطايين :

لقد كان من آثار ثورة سنة ١٩١٩ ومشاركة للثقفين فيها مشاركة أساسية ظهور فئات لها كواهرها من الخطباء الذين يلهبون بخطبهم حماسة الجماهير . . وكان من أثر الثورة أن انعكست مفاهيمها الخطائية على صحف ما بين العشرينات والثلاثينيات على اختلاف نزعاتها الحزبية نتيجة لمشاركة عدد من نوابغ الخطباء وللثقدين في تحرير الصحف . . وكان أبرز أولئك الخطباء السكانيين ثلاثة : توفيق دياب ، وطه حسين وزكي مبارك . .

كانت مقالات توفيق دياب خطباً مكتوبة ، بل لقد كان توفيق دياب إذا أراد أن يكتب مقاله الافتتاحي استدعى أحد معاونيه فيجلسه أمامه بينما يقف هو ليملى عليه فقرات مقاله وكأنه يلقي خطبة على الجماهير . . وكما كان توفيق دياب في موافقه الخطائية يتقدم ويتأخر أو يذهب ويحجى فوق منصة الخطابة — كذلك كانت تصدر عنه نفس هاء الحركات عند إملائه للقال .

أما طه حسين فإن أسلوبه الإملائي ، الذي يجمع بين طيبته وبين مبكراته الإلقائية كمحاضر ، كان هو نفس أسلوبه في إملاء مقالاته ، أسلوب المحاضر الذي لا تفارق موسيقاه عباراته التي يملأها في جلسته للمعروفة . . فسكان القراء يقرأون مقالاته السياسية وكأنهم يستمعون إلى محاضرة من محاضراته التحليلية الشيقة .

وأما زكي مبارك فقد قل في مقالاته على صفحات جريدة البلاغ التي كان يمتونها « الحديث ذو شجون » نفس الطريقة التي كان يخطب

بها طلاب الأزهر في سنة ١٩١٩ — طريقة إعداد أذهان السامعين ،
أو القارئ ، للمبارك التي ظل زكى مبارك يخوضها على مدى العمر
كله إلى آخر نفس فيه .

مذهب الساخرين :

إن مذهب « الساخرين » هو المذهب الثامن . أو للمذهب الأخير
في تقسيم المذاهب الصحفية بين العشرينات والحسينات تقسماً قنياً
لاطفيان للحزبية السياسية عليه . . لقد تعددت ألوان السخرية الصحفية
في هذه المرحلة من تاريخ الصحافة . . كان بعض الكتاب الساخرين
قادراً على أن يستخدم في سخرية أعلى مستويات القصص كالبشرى ،
وبعضهم ينزل بسخريته إلى أعماق اللهجة الدارجة . كان بعضهم يعتمد
على النظم وبعضهم يعتمد على النكتة ، كان بعضهم يستمد سخريته
من الأدب القديم ، وبعضهم يعتمد على المبتكرات الحديثة .

وليس شك أن الأسلوب الساخر في الصحافة المصرية له جذور
قديمة ترجع إلى مدرسة عبد الله النديم كاتب الثورة العراقية في
أخريات القرن التاسع عشر ، وقد حاول أحد حافظ عوض صاحب
جريدة « كوكب الشرق » بين العشرينات والثلاثينات من القرن
العشرين أن يحيي هذا الأسلوب . فخصص في جريدته باباً للنقد
الاجتماعي الساخر يمتلئ فيه تحت توقيع مستعار هو « عوضين » . .
لكن مجلة الكشكول « قد التقطت منه هذا الخيط وأفردت له
الصفحات الطوال التي كان يكتبها ظاهراً بالعامية المخلطة بالقصص كاتبة
الفكاهة حسين شقيق المصري . . وكاتب شاب آخر جنى عليه الزمن
هو المرحوم عزيز فهمي . وهو غير الدكتور عزيز فهمي .

فلما ظهرت مجلة « روز اليوسف » لتقف في الطرف المضاد لمجلة
الكشكول ابتكر كاتبها عهد التابعى أسلوباً جديداً في السخرية
السياسية يعتمد على التقاط الصفات الشاذة في أى سياسى وإبراز هذه
الصفات بالأسلوب السكاريكاتورى الجديد .

ولقد توسط فكري أباطة بين هذين الأسلوبين فأنشأ على
صفحات (للنصور) المقالات التى تعتمد على النكتة المرسله التى تضرب
ولا تخرج .

وحول هذه الأساليب جميعاً ظهر أرقى أساليب السخرية وهو
أسلوب المازنى . . لقد كان المازنى أدبياً عملاقاً ، فاستطاع ان يتحول
بمقالاته السياسية إلى قطع من الأدب ، لكنه الأدب الساخر . . ولم
تقف سخرية المازنى على مقالاته السياسية فقط . . بل تعدتها إلى
مقالاته الأدبية أيضاً ، لقد بلغ من سخريته ، وهو الإنسان الرقيق —
رقيق النفس ورقيق الجسم معاً ، أن كتب يقول إنه وحده قد صارع
غرقه من حلة (الشوم) فصرعهم جميعاً .

سبائيات المنسيين

أعترف بأننى أشعر بشيء من القلق ، لأن هذا الأرشيف لم يوف
للمنسيين من زملائنا السابقين كل حقهم .. إننى أوجه لىفى فى هذه
الحلقة خمس للنقد الذى وجهته لأقسام للملومات فى دور الصحف لأن
معلوماتها المستوفاة فى كل شيء لا يظهر عليها النقص إلا بالنسبة لأبناء
الهيئة أنفسهم .. وسأحاول فى هذه الحلقة أن أعالج جزئية صغيرة من
جزئيات هذا النقص بالقدر الذى أقدر عليه . . سأحاول أن أجعل
من هذه الحلقة الختامية عرضاً سريعاً غير ما سبق عرضه ابعض فئات
المنسيين من زملائنا السابقين الراحلين .. وهذه لفئات فى نظرى
ثلاث .. فئة الذين كانت الأضواء مسلطة عليهم فى حياتهم ، فلما انطفأت
شمعة حياتهم انحسرت كل الأضواء عن أسمائهم .. وفئة الذين نذكرهم
بعد مماتهم ذكراً خاطفاً وفى بعض للناسبات فقط .. وفئة الذين كان
النسيان بالنسبة لهم كالأكفان التى لا شيء غيرها لمن غارقوا الحياة ..
وعلى قدر طاقى سأذكر من كل فئة سبعة وأنا استغفر الله عن قصورى
وتقصير تاريخنا الصحفى بالنسبة للآخرين .

الفئة الأولى :

فئة الذين أحيطت أسمائهم فى حياتهم بالمعالات فلما ماتوا أحيطت
هذه الأسماء بالصمت الرهيب — أذكر منهم :

١ — جورجى زيدان : إنه منشئ دار الهلال .. وليست دار الهلال هي سبب مجده في حياته ، بل إن سلسلة القصص التي كتبها عن التاريخ الإسلامى ، وهو غير مسلم . كانت تجعله في حياته محط أنظار المؤرخين وأساتذة الجامعات في الخارج فضلا عن أنظار الأدباء والقراء في الوطن العربى .

٢ — حبيب جاماتى : الزميل الذى كان محط الأنظار في جميع المحافل العربية ومحافل المستشرقين باعتباره الكاتب الصحفى الذى نقل الكثير من الفكر العربى إلى اللغة الفرنسية .. لقد كانت مسلسلته عن (تاريخ ما أهمله التاريخ) مضرب الأمثال حتى لقد أصبح هذا العنوان من عناوينه اصطلاحاً لقوياً .

٣ — داود بركات : الذى انتقل بجريدة الأهرام من مرحلة إلى مرحلة وهو رئيس لتحريرها .. فلطالما كتب مؤرخو الصحافة في تاريخ جريدة الأهرام عن رؤسائها تحريرها إلا القليل عن هذا الصحفى الذى كان أول رئيس تحرير للأهرام فتح أبوابها للتحركات الشعبية وأول من كتب على رأس جريدة الأهرام أنها (جريدة مصرية للمصريين) .

٤ — عبد العزيز جاویش : الذى يذكر له مؤرخو التطور السياسى في مصر أنه كان أحد مجاهدى الحزب الوطنى دون أن يتناولوا بالتركيز دوره الصحفى كمخليفة لمصطفى كامل على رئاسة تحرير

جريدة (اللواء) مع أن جريدة اللواء قد شهدت عهد رياسته للتحرير من الحركة ما لم تشهده من قبل ولا من بعد .

٥ — عيد المجيد حلمي : الصحفي للشباب المصري الذي أسس أول مجلة متخصصة في شئون المسرح منذ خمسين عاماً .

٦ — متيرة ثابت : أول صحفية مصرية تصدر صحيفة يومية مصرية باللغة الفرنسية بجانب مجلتها للعربية وهي (الأسبوار) .. لقد كانت في صباها إذا أقبلت على أي محفل ولو كان من محافل الوزراء تركزت عليها كل الأنظار .

هند نوفل : أول فتاة مصرية أحدثت ضجة في دنيا الصحافة حين أنشأت مجلة (الفتاة) .. ومضى ١ في سنة ١٨٩٢ .

الفئة الثانية :

فئة الصحفيين الراحلين الذين تظهر أسماءهم .. أحياناً .. كأنها وميض خاطف صرطان ما يختفي وأذكر منهم :

١ — أحمد حلمي : الصحفي الذي تحمل وحده عذاب صحافة الحزب الوطني تحت ظروف قيام الحرب العالمية الأولى .. لقد ذكرته نقابة الصحفيين . فأقامت له لوحة تذكارية .

٢ — أسعد داغر : مؤسس جريدة (القاهرة) في سنة ١٩٥٣ ولقد ذكرته وأنا أروي تاريخ هذه الجريدة .

٣ — حسنى العرابى الصحفى الذى أسس فى شبابه . سنة ١٩٢٣
الحزب الشيوعى المصرى . . لقد ذكرته وأنا أتحدث عن هذه
الواقعة . لكن كم عدد الذين يعرفون أنه كان شريك يرمى النواصى
فى النفى .

٤ — عبد الحميد حمدى . آخر من يذكر فى الحركة الفكرية
الجديدة التى قامت بها جريدة (للسفور) فى سنى الحرب العالمية الأولى
مع أنه هو الذى أنشأ هذه الجريدة ورأس تحريرها .

٥ — عبد الله أبو السعود : لو لم تقم نقابة الصحفيين عيداً مثوياً
لصحافة مصر الأهلية — أى غير الحكومية — فى سنة ١٩٦٦ لظل
اسم عبد الله أبو السعود نسياً منسياً . مع أنه مؤسس أول جريدة
سياسية أخبارية فى تاريخ هذه الصحافة الأهلية .

٦ — على الغابانى : إنه مؤسس جريدة منبر الشرق — الجريدة
العربية الثانية بعد جريدة العروة الوثقى التى ظهرت فى أوروبا فى
المشرقيات ثم انتقل بها إلى القاهرة فى الأربعينات .

٧ — محمد الميماوى : الكاتب الصحفى الذى كان سعد زغلول
نفسه يسمي أن يكون من أنصاره . . لقد كان فى حياته الصحفية عملاقاً
من عمالقة الصحافة بين سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٥٠ :

الفئة الثالثة :

ثلاثة الصحفيين الراحلين الذين كفهم النسيان مع أنهم كانوا من أولى الناس بالذكوران . . وأذكر منهم : —

١ — أحمد وفيق . أكاد أكون واثقاً أن هذا الاسم يكاد يكون غريباً على أمتاع السكثة من القراء والصحفيين أيضاً مع أن أحمد وفيق كان أحد رؤساء تحرير صحف الحزب الوطني بين خواتيم الحرب العالمية الأولى ومقدمات ثورة سنة ١٩١٩ في الوقت الذي كانت هذه الصحف تصدر في الصباح لتصدر في الضحى وتظهر في اليوم التالي صحيفة غيرها . . لقد باع وفيق في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا الصحفي كل ما ورثه ، وكان شيئاً كثيراً ليواصل دفاعه عن مبدئه حتى اضطر أخيراً وبعد تشرد الستين أن يقبل وظيفة رئيس إدارة وقف قاسم باشا بمحافظة القاهرة . . ثم حرم من هذه الوظيفة وهو يدافع عن كرامته على فراش الموت في نهاية الثلاثينات .

٢ — أسعد ولاية : أول صحفي أسس مدرسة التخصص في أبناء البورصة وكانت جريدته (الجريدة للتجارية) المدرسة التي خرجت غالبية شباب الصحافة الذين أصبح لهم هذا التخصص .

٣ — توفيق صليب : إنه اسم يذكر في تاريخ الجهاد الوطني فقط مع أنه عاش ومات صحفياً وحينما اشتد الخلاف بين الصحافة والحكومة في معركة فاسطين سنة ١٩٤٨ كان الحل الموافق لهذا الخلاف هو تعيين الصحفي توفيق صليب مديراً لرقابة النشر .

٤ — حسين شفيق المصرى : أحد شعراء الشعب الذين ينتهى الزجالون بأسمائهم . . أما فى دنيا الصحافة فإن النسيان يلف اسم حسين شفيق المصرى . . مع أننا إذا أردنا أن نؤرخ للصحافة الفكاهية فى مصر خلال الربع الثانى من القرن العشرين فإن هذا التاريخ يبدأ بحسن شفيق المصرى .

٥ — فرج سليمان : أنا واثق أن اسم الصحفى فرج سليمان ليس معروفاً الآن إلا عند بعض القلة من الأحياء من أصحاب الصحف الإقليمية فقط . . مع أن الصحفى فرج سليمان هو صاحب أول خطوة جريئة فى الصحافة الأسبوعية المصورة . . خطوة إزالة الخرج من نشر صور الحسان فى المجلات . . لقد أنشأ لهذا الغرض مجلة (الحسان) التى كانت المجلة الصديقة لكل فتية وقتيات العشرينات . . ومع أن أسلوب هذه المجلة قد تفتى فى كل المجلات المصورة من بعد ، إلا أن صاحب هذا الأسلوب قد توارى اسمه مع الأبدية التى اختطفته من زمن جيد . .

٦ — محمود رمزى نظم : لقد كان ملء السمع والبصر بين الصحفيين منذ اشتراكهم على عهد صباه فى الحركات الوطنية السرية قبل سنة ١٩١٠ إلى أن توفى بعد سنة ١٩٥٥ . . كان المحرر الأول فى صحافة الأزجال التى اختفت بانهاء العشرينات . . وكان شيخ للتدوين فى الصحف اليومية فى الأربعينات وكان اسمه ملء الإذاعات بوصفه قطباً من أقطاب شعراء الشعب والزجالين . . ثم صار اسمه فى عداد للنسيان ، لكنه للنسيان الذى يتفق مع صوغيته ، فقد كان الصحفى

للتصوف الأول الذي يعتمد برضى وإيمان ، أن كل شيء لى هذه
الدنيا للى زوال .

٧ — محمد صادق عنبر : لى أى صحفى من الجيل السابق علينا لابد
أن يشعر بالآلزن حين يجد أن الجيل اللاحق لا يعرف شيئاً عن
(صادق عنبر) لقد كان صادق عنبر آخر من مثل مجد اللغة العربية
بين مندوبى الصحف . . كان للمندوب الممتاز لجريدة الأهرام الذى
تسابق المبتات فى الرجاء بأن يكون هو الصحفى الذى ينطى أخبار
مجمعاتها فى المشرقات . . فقد كان وصف صادق عنبر لهذه التجمعات
قطعاً من الأدب تستحق الحفظ لما وهبه الله من فنون البلاغة التى
استطاع ان يلحقها بصياغة الأخبار ولو أن عنبراً قد طال به العمر للى
عصر الجميع التلوى لكان من أنجبه الامة .



الفهرس

فهرس الأعلام

(ت)

تقنازاني (الشيخ)

(ن)

ثروت باشا

(ج)

جمال عبد الناصر (الرئيس)

جمال الدين الأفغاني (الشيخ)

(ح)

حافظ إبراهيم (الشاعر)

حافظ رمضان باشا

حافظ عفيفي باشا

حامد جوده باشا

حسين رشدي باشا

حسين سري باشا

حسين هيكل باشا

(١)

أحمد أمين (الدكتور)

أحمد تيمور باشا

أحمد حسين باشا

أحمد حسين الحامي

أحمد رامي (الشاعر)

أحمد زكي باشا

أحمد عبده الشرباصي (المهندس)

أحمد عرابي باشا

أحمد علي باشا

أحمد الزين (الشاعر)

أحمد الكاشف (الشاعر)

أحمد ماهر باشا

أحمد محرم (الشاعر)

إسماعيل صدقي باشا

أنور السادات (الرئيس)

(ط)

طاهر باشا

طاهر لاشين (قصاص)

طلعت حرب باشا

طه حسين (الدكتور)

(ع)

عبد الحميد بدوي باشا

عبد الرازق السنهوري باشا

عبد الرحمن الراقعي بك

عبد الرحمن عزام باشا

عبد العزيز البشري (الشيخ)

عبد العزيز جاويز (الشيخ)

عبد العزيز فهمي باشا

عبد اللطيف السكباني باشا

عبد اللطيف حمزة (الدكتور)

عثمان جلال بك

عدلي يكن باشا

عزيز المصري باشا

علي شعراوي باشا

علي عبد الرازق باشا

علي ماهر باشا

حفي محمود باشا

(خ)

خليل مطران (الشاعر)

(د)

دسوقي أباطه باشا

(ر)

راشد رستم بك

رشيد رضا (الشيخ)

رفاعة الطهطاوي باشا

رياض شمس (الدكتور)

رياض قالي (دبلوماسي)

(ز)

زكي أبو السمود باشا

زكي مبارك (الدكتور)

(س)

سعد زغلول باشا

سيد نوفل (الدكتور)

(ش)

شوقي (الشاعر)

محمد مسعود بك	(ف)
محمد هاشم باشا	فاروق (الملك)
محمد هلال بك	فتحى رضوان (الوزير)
محمد أبو الميoun (الشيخ)	فتواد (الملك)
محمد تيمور (القصاص)	(ك)
محمد كامل الحامى	كامل عبد الرحيم (السفير)
مصطفى المراغى (الشيخ)	كامل كبلانى (الأديب)
مصطفى الوكيل (الدكتور)	كيلرن (اللورد)
مصطفى عبد الرازق (الشيخ)	(ل)
مصطفى كامل باشا	لطفى السيد باشا
(ن)	لطفى جمعة (الحامى)
نجيب الهلالى باشا	(م)
(و)	محمد تيمور (القصاص)
وحيد الأيوبي بك	محمد على (لواءى)
(ى)	محمد على علوبة باشا
يوسف حلى (الحامى)	محمد فريد بك
	محمد محمود باشا

فهرس السيدات

لييه هاشم	الملكة السابعة نازلي
مریم خالد	انتيجوني ملكة جمال العالم
منيره ثابت	أمينة السعيد
هند نوفل	روز اليوسف
	روة وسكينة

فهرس الصحفيين والكتاب

توفيق حبيب	(ا)
توفيق دياب	إبراهيم عبد القادر اليازجي
توفيق صليب	إبراهيم علام
(ج)	إحسان عبد القدوس
جلال المحامصي	أحمد حسن الزيات
حورخي زيدان	أحمد حلمي
(ح)	أحمد خيرى سعيد
حافظ عوض	أحمد نجيب
حبيب جاماى	أحمد وفتق
حسن الشريف	أسعد داغر
حسين شفيق المصرى	أليز أيكونا
(د)	أمين الرافعى
داود بركات	إميل القفورى
(س)	إميل خورى
سلامة موسى	أنطون الجميل باشا
سليمان نورى	أنور الجندى
سيد أبو النجبا (الدكتور)	(ت)
	تقلا باشا

(ص)

صادق عنبر

(ع)

عباس محمود للعقاد

عبد الله أبو السعود

عبد الله نديم

عبد الحميد حمدي

عبد الرحيم محمود

عبد المجيد حلي

عبد خلیل

عزيز فهمي

علي الغاياتي

(ف)

فارس نمر باشا

فرج سليمان

فكري أبانظه

(ق)

قنري عبد القادر

(ك)

كامل الشناوي

كامل مصطفى

كمال الدين جلال (الدكتور)

(ل)

لطفي رضوان

(م)

محمد التاجي

محمد المهيأوي

محمد شميس

محمد مندور (الدكتور)

محمد نجيب

محمود إبراهيم

محمود أبو الفتح

محمود السخيلي

محمود رمزي تنظيم

محمود عزمي

(ن)

نجيب هاشم

نجيب ولاية

(ي)

يعقوب صروف

فهرس الصحف

الرسالة	أبو نظاره
السياسة	أنخبار لليوم
المصرخة	آخر ساعة
الضياء	الاتحاد
الطائف	الأخبار
السروة الوثقى	الإخوان للمسلمون
الفتاة	الأساس
الفكاهة	الاشتراكية
القاهرة	الأهالى
الكتلة	الأهرام
الكشاف	البلاغ
الكشكول	النيكيت والتسكيت
الطائف	الشعر
الخواه	الجديد
للصور	الجريدة التجارية
المقتطف	الجريدة العسكرية
للقلم	الجمهورية
الملاح	الجهاد

فتاة الشرق	الوطن
سراة الشرق	الوقد
مصر	الوقائع
منبر الشرق	جورنال الحديوى
نزهة الأفكار	خيال الطفل
وادي النيل	روز ليوسف
يعسوب الطب	روضة المدارس
	صوت الأمة

فهرس المواضيع

صفحة	
٣	تقديم
٧	الباب الأول : أسرار صحفية
٨	بعض أسرار الصحافة
١٩	أشهر البغلاء في الجيل للماضى
٢٧	الثورة بين حيلين
٣٢	عجائب حرف الحاء
٤٥	الذساتير المصرية الستة
٥٣	الاحتفالات السياسية الأربعة
٦٣	إنقاذ ما يمكن إنقاذه
٧٣	سين وحيم
٨١	الصحافة ولغة الضار
٩٥	العلاج بالضحك
١٠٣	قصة من كفر المصلحة
١٠٩	تاريخ ثلاث رصاصات
١١٩	قافات سعد زغلول

صفحة	
١٢٧	• • • • • اللورد كيلرن عدو الصحافة المصرية
١٤١	• • • • • مصر في القرآن
١٤٩	• • • • • من أسرار معركة بور سعيد
١٥٧	• • • • • سر وزارة سرى
١٦٣	• • • • • الباب الثاني : ألفت بأه الصحافة
١٦٥	• • • • • مهنة البحث عن المتاعب
١٦٩	• • • • • بنات الصحافة
١٨١	• • • • • حكايات عن سر المهنة
١٨٧	• • • • • للصور الصحفي الذي كاد يقتله الملك
١٩٣	• • • • • سبع طبعاات للإنداز الروسى
١٩٩	• • • • • العمال هم الأغلبية
٢٠٥	• • • • • الجامعة من اقترحات القراء
٢١٣	• • • • • للمائشتات التاريخية العشرة
٢٢١	• • • • • ورق للصحف فى الحرب
٢٢٩	• • • • • ياءات الصحافة العشرة

صفحة	
٢٣٢	الباب الثالث : المذاهب الصحفية في مصر
٢٤٧	نشأة الصحافة الحزبية
٢٥٥	أسرار الصحافة الحزبية
٢٦٣	جامعات المصاحفين
٢٧٣	المذاهب الصحفية
٢٧٩	بقية المذاهب الصحفية
٢٨٥	سباعيات المنسبين

(رقم الإيداع بدار السكينة ٤٣٥٧ لسنة ١٩٧٥)

إقرأ فنيـا مطبوعات الشعب

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ■ حتى نتتصر | ■ مقبمة ابن خلدون |
| ■ السيد فرج | ■ عبد الرحمن بن خلدون |
| ■ قراءة جديدة لحداث { | ■ الامن القومي |
| ■ فبراير | ■ عميد/عبد الكريم نافع |
| ■ جمال سليم | ■ تاريخ الطبقة العاملة المصرية |
| ■ الملف السرى لحرب أكتوبر | ■ ١٩١٩ - ١٩٢٩ |
| ■ محمد جبر | ■ امين عز الدين |
| ■ وانطلقت المدافع بعد الظهر | ■ تاريخ الطبقة العاملة المصرية |
| ■ اللواء/عبد الحليم ابو غزالة | ■ ١٩٢٩ - ١٩٣٩ |
| ■ بشار بن برد | ■ امين عز الدين |
| ■ ابراهيم المازنى | ■ الاغانى لابسى الفسرج |
| ■ ميلاد شعب | ■ الاصبهانى |
| ■ سعيد تيم | ■ اشراف وتحقيق ابراهيم |
| ■ حكايات عن عيد الناصر | ■ الاييارى |
| ■ عبد الله امام | ■ قضايا ومعارك ادبية |
| ■ حياة الناس فى البلاد | ■ محمد عبد الحليم عبد الله |
| ■ الاخرى | ■ اسماء الله |
| ■ حسن جوهر | ■ احمد مخيمر |
| ■ اطلس ثدييات العالم | ■ بعد التحية والسلام |
| ■ د . حسين زين الدين | ■ عبد الرحمن الابنودى |
| ■ علم الحيوان | ■ رسالة الى المسيح |
| ■ د . محمود البنهاوى | ■ مصطفى بهجت بدوى |
| ■ وآخرون | ■ كتابات سياسية |
| ■ عجائب مخاوفات الله | ■ ١٩٦٥ - ١٩٧٥ |
| ■ حسن جوهر | ■ د . اسماعيل صبرى |
| ■ الدعاية الصهيونية فى | ■ عبد الله |
| ■ أمريكا | ■ ثورة ١٩١٩ |
| ■ د . نادية سالم | ■ عبد الرحمن الرافعى |

■ ■ ■ عندما يتحدث الأستاذ حافظ محمود - نقيب الصحفيين السابق - عن أسرار الصحافة فمن المؤكد أن حديثه سيكون ممتعا على طريقته الجسدية وبأسلوبه الرشيق الذي طامسنا أمعنا به على مدار الفترة الطويلة التي مارس فيها الأستاذ حافظ محمود العمل الصحفي .

■ ■ ■ وفي هذا الكتاب يقدم لنا الأستاذ حافظ محمود أحاديث حقبة هامة من التاريخ المصري بما حفلت به من أحداث سياسية واجتماعية وأدبية بالإضافة إلى عرض الشخصيات التي عاصرها الكاتب خلال تلك الحقبة الهامة .

■ ■ ■ ونحن إذ نرجو للقارىء رحلة ممتعة مع هذا الكتاب الذي يعتبر كوثيقة هامة تلقى مزيدا من الضوء على فترة هامة من فتريات التاريخ المصري المعاصر ، نرجو لأستاذنا الجليل المزيد من الصحة وطول البقاء لكي يثرى حياتنا بالمزيد من دراساته ومواقفه المخلصة السباجة .

Bibliotheca Alexandrina



0283468

To: www.al-mostafa.com